

المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب

للمستشرق الهولندي - رينهارت دوزي

ترجمته الدكتور أكرم فاضل مدير الفنون والثقافة الشعبية
وزارة الاعلام « بغداد »

- 2 -

البلفة وجمعها البلاغي

البند والجمع البنود

تعني هذه الكلمة حزاما . اراجع مسالك
الابصار ، في كتاب كاترمير ، ملاحظات ومقتبسات ،
ح 8 ، ص 295) حيث نقرا : « يشدون المناطق في
البنود » . وينبغي اضافة هذا المعنى لكلمة بند الى
القاموس .

لا وجود لهذه الكلمة في انقاموس
وأري ، كما يرى Dombay في كتابه
(Gramm. ling. Mauro-Arabica, pag. 82
ان هذه الكلمة تعني حذاء في المغرب (1) .

البلوطة والجمع بلايط ، والبلوطة والجمع بملايط

البنش او البنيش

لا وجود لهذه الكلمة في القواميس العربية
ولا التركية ولا الفارسية . ومع ذلك فهي على وجه
التأكيد ليست من اصل عربي ، ولما كنت لم اصادفها
مطلقا لدى المؤلفين العرب فأنني أرى ان اللبس الذي
تشير اليه لم يرتد الا في العصور الحديثة .

ونحن نقرا في كتاب بوكوك ، وصف الشرق ،
(ج 1 ، ص 1) : « فوق هذا الثوب اعله
الخفتان) يلبس القوم ثوبا آخر ردها ضيقتان شبيها
بثوب يوناني يدعى

« Gelijk een Grieksche tabbaand »

وهو الثوب الاعتيادي » . ويضيف الرحالة ان الناس

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ويترجم بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات
اسبانية وعربية) saya de muger (تنورة
نسائية) بكلمة بلوط وجمعها بلايط ، ويترجمها
كذلك ب : ملوطة . ولكن يخيل الى ان بلوطة ليست
سوى تحريف للوطة (اراجع هذه الكلمة) ، ذلك لان
العرب طالما ابدلوا حرف الميم بحرف الباء فيقولون
مثلا (منفسج) بدل بنفسج (اراجع الكالا في كلمة
فيولتا violeta والصيغة نفسها نصادفها في
كتاب الف ليلة وليلة الخ . ويترجم الكالا كذلك
sayo de varon (رداء رجالي فضفاض) بكلمة
بلوط والجمع بلايط .

(1) قال دوزي في كتابه « المستدرك على المعاجم العربية » ما يلي :
« البلفة هي النعل المتخذة من الحلفاء ، وهي التي يسميها اهل الاندلس ومن صاقبهم من اهل
العدوة بالبلفة . وقد ورد ذكرها في مطلع قصيدة لابن عبد الملك يمدح بها المأمون ابا العلاء بن
منصور من بني عبد المؤمن :

لتبليغها المضطر تدعى بيلفة وان قست بالتشبيه شبهتها نعلنا
وكلمة بلغة ما تزال مستعملة في المغرب وفي مصر .

24) ، واليكم ما يقوله لين في كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ص 41) : « من هؤلاء القوم من يلبسون ايضا البنش او البنيش ، وهو ثوب من الجوخ . له ردنان طويلتان ، شبيهتان بردني القفطان ولكنهما اوسع ، واذا توخينا الحقيقة قلنا ثوب المراسيم والاحتفالات ، ويجب ارتداؤه فوق الثوب الجوخى الآخر واعني انجبة » ولكن هناك الكثيرون الذين يرتدونه عوض الجبة . وبمقدورنا ان نرى شكل الكساء في كتاب لين (ج 1 ، ص 40 ، الصورة اليسرى) .

والبنش ، حسب رأي النقيب ليون ، فى كتابه (اسفار فى الشمال الافريقي ، ص 6) الذى يكتبه Beneish هو ثوب يرتديه رجال طرابلس الغرب . ويضيف هذا الرحالة ان البنيش يشبه القفطان من حيث الهيئة ولكنه يختلف عنه من جهة التطريز . ويرد ذكر « البنيش الحريري اللازوردي » فى كتابي دهنام وكلابرتون (اسفار فى شمال افريقيا ، ج 1 ، ص 27) .

ونحن نرى ان البنيش ما زال يرتدي فى ايامنا هذه فى طرابلس الغرب ، وفى مدن مصر وسورية ، وفى الجزيرة ، وفى العراق العربي ، وفى شبه الجزيرة العربية .

البناقه وجمعها البنائق

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويقول ديبكو دي هيدو فى كتابه (خطط مدينة الجزائر) فى معرض حديثه عن نساء مدينة الجزائر : « ان جميع النساء - مغربيات كن او تركيات او مرتدات - يحملن على رؤوسهن اول ما يحملن نوعا من التيجان Una como escofia يخفين فيها شعرهن - ويسمينها باللفة المغربية Lartia, ou, benigna . وهى معمولة من التيل ومطرزة من الجهة الامامية بالحرير الملون الاخضر والاصفر - الخ . وفى اعقاب هذا الكلام يكتب : Albanega . وترجم بيدرو دي الكالا فى كتابه (مفردات اسبانية عربية) هذه الكلمات : « Cofia de muger, et, alvanega cofia :

بكلمة بناقه وجمعها بنائق .

وقد رأينا ان ديبكو دي هيدو يكتب كلمة بناقه Albanega : ولكنه يكتبها ايضا : El benigna :

فى سورية يرتدون البنيش Benisj الحريري . ولكن هذا الثوب لا وجود له فى مصر . ويكتبه نيبول ، فى كتابه (رحلة الى الجزيرة العربية . ج 1 ، ص 152) على هذه الصورة Benisch . وبوسعنا ان نرى هيئة تفصيل هذا الكساء فى وصف الجزيرة العربية فى اللوحة السادسة عشرة من كتابه (وصف الجزيرة العربية) . ويصف الكونت دي شابرول - فى كتابه (وصف مصر . ج 8 - ص 108) الثوب الذى نحن بصدد التحدث عنه على هذه الصورة . فيقول : « البنيش ثوب واسع فضفاض - ردناه كبيرتان للغاية . بحيث انها تفوق كثيرا فى طولها طول الذراع وطول اليد . وهاتان الردنان مشقوقتان من نهايتهما » . وبعد ذلك نطالع (ص 110) : « ان البنيش Benych هو ثوب واسع من الجوخ . ونقرأ ذلك فى وصف مصر (الاطلس : ج 2 شروح الصور ص 11) حول موضوع تجار مكة : « انهم يضيفون الى ثوبهم الاعتيادي بوصفهم مسلمين بنيشا طويلا عريضا من الصوف مخطط بخطوط طويلة بيضاء وسوداء » . ويصف لايت Light الزي الدرزي فى كتابه (رحلات الى مصر والنوبيا والارض المقدسة وجبل لبنان وقبرص . ص 220) فيذكر وجود ازار غليظ من الصوف يدعى بنيشا Beneesh . وهو مخطط بخطوط سوداء وبيضاء » . ونقرأ لدى فون ريشتر - رحلة الى الشرق الاوسط (ص 142) : « فجلب لي القواص بنيش اي ازرا تلف الجسم كله . فاشترت منها بنيشا واحدا . لان القوم اخبروني ان جبتي كانت غاية فى الدمامة والسماجة بحيث لا يصح عرضها فى مجتمع اتيق اناقة دمشق . وهكذا فقد مضيت بهذا الزي الرائع المصنوع من الجوخ الازرق والمزركش بالذهب الخ » . وفى كتاب مؤلفه بركهات وعنوانه (رحلات فى الجزيرة العربية . ج 1 ص 338) نقرأ : « ياله من بنيش لونه لون القرنفل مبطن بالاطلس » . وجاء فى رحلة بكنكهام الى بلاد ما بين النهرين . ج 1 . ص 443 : « ان ائقل ثوب معروف لدى سكان ماردين هو الجبة او البنيش لدى سكان انقرة وضواحيها » (راجع كذلك الجزء الاول ، الصفحة السادسة) من كتاب فريزر المعنون (رحلات الى كردستان وبلاد ما بين النهرين) فهو يتحدث عن البنيش او الرداء المصنوع من الجوخ الناعم المطرز فى الاغلب الاعم - حين يتطرق الى انراك بغداد ، كما يتحدث عنه روبل Rüppel فى كتابه (رحلة الى الحبشة ، ج 1 ، ص

والحقيقة ان المؤلفين الاسبان يجعلون في غالب الاحيان ا - التي يلفظها عرب الغرب ا او) وهيدو نفسه يكتب الكلمة العربية شلثية هكذا: Xixia وفي كتاب مفردات بيدرو دي الكالا نجد ان (اء) العربية تنقلب دائما الى ا (ا) . ومع ذلك ليس هناك من شك في وجوب كتابة بناقة وليس بنية - لان الكلمة العربية البنية قد تسالت الى اللغة الاسبانية في صيغة Albanéga او Alvanéga وفي اللغة الاسبانية (ة) تجاوب (ا) العربية . ويجزم كوبروفياس في كتابه (الكثر - مدريد - 1611) بان الكلمة الاسبانية Albanéga او Alvanéga وهي في اللاتينية Reticulum عبارة عن شبكة على هيئة دائرة تضعها النساء عادة على رؤوسهن - فيغطين بهذه الوسيلة شعورهن - وهي كلمة عربية مشتقة من فعل (بنق) Venega ومعنى ذلك جمع - سوي (Resserrer - Rassembler)

وربما ينبغي علينا التسليم بهذا الرأي الاشتقاقي للوهي الاسباني - لان المعاجم العربية تنص على ان جملة بنق كلامه تعني جمعه وسواه . ولعل يوسعنا ان نرى مع ذلك ان كلمة عربية اخرى - وهي كلمة بنية التي تشير الى قطعة القماش التي توضع في رदन قميص تحت موقع الابط والمسماة نفاجة او نقرة الابط - قد ولدت فعلا هو فعل بنق . والواقع ان فعل بنق يعني فيما يعنيه : وضع نقرة الابط في قميص . وجملة بنق كلامه لا تعني اذن شيئا آخر سوى وضع نقرات الابط لخطابه اي جمع الافكار والجمال في نظام متصل متسق . ومن المحتمل كذلك ان تكون كلمة بناقة تحريفا للكلمة بنية - وان يكون هذا النوع من التيجان في العصور الفابرة منحصر في قطعة من التيل توضع فوق رؤوس النساء . وقد استعارت العائلة الاسبانية Vanega

اسمها من الكلمة العربية بناقة . ويوسعكم ان تروا في كتاب كوبروفياس المناسبة التي منح بها فارس من فرسان هذه الاسرة هذا الاسم .

البوش

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس بالمعنى المراد .

ولكننا نقرا في كتاب بركهارت ا ملاحظات حول البدو والوهابيين - ص 27 : « ان عباء بغداد هي أفخر العباء اما العباء التي تصنع في حماء ذات الاردان القصيرة العريضة فتسمى Bouch ويقول نفس الرحالة في كتاب آخر ا رحلات في سورية - ص 147) في معرض حديثه عن حماء : « والعباء - او الاردية الصوفية التي تعمل هنا هي غاية في الجودة وحسن السمعة » .

واعتقد ان هذه الكلمة مشتقة من اسم مدينة مصرية تدعى بوش ا) كما يمكن رؤية ذلك في قاموس فريتك وهذه المدينة كانت مشهورة بالثياب التي تصنع فيها .

ولعل مدينة بوش ومصانمها قد عفى عليها النسيان في الأزمنة الحديثة . ولكن كلمة بوش ما تنفك حية مشيرة الى نوع من القماش الصوفي - كما اظن .

وهكذا فقد طبقت كلمة بوش خطأ على الاقمشة المعمولة في حماء - ثم سميت بها العباء التي تصنع في هذه البلدة .

التبان

هذه الكلمة - كما سبق ان لاحظنا - ليست سوى تحريف للكلمة الفارسية تبان التي تعني سراويل من الجلد يستعملها المضارعون (2) كما تعني سراويل

- (1) تحدث العديد من المؤلفين عن هذا المكان - راجع مثلا ابا الفداء (البلدان - ص 107) ويكتب لي في كتابه (اسفار ابن بطوطة - ص 14) الكلمة هكذا Bauch - وهذا غلط - فاليكم ما قرأته في رحلة ابن بطوطة (مع دي كيانكوس - ص 14) « مدينة بوش وضبطها بضم الباء الموحدة وآخرها شين معجم . وهذه المدينة اكثر بلاد مصر كثانا . ومنها يجلب الى سائر الديار المصرية والى افريقيا » . حقيقة ان الرحالة لا يتحدث عن الثياب الصوفية التي تصنع في هذه المدينة - ولكنه يقول بعد ذلك - في معرض حديثه عن مدينة البهنسة القريبة من بوش : « وتصنع بهذه المدينة ثياب الصوف الجيدة » . فاذا تحقق كذلك وجود مصانع للثياب الصوفية في بوش فان تخميني حول أصل كلمة بوش - البادي في النص - يكون قد تأيد .
- (2) ان هذا التبان هو اللباس الوحيد للمضارعين في الشرق - كما نستطيع رؤية ذلك لدى نيكولو نيكولسي Nicol de Nicolai في (Navigazioni et Viaggi, fol. 174, 175)

التكة ، وفي لهجة مصر الدكة

ان تباين (سراويلات) الشرقيين لا فتحة لها من الجهة الامامية مثل تبايننا . فنجم عن هذه الحالة عدم تزودها بالازرار . ولربطها يستعمل الشرقيون التكة . ويفسر القاموس اط كلكتا . ص 1351) هذه الكلمة بانها رباط السراويل . وحسب تقرير لين . في كتابه الموسوم (المصريون المحدثون . ج 1 ص 39) ان الدكة او التكة هي رباط او مشد مطرز النهايتين بالحريز الملون . ولو انه محجوب باللباس الفوقانية . وباحاطته بالجسم يستعمل لربط التبان . ونحن نقرا في الكتاب المعنون مجمع الانهر اط القسطنطينية . ج 2 ص 299 ، وفي الفنية « تكره التكة المعمولة من الابريسم - هو الصحيح - لكن في الفتاوي الصغرى والخيرة وشرح القدوري لا تفره التكة من الحريز عند الامام وعن ابي يوسف تكره » .

ونجد لدى السيوطي احسن الحاضرة . مخ 13 . ص 334 . حوادث سنة هـ 28 : « زفت مطر الندي قطر الندي ؟ بنت خماروية بن احمد بن طولون من مصر الى الخليفة المعتضد . وتقل ابوها في جهازها ما لم ير مثله . كانت من جمعتها الف تكة مجوهرة » .

وجاء في كتاب الف ليلة وليلة اط مكناتن . ج 1 . ص 333 ، او ط هايخت . ج 4 . ص 394 : « لا يصح له ذلك لانه مكتوب على دكة نياسي قول صعب » . ونقرا في مكان آخر من ط هايخت . ج 4 ص 397 : « فمد يده وملس على جسدها . ثم مر بيده على بطنها . ونزل الى سرتها . ونزل فوجد اللباس مربوطا . فنزل بيده على سراويلها ودكتها وجذبها فانتهت » . وبعد ذلك نقرا اط مكناتن . ص 596 : « وقد رشقت اطراف قميصها من داخل دكة اللباس . وهي كانت تعمل شغلا » . ويتحتم علينا لفهم هذه العبارة ان نتذكر ان اهل الشرق يلبسون القميص فوق التبان . ونطالع في مكان آخر مكناتن . ج 1 . ص 596 ، « فحط قمر الزمان يده في دكة لباسها فجدبها وحطها لما اشتهاها خاطره » . وهناك عبارة لمؤلف اسمه رؤولف في كتابه اوصف حقيقي لرحلات ، يتحدث فيها عن سكان طرابلس الشرق . وفي هذه العبارة يتحدث المؤلف ايضا عن التكة . وبعد ذلك ص 133 ، يتزيا هذا الرحال نفسه اثناء سفره من حلب الى

من الكتان يرتديها الملاحون . وهذه الكلمة قد احتفظت بالمعنى الاخير اثناء مسراها الى اللغة العربية . واليك ما يقوله الجوهري ج 2 - مخ 85 - ص 343) حول هذه الكلمة : « والتبان بالضم والتشديد سراويل صغير مقدار شبر يستر العورة المفلظة فقط يكون للملاحين . وفي حديث عمار انه صلى في تبان فقال : « اني ممثون » .

ويترجم بيدرو دي الكالا Pedro de Alcala في كتابه مفردات عربية اسبانية :

(Vocabulario Español-Arabe)

كلمة Bragas بكلمة تبان . راجع كوياروفياس Cobarruvias في كتابه كنز اللغة القشتالية (Tesoro de la lengua Castellana, 1611 مدريد . حول كلمة (Bragas) .

التتيرة جمعها تتريات

ان هذه الكلمة التي - كما نرى - ليست في الحقيقة والواقع الاصفة منسوبة لكلمة تتر لا وجود لها في القاموس . وهي تشير الى قبة مصنوع على الطريقة التتيرة . راجع ملاحظة كاترمير في كتابه تعليقات ومقتبسات عربية - ج 1 - ص 213 . ونستخلص من عبارة القريزي التي اوردها هذا العالم الجليل ، ان التتريات كانت مؤلفة من الحريز الاحادي اللون المزركش الحواشي والمطمع بالذهب .

التحتانية

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ولكننا نجد في مخطوطة بخط النويري نفسه تاريخ مصر - مخ 1 - ص 33 : « وخلع عليه اطلسا معدنيا ابيض وتحتانية اطلس بطرز زركش على الفرجيتين » . واعتقد ان التحتانية كانت فرجية تحتانية - وان الفرجية الفوقانية كانت تدعى تحتانية راجع هذه الكلمة .

ويقول ابن بطوطة الرحلة - مخ دي كايكوس - ص 259 ، في كلامه عن سومطرة : « واخرج من البقشة ثلاث فوط . احداها من خالص الحريز والاخرى حرير وفطن . والاخرى حرير وكتان . واخرج ثلاثة اثواب يسمونها التحتانيات من جنس الفوط »

ولكن سرا . والتكة El Tikke هي حزام Sach من الحرير او من الموصل ، وهي في اغلب الاحيان مطرزة موشية ، ويستعملها الرجال والنساء على حد سواء لربط التبان حول مدار السرة ، ولكن تحجبها الثياب . والتكة هي الهدية الاولى التي تهديها عشيقة لعشيقتها . وبعد فان التكة تبع غزير للملح والنوادر والامازيح اذا استخف الطرب عقول سمار النوادي .

ويبدو ان كلمة تكة او دكة كانت مستعملة دائما لدى العرب . وهي تشير الى مشد السراويل ، ويخيل لنا ان هذا الشعب لم يستعمل كلمة سواها للدلالة على هذا الجزء من اللباس (2) .

التكلاوات

ان هذه الكلمة ، التي هي ولارب كلمة جمع ، لا وجود لها في القاموس ، ونحن لسنا على ثقة حتى من صحة رسمها .

وقد وجد كاترمير (راجع كتابه : تعليقات ومقتبسات ، ج 8 ، ص 213) في « مسالك الابصار » ولدى « المقرزي » كلمة تكلاوات التي لا بد انها تدل على ضرب من اللباس يرتدى في الهند وفي مصر من قبل الامراء . ويرى كاترمير ان هذه الكلمة صحيحة ، ولكن لعدم وجود نصوص اخرى ،

بغداد بزي سكان البلاد الاصليين ، فيصف هذا الزي . فيقول فيما يقوله انه اوصى لنفسه بعمل : « سروال فضفاض من المسلمين (الموصل) مربوط تحت القميص وهو الجسد العاري برباط هو التكة » . ويعرب كوتوفيك Cotopic في كتابه : الرحلة Itinerarium ص 485 ، في معرض التحدث عن ازياء الشرقيين بصورة عامة بهذه الكلمات : « انهم لا يربطون سراويلهم بصديرياتهم بالحملات . كما نصنع نحن بربط سراويلنا بقماصنا Camisoles » . وكان المؤلف قد زار الشرق عام 1598 ، ولكنهم يربطونها كيفما اتفق برباط من القطن » .

وافخر التكة ، حسب رأي النويري ، هي ا نهاية الارب . مخ 273 . ص 96 ، تلك التي ترد من ارمينيا (تكك ارمينية) . وبعد المقرزي الذي ساسي . طوائف عربية . ج 1 . ص 199 ، من بين الثروات التي تركها بعد موته احد كبراء مصر : « الف تكة حرير ارميني » . وفي ايماننا هذه يروج هذا المثل في مصر : « الغندورة الخفية التكة والطاقيه » [1] . وان بركهارت في كتابه امثال عربية . رقم 101 « يلاحظ هذه الملاحظات على هذا المثل فيقول : « لقد طبقه المصريون على المنافقين ، او على الجبناء ، الذين ينادون بالويل والشور على الطرز الانيقة ، ولكنهم في الوقت نفسه يستعملونها

(1) تأخذ كلمة غندرة والصفة المشتقة منها غندور مفهومات عدة . ولما كان البحث عن هذه الكلمات في المعاجم ضربا من ضروب العبث ، فلا يبدو لي من فضول القول طرح الملاحظات التالية بين يدي القاريء . فكلمة غندور تعني في اسبانيا والمغرب الرجل الباسل . ويترجم بيدرو دي الكالا مفردات اسبانية عربية ، كلمة

بكلمة غندور ، ويتحدث ديكو دي تورييس في قصة الشرفاء ، ص 372) عن خمسين الفا من المغاربة تجمهروا في فاس . ويدعون Gandores . ومعنى ذلك البسلاء ، الذين يعتبرون انفسهم نواب الجمهورية والمدافعين عنها ، ولذلك منحوا هذا اللقب ، في حين ليسوا من ذلك في شيء . ولكن غندور كانت تعني في اسبانيا متمردا او شقيا ومصطلح غندرة يعني عصابة قطاع طرق (راجع الكالا) . ويلاحظ بركهارت بمناسبة المثل الوارد في النص قائلا : « تعني الغندرة في اللهجة المصرية الدارحة المرح والابتهاج والارحية والبشاشة وحلاوة العشرة ودماثة الخلق . وكلمتا غندور وغندورة شائعتا الاستعمال ، لانهما بانطباقهما على افراد سواد الشعب في علاقاتهم الودية يعطيان معنى لطيفا . اما في مالطا فتعني كلمة غندور الانسان الانيق . (راجع فاسيلي ، قويميس مالطي ، مخ 319) .

(2) ان جميع الذين يرتدون السراويل يتخذونها ذات تكة . وهذه السراويل تنفي الجسم تماما والقمصان فوقها . وعندنا يحتاجون الى التبرز يجلسون القرفصاء ، وينزعون ملابسهم حول اجسامهم كالنساء ، ويتجهون الى الشمال ، مخالفين اتجاههم الى الجنوب ، لدى قيامهم بالصاوات . فيعماون ما يحلو لهم

وأجهلنا أصل هذه الكلمة ، يستحيل علينا الدخول في تفاصيل حول هذا الموضوع .

التاج

ان كلمة تاج بما تعنيه الكلمة الفرنسية Couronne غير داخلية في نطاق موضوعنا . ولكن لفظة تاج لدى الفرس تنطبق على نوع خاص من اغطية الرأس للزينة . كما اننا نصادف هذه الكلمة بهذا المعنى لدى الكتاب العرب المحدثين . فحسب رأي ابي الفداء التاريخ - المترجم من قبل راسموسين ، وطبقا لقول ريجاردسون في كلمة تاج - واخذا برأي هامر بركتال - في كتابه التاريخ الامبراطورية العثمانية ، نستخلص بان حيدر هو الذي اتخذ التاج (طاقية من النسيج الاحمر) لنفسه او لانصاره . ولكن ميلا مع رأي اوليزبوس في كتابه رحلات الى موسكويا وبلاد التاتار وفارس . ص 814) ومع كامفر في كتابه التحف النادرة . ص 70 - 71) ومع مالكولم في كتابه تاريخ فارس . ج 1 . ص 503) نرى ان ابن حيدر شاه اسماعيل هو الذي تبنى التاج . وقد ورد ذكر البيريه Berretton-Béret في رحلة بيترو دلافاله في كتابه الرحلة . ج 1 : ص 160 ، وهي البيريه الحمراء التي اسمها تاج وهي تقابل الكلمة الفرنسية Couronne ويليها جنود الميليشيا La milice ولكنهم لا يضعونها على رؤوسهم الا في الحالات النادرة - وفي الاحتفالات الرسمية فقط . ويقول اولياربوس 1813) واصفا التيجان . « انها طاقيات حمراء منقولة من اثنتي عشرة طية - وتكد تشبه كل الشبه القناني التي يستعملها سكان اقليم لاندوك وبروفنس . ولها بطن مسطح وعنق غاية في الطول والضيقة » . ويتحدث بعد ذلك (ص 814) عن الطاقيات الحمراء ذوات الثنيات الاثنتي عشرة تخليدا لذكرى ائمتهم او اوليائهم الاثني عشر . واليكم ما نقرا في كتاب كامفر (ص 44) « ان التاج Taadsj طاقية عالية - لها هيئة خاصة - والتاج يستعمل في بلاط فارس - وبه يتوج الملك نفسه - كما سبق ان قلنا - اما اعيان المملكة فانهم يتزينون به في اعظم الاعياد الرسمية - بحضور الملك - وهو منسوج من الصوف المكفت بالذهب - وتحف به صفوف من المجوهرات والاحجار الكريمة - ولهذه العلة سماه القوم Tadsji tomâr تاج

تومار) وهذا المعنى لتومار او طومور يجب ان يضاف الى المعاجم الفارسية - ومعنى ذلك (عقاب ملفوف) Pileus circumligatus - لاجل تمييزه عن تاج آخر اشد بساطة منه - وهو مستعمل لدى النخبة الممتازة من ميليشيا القبيلة التركية - التي ستحدث عنها قريبا . ولدى انوبي Sopi او اليسولي Jesauli وهذا يعني حجاب البلاط الملكي Atrienses او كبار حراس القصر الداخلي للملك ، وهذا التاج احمر لا زينة له . ودونكم شكله : « ضيق من الجبهة ولكنه يأخذ في الارتفاع ويمعن في الاتساع . هو من الاعلى مسطح ولكنه مؤلف من اثنتي عشرة طية او ثنية - طبقا لعدد الائمة - ويعلو في وسط قمته شبه ساق الانمة Ex cujus medio stylus erigitur ضيق صلب له طول شبر .

ويتحدث كامفر (ص 241) في عبارة اخرى من كتابه الجميل عن عرف خاص يستعمل فيه التاج . واليكم كلمة الرحالة « بحكم الانتظار حظيت مرتين برؤية منح التاج الذي يشبه التاج الاسقي (البرطل) لمن يدعون لدينا

La mitre aulique des Sophis - (Le Tadsj)
Mitram Sophorum aulicam

اما مواطنونا فتسمى لديهم هذه العملية : « منح وسام الروسية الفرسية . وقد ادخل شابان في القاعة الثانية - وكان الاول يطمح في احراز رتبة حجابة القصر الملكي في مدينة كسفر . Keskèr اما الآخر فيطمح في وظيفة مماثلة . وهذان المنصبان يتطلبان اداريا حائزا على الانتساب اني تلك الطبقة . ولما عرض اعتماد الدولة رغبتهما وقف كل منهما مسمرا في مكانه الى ان فرغ الملك من تأملهما مليا والرضاء عن سمت كل منهما فانهى الى استجابة طلبيهما . وبعد ذلك خرج من القصر صحبة يساول باشا - رئيس الحراس في القصر - فبدل عمامته بتاج من تيجان الـ Les Sophis وكان هذا الرئيس يأتي في الدرجة الثانية بعد الماريشال . ولدى رجوعه امر المرشحين ان ينطحوا على بطنيهما وان يمد كل منهما ذراعيه حتى فخذيه ، وانتظر بعد ذلك طويلا - بهيئة محتشمة - وهو رافع عصاه طوال الوقت - اشارة الملك - ولكن طال انتظاره كثيرا - لان الملك كان مسترسلا في حديث مع عظماء المملكة . ولما حصل اخيرا على هذه الاشارة ضرب كلا منهما ضربا مبرحا - ثلاث عصي - كل ذلك وهو يتمم ببعض العبارات . وعلى هذه الشاكلة قبلهما في سلك

ال Sophis . ومنذ تلك اللحظة سمح لهما بتزيين رأسيهما برمز ذلك السلك واذن لهما بأن يشترتب عنق كل منهما - باسم صاحب الجلالة - الى كافة انواع المناصب حسب اقتدار كل منهما . وبعدئذ انتصب كل منهما على ركبتيه - وقد اعتمر رأسه بالزينة - وقبلا عصا من ضربهما بالعصا - اظهارا منها للاحترام والامتراف بالجميل . ثم قلد الشخص نفسه كلا منهما خنجرا - وانصرفا بعد ان اشبعوا رغبتيهما . ومضى على هذه العملية بعض الوقت فنودي على جنديين من الجنود - وقد تشفع لهما الماريشال - ليحلا محل اثنين من ال Sophis او حرس قصر الملك اللذين انتقلا الى رحمة الله . وجرت المراسيم على نفس الشاكلة في البهو السفلي . وبعد انتهاء هذه العملية استعاد كل من الرجلين سلاحه الذي اودعه على امل التبدل السريع لخوذته بالطاقيّة النبيلة . » ويخيل الي ان في العبارة التالية من تاريخ مصر لمؤلفه ابن اياسر اشارة الى عادة مماثلة . فاننا نقرا في هذا الكتاب امخ 367 . ص 149 . حوادث عام 803 : « نزل من القلعة هو وبقية الثواب واخذوا في رقابهم مناديل وتوجهوا الى تمرانك يظنّون منه الامان . فلما تمثلوا بين يديه اخلع عليهم اقبية مخمل اجمر والبسم تيجانا مذهبة . »

راجع كذلك ابا الفداء في تاريخه ا ج 2 : ص 179 . واذا آمننا بما يقوله مؤرخ ارمني هو Tschamtschean في كتاب - نوادر ارمينية - لدي بيترمان : ص 2 ، فان هذه العادة ترقى الى عهد سحيق - وكانت تمارس في عهد آرام ونيونوس . فنحن نقرا في هذا الكتاب : « فمُنحه تاجا مرصعا بالجواهر والاحجار يزين به رأسه - وكانت هذه المنحة في ذلك العصر دلالة على اعلى درجات المجد والفخار (1) . »

التاسوم التاسومة التاسومة

ان هذه الكلمة هي مرادف لكلمة نعل Sandale في عرف فخر الدين (لدى دي ساسي - طرائف عربية - ج 1 - ص 42 من النص العربي) . ومع ذلك فان Germano de Silesia (pag. 740, 776) الذي سبق للمستشرق دي ساسي ان ذكره - قد

ترجم الكلمة ب : Pantofola, pianella ولم تكن هذه الكلمة مجهولة في اوربا . ولكن يخيل الي انهم في شبه الجزيرة قد استعملوا كلمة تواسم - ذلك لان بيدرو دي الكالا في كتابه مفردات اسبانية عربية ، يترجم الكلمة الاسبانية Calçon بكلمة توازن ا كذا ، وجمعها توازانات .

الثبات وجمعه الثبايت

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

واذ انها مشتقة من الفعل العربي ثبت - فقد كانت تعني في الإندلس - ما يعطي القوة والاعتدال للقدم . ومعنى ذلك الخف او النعال ، راجع بيدرو دي الكالا ، في كتابه مفردات اسبانية عربية ، حول هذه الكلمات :

« Calçado con çapatos, calçado comun, çapato » . ومن هذه الكلمة العربية اشتقت الكلمة الاسبانية (Zapato - çapato) تباتو . كما لاحظ Guadix ذلك ، بنفاذ بصيرة تبعث على الإعجاب الاب وديكو دي اوربا . لدى كوياروفياس . كنز اللغة القشتالية . مدريد . 1611 . ص 264 . مج 1 . . وان الكلمة الفرنسية Savate سافات مشتقة من الكلمة الاسبانية Zapato . وقد كتب دونباي في كتابه النحو المغربي العربي . ص 82) هذه الكلمة سباط او سباط . مع حرف السين وحرف الطاء . ولكنني لا اعتقد بصحة هذا المنحى .

الثربة جمعها الثراب ، الثردة جمعها الثراد

لا وجود لهذه الكلمات في القاموس .

ويترجم بيدرو دي الكالا . في كتابه . مفردات اسبانية عربية : Botin de la muger بوتان دي لا موخير بشرية وثراب . كما يترجم كذلك بوتان اسي Botin assi بشردة وثراد . اذن فهذه الكلمة تشير الى خف امرأة .

(1) ان كلمة تاج تعني كذلك نوعا من زينة الراس تحمله النساء العربيات والذي نستطيع ان نراجع بشأنه مراجعة مثمرة لسن في ترجمته الف ليلة وليلة . ج 1 : ص 424 . وبهذا المعنى تصادف هذه الكلمة في مقتطفات من قصة عنتره ..)

الثوب فى اللهجة المصرية التوب

وجه الاحتمال الا الكلمة العربية (الثوب) او
(التوب) .

لا وجود لهذه الكلمة فى تقاموس بالمعنى المراد .

الجبة وفى اللهجة المصرية الجبة (بالكسر)

انا واجدون فى صحاح البخاري (ج 2 ، مخ
356 ، ورقة 167) بايين عنوان الاول منهما :
(باب من لبس جبة ضيقة الكمين فى السفر) :
« انطلق النبي صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم اقبل
فتفتيته بقاء فتوضا وغسل فى جبة شامية فمضمض
واستنشق وغسل وجهه فذهب يخرج يديه من كفيه
فكانا ضيقين ، فأخرج يديه من تحت الجبة فسلهما
ومسح يديه برأسه وعلى خفيه » . كما نجد فى باب
لبس جبة الصوف فى الغزو .. قال : « كنت مع
النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فى سفر فقال:
امعك ماء ؟ قلت « نعم » فنزل عن راحلته فمشى
حتى توارى عنى فى سواد الليل . ثم جاء فأفرغت
عليه الاداة ففسل وجهه ويديه وعليه جبة من صوف
فلم يستطع ان يخرج ذراعيه منها حتى اخرجهما من
اسفل الجبة ففسل ذراعيه ثم مسح برأسه . ثم
اهويت عليه لانزع خفيه فقال : « دعهما فاني ادخلتهما
طاهرتين » فمسح عليهما - والحديث الاخير يرويه
عروة بن المفيرة .

وقد ورد فى مجمع الانهر اط القسطنطينية ،
ج 2 ، ص 258) : « روي ان النبي صلى الله عليه
وسلم لبس جبة مكفوفة بالحرير » .

ان هذه العبارات ترقى الى العهد الاسلامى
الاولى . ولكن قبل ان نضرب فى شعاب هذا البحث
لا يبدو من العقم ملاحظة ان الجبة من حيث هيئتها
تشابه قبيلا او كثيرا اردتينا الليلية
Nos robes de chambre ولكن طراز العصر السائد
قد غير من طولها ومن نوع نسيجها - الخ . ولنبدأ
بسورية . ولما كان كوتوفيك قد قال فى كتابه
(الرحلة ، ص 485) فى معرض حديثه عن ثياب
الشرقيين بصورة عامة : « ان الثوب القطني يلبسه
بعضهم مسبلا حتى الاقدام - ويرتديه بعضهم
مسبلا حتى منتصف الساقين - ففى حين انه من

ونحن نعلم ان كلمة توب تعنى منبوسا بصورة
عامة ، ولكن له فى هذا اليوم معنى خاصا فى مصر .
فكلمة توب ، حسب تقرير لين فى كتابه (المصريون
المحدثون ، ج 1 ، ص 61) تشير الى نفس اللبوس
الذى تشير اليه كلمة سبلة ، ومعنى ذلك رداء واسع
فضفاض عرض رذنيه يساوي على وجه التقريب
طول الجلباب نفسه ، وهو مصنوع من الحرير ولونه
لون القرنفل فى معظم الاحوال او لونه وردي او
بنفسجى وترتدي النساء هذا الرداء حين يردن
مفادرة منازلهن ليؤلفن التزيرة . ومعنى ذلك الحلة
التي يضعنها فوق اردتيهن الاخرى . وبوسعنا رؤية
هيئة هذه الكسوة فى كتاب لين (الصفحة 64 ،
الصورة اليسرى) . والنساء غالبا ما يلففن رؤوسهن
باردان هذا الكساء ، اما لتسوية هندامهن واما لاحلال
هذه الكسوة محل الطرحة . اراجع الصورة اليمنى
فى كتاب لين ، ص 64 و 65 و 66) .

ان كلمة توب او ثوب لم تكتسب هذه او تلك
هذا المعنى الا حديثا . فان الكونت دي شابروول لا
يسمى الكساء الواسع الفضفاض للنساء الا بكلمة
سبلة : ولم اقع ابدا على كلمة توب بهذا المعنى لدى
المؤلفين العرب . حقيقة اني زعمت مواجهة كلمة
توب فى بضع عبارات من كتاب الف ليلة وليلة ولكن
تمحيصا اعمق جعلني اعترف بأن رأيي لم يكن قائما
على اساس .

ان للطوارق قميصا من نسيج القطن غاية فى
السعة والفضفة ، وهو فى الاغلب الاعم ازرق او
ابيض ، وله ردتان هائلتان . وهم يسمون هذا
القميص Tobe او Tob . راجع هونمان فى كتابه
(مذكرات حول رحلة من القاهرة الى مرزوق ، ص
69) . وراجع كذلك النقيب ليون فى كتابه (اسفار
فى الشمال الافريقي ، ص 110) . وانظر اخيرا
دنهام وكلايرون فى كتابيهما (اسفار ، ج 1 ، ص
251) . ان كلمة Tob او كلمة Tobe ليست على

رحلات ، ص 393) فان هذا الجوابه يعبر عن الموضوع بهذه الكلمات : « يرتدي هؤلاء القوم بدلا من سترة القرون الوسطى (Eines Wammes) سترة طويلة (Leibroek) اقصر قليلا من الجهة الامامية منها من الجهة الخلفية - وهي مصنوعة من الجوخ الاحمر او الازرق او السنجابي » .

ويصف الكونت دي شابرول في كتابه ا وصف، مصر، ج 18، ص 103) على هذا المنوال الجبة فيقول، « الجبة هي رداء آخر مفتوح كذلك - ويوضع فوق الرداء الاول وهو القفطان . ودنا الجبة قصيران بالنسبة لردني القفطان . وتبطن الجبة في الشتاء ببطانة من الفرو » . ونقرأ في كتاب لين (المصريون المحدثون : ج 1 ص 41) كما يقرأ في ترجمته لالف ليلة وليلة (ج 1 ص 485) : « ان السرداء الاعتيادي الفوقاني هو قباء طويل من الجوخ المنون كيفما اتفق . ويسمى الاتراك هذا القباء الجبة Jubbeh ويسميه المصريون Gibbeh . ولا تصل ردنا هذا القباء حتى المعصم » . ويسمى لين الجبة ثوبا فوقانيا بالنسبة للقفطان الذي يلبس تحت الجبة Djibbah . ومع ذلك فالقوم يرتدون فوق الجبة اما بيضا واما فرجية واما عباءة . وبوسعنا رؤية هيئة الجبة في كتاب (المصريون المحدثون، ج 1، ص 40 : الفرد الاوسط) . وعلي قبل ان اغادر مصر ان لاحظ كذلك ان جبة رهبان القديس انطوان - كانت تختلف اختلافا جوهريا عن الجبة المصرية من حيث انها لم تكن مفتوحة من الجهة الامامية . وبعد (فانسليب) بين ثياب هؤلاء الرهبان جبة او قباء من الصوف الادكن . وهذه الكسوة مخيطة خياطة غليظة عدا كونها غير مفتوحة من الجهة الامامية » . راجع قصة جديدة لرحلة الى مصر - ص 307 . وكانت الجبة في القديم مستعملة في مملكة مراكش - ذلك لان مؤلف تاريخ المرابطين والموحدين في كتابه الموسوم بالحلل الوشبية (مخ 24 ، ص 9) يعد بين الهدايا المنوحة من قبل الامير يوسف بن تاشفين لعمه ابي بكر بن عمر خمسين جبة اشكرلاط ملف

الجهة الخلفية اقصر قليلا من جهته الامامية - فاننا لا يخالفنا اي ريب في ان العبارة التالية للمؤلف روفول تفسر اللباس الذي نتحدث عنه الآن . فان هذا الرحالة يقرر - في معرض حديثه عن سكان طرابلس الشرق في كتابه (وصف حقيقي للرحلات ، ص 49) : « وتحت هذا القباء يلبسون ايضا ثوبا آخر - مصنوعا من الجوخ - هو في المادة أزرق اللون - لاسيما لدى الجنود - وهو اقصر من الجهة الامامية منه من الجهة الخلفية - وله ردفان واسعتان - على انه محروم من الياقة » . ويقول كوتوفيسك في (كتابه القيم المذكور) انه (Collariis caret) وارى ان عبارة داندنسي التالية في كتابه (رحلة من جبل لبنان ، ص 40) وهو يتكلم ايضا عن سكان طرابلس الشرق تخص الجبة كذلك . قال : « ان لهم ستريتين . السترة التحتانية وهي الجلباب مع حزام » . (اما السترة الفوقانية فهي العباءة) . ويذكر ريشتر في كتابه (رحلة الى الشرق الاوسط ، ص 123) من بين الالبسة التي اقتناها - للمضي من بيروت الى قلب سورية « جبة حمراء Dshübbeh rouge » وهي عبارة عن (ردفنوت Redingote بلا بطانة) .

اما في مصر فقد كانت الجبة مستعملة كذلك - وما برح المصريون يرتدون هذا اللباس حتى في ايامنا هذه . فنحن نقرأ لدى النوري (تاريخ مصر، مخ 2 ، ص 32) : « وكانت الخلعة جبة عتابي (1) حمراء وفوقها فرجية » . كما نقرأ لدى ابن ابياس (تاريخ مصر ، مخ 367 ، ص 281) : « وكان السلطان لابسا جبة صوف بيضاء . »

وهذه الكلمات نفسها موجودة بعد ذلك (ص 288) . وفي كتاب الف ليلة وليلة (ط هايبخت، ج 3 ، ص 139) نرى وصف جبة صياد فقير على هذه الصورة : « جبة فيها مائة رقعة من الصوف الخشن وجيش من القمل المذنب » . لا ريب ان الموضوع هو موضوع الجبة في العبارة التالية للرحالة هيلفريش في كتابه المعنون (تقرير واقعي مختصر عن

(1) راجع حول كلمة عتابي - كاترمير (تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ، ق 1 ، ص 241 ، و ج 2 ، ق 1 ، ص 70) لترى ان هذا القماش قد استعمار اسمه من اسم شارع في بغداد - كما لاحظ ذلك دي كايانكوس في كتابه (تاريخ السلالات المحمدية في الاندلس ، ج 1 ، ص 358) .

رفيع (1) ولكنني اكاد اجزم ان هذا اللباس لم يكن يرتديه عرب هذا القطر - منذ القرن الخامس عشر حتى ايامنا هذه . وما زالت الجبة مستعملة لدى نساء مدينة الجزائر ومدينة تونس . اراجع بانته - في كتابه رحلة - ج 2 : ص 10 من الترجمة الهولندية .

وكانت الجبة مستعملة في الاندلس - واليك ما نقرا لدى المقري ، نفع الطيب - مخ غوتا - ص 373) : « وراى ان يلبسوا في الفصل الذي بين الحر والبرد المسمى عندهم الربيع من مصبهم جياب الخز واللحم والحرر » . هذا راى الموسيقار الشهير زرياب - الذي قدم الى الاندلس في ايام حكم عبد الرحمن الثاني (1) .

ويقول بيير مارتير في قصة سفارته الى مصر - خلال عام 1501 - الموجهة الى فرناند وايزابيلا : سفارة بابلية - ص 104) : « ان ثياب المقوم الفوقانية هنا تختلف قليلا عن ثياب غرناطيتكم التي يسمونها الجبوبة ويسمياها الاسبان *Marlotas* مرلوطة » .

وتستعمل الجبة كذلك في الجزيرة . . اراجع بكنكهام (اسفار في بلاد ما بين النهرين ، ج 6 ، ص 343) الذي كتبها جبه *Jubba* .

وتلبس الجبة في مكة المكرمة حتى ايامنا هذه - اذ ترتدى فوق البدن - وهي مصنوعة من الجوخ الخفيف - او من نسيج الحرير الهندي . وفي ايام الحر الالهية لا يرتديها الناس مطلقا - ولكنهم يطرحونها على الاكتاف . اراجع بركهارت في كتابه : اسفار في الجزيرة العربية - ص 335 و 336 : ج 1) وفي المدينة المنورة حيث يرتدي الفقراء ايضا هذا الرداء نرى الجبة مصنوعة من الجوخ . (المرجع السابق ، ج 2 : ص 242) .

لم نتحدث حتى هذه اللحظة الا عن جبة *Djobbah ou djibbah* الرجال - فيرتب علينا الان ان نمنح بعض التفاصيل جبة النساء . يقول لين عن اليك في كتابه : المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 58 : « ان النساء المترفات يرتدين جبة من الجوخ ومن المخمل او من الحرير - وهي عادة مطسرة بالذهب او بالحرير الملون - والفرق الرئيسي بين

(1) ان كلمة ملف التي ربما كان يلفظها اللافتون (ملف) والتي تلفظ هذا اليوم (ملف) تشير في بلاد البربر الى نفس النوع من هذا القماش . اراجع هوست (اخبار من مراکش - ص 269) فانه يقول ان ملف انجليس) الجوخ الانكليزي - واملف فلامينك (الجوخ الفلمنكي) الهولندي -) ويترجم دونباي في كتابه : النحو المغربي العربي . ص 83) كلمة ملف الى بانوس *Pannus* وحسب تقرير النقيب ليون في كتابه : اسفار في الشمال الافريقي - ص 315) فان كلمة *Melf* تعني في سخنة (الجوخ) . ونقرا في رحلة ابن بطوطة (مخ دي كايانكوس ، ص 138) : « وتكسى باللبد او الملف » . وفي مكان آخر (ص 151) : وفيها كرسي كبير مبطن بالملف يجلس فوقه قاضيهم . وبعد ذلك (ص 152) : « فرأيت شيخا حسن الوجه واللثة عليه لباس الرهبان وهو الملف الاسود » (في القسطنطينية) . وفي نفس المرجع : « شقة ملف من عمل البنات وهو اجود انواعه » . وفي موضع آخر (ص 155) : « قد كسيت حيطانها بالملف الملون » . وبعد ذلك (ص 286) : « عليهم جياب الملف الاحمر » . واخيرا (ص 185) : « ستور ملف » . ويترجم بيدرو دي الكالا في كتابه المعنون (مفردات اسبانية عربية) كلمات *Orillo de paño* ب (حاشية الملف) . ونقرا في الاحاطة لابن الخطيب (مخدى كايانكوس ، ص 32) الخبر التالي : « اشترى ملفا قبلها فانتقصت كما يجري في ذلك فدرعها بعدالبل فانتقصت فطالب بذلك بائع الملف فاخذ يبين له سبب ذلك فلم يفهم .

وبلاحظ ان ابن الخطيب يستعمل هذه الكلمة بصيغة التأنيث ويستعملها ابن بطوطة بصيغة التذكير . ومع ذلك فيوسعنا ان نفترض ان المؤلف حين كتب كلمة (ملف) فكر حينئذ باسم لباس لجنس النساء - وعلى سبيل المثال في كلمة جبة . والواقع ان المؤلف نفسه في موضع آخر (المخ . ص 14) قد عد بين الاقمشة التي يرتديها الفرناطيون الملف المصبوغ . وهكذا نرى كلمة ملف في صيغة التذكير .

واليوم تشير كلمة ملف (*mleff*) في مالطة الى رداء قرمزي للاطفال . (اراجع فاسيلي في كتابه : قويميس مالطي . مج 509) .

وفي مصوع يلفظ الناس كلمة جبة كلفظ اهالي
صر لها . وهذا اللباس يصنع فيها من الجوخ المون
(روبل - رحلة الى الحبشة - ج 1 ، ص 200) .
والجبة كانت شائعة الاستعمال بين التركمان . فنحن
نقرأ لدى فريرز في كتابه « رحلة الى خراسان -
ص 266) : « عندما يشتد البرد ترتدي النساء فوق
ما يرتدين جبابا او اردية شبيهة بأردية الرجال -
وهي مصنوعة من نسيج الحرير او من القطن المخطط » .
ويضيف الرحالة الى ذلك ملاحظة : « ان الجبة هي
رداء واسع فضفاض يلتحف به - وهذه الجبة لها
ردنان مضموطان على الرسفين - ولكنهما واسعان
من الجهة العليا - وهي مفتوحة من الجهة الامامية
وواسعة سعة مفرطة بحيث يمكن طيها طيات عديدة
حول الجسم . كما يمكن طرح هذه الجهة على الاخرى .
ولهذه الجبة شبه كبير بالبيرونة الفارسية
Le baroonee ولكنها تصنع عادة من الاقمشة
الفليظة . والجبة الخراسانية تعمل في معظم الاحيان
من الصوف الاسمر او الضارب الى الحمرة - وقد
تصنع كذلك من وبر البعير . وهي دثار فاخر جدا -
ذلك لان حياكتها المحكمة لا تسمح بنفاد المطر فيها
بسهولة - وهي تقي صاحبها كثيرا من المطر » .
وبعد ذلك نقرأ : « اما الفقراء من الدرجة السفلى
في الادقاع فيرتدون جبة قصيرة او قميصا من
الصوف » . ونطالع كذلك : « بعضهم يرتدي الزي
الوطني التركماني او الازبكي الذي يقتصر على عدة
أردية او جباب تعلق الركب قليلا وترتبط بحزام -
والقمماش الذي تصنع الجباب منه امشاج من الحرير
والقطن مخططة بخطوط زرقاء وارجوانية وحمراء
وخضراء - والاتراك يحافظون على زهم الخاص
محافظة تامة وذلك بارتدائهم الجباب المنسوجة من
وبر البعير فوق البستهم في معظم الحالات » .

وما تزال الجبة مستعملة لدى من يدعون
Les Guèbres من اتباع زرادشت - يكتون
في ايران والهند) راجع فريرز - المرجع السابق -
ص 22) كما بقي استعمالها لدى الازبكيين في
شيوا Chiwa المرجع السابق - ص 68 .
والمصريون يتمثلون بهذا المثل حتى يومنا هذا :
« صقل جيته وتغش لحيته » ، حين يريدون ان
يقولوا ان فلانا قد استعد للقيام باحدى المهمات .
راجع ابركهارت - الايصال العربية - ص 367 .
ومن هذه الكلمة العربية « جبة » استنبط
الاسبان Aljuba, jupa, chupa, jubon

هذه الجبة وبين جبة الرجال ينحصر في انها
ليست غاية في الاتساع - وهذه الحالة بادية على
وجه الخصوص في الجهة الامامية، وطولها طول
اليك » . ا ومعنى ذلك انها تلامس الارض او انها
اطول من ذلك بنحو عقدتين او ثلاث عقد فهي تكنس
اديم الغبراء) . وفي الصورة التي يعرضها لين (ج 1 ،
ص 57) عن جبة المرأة - نرى ان رديها يكادان يبلغان
حد المعصمين . ولم يمض زمن طويل على مصر
يوم كان ردنا الجبة لا يصلان الى الساعدين - كما
نستطيع ان نرى ذلك في اطلس اوليفيه : اللوحة
المرقمة 26 ، رحلة الى الامبراطورية العثمانية ومصر
وفارس) وفي (مصور وصف مصر ، ج 2 ،
اللوحة 293) .

والواقع اننا نقرأ لدى الكونت دي شابرول
(وصف مصر ، ج 18 ، ص 113) : الجبة رداء
يسبل على ثياب اخرى . وللجبة ردنان غاية في
القصر - وهي مبطنة بالفراء شتاء - فهي حينئذ تأخذ
اسم (وجه فروة)
Ouech faroueh

ولعل دانديني في كتابه (رحلة من جبل
انان ، ص 48) يتحدث كذلك عن الجبة الخاصة
لنساء طرابلس - حين يقول ترتدي النساء جبة
اقصر من جباب الرجال - بدل ما يدعى السبان
Spain او العباءة Abb

ويبدو ان جبة المرأة في الازمنة القديمة كانت
كذلك اقصر مما هي عليه الآن . راجع (مصور وصف
مصر ، ج 2 ، اللوحة 266) . ويتحدث ريشتر في
كتابه (رحلة الى الشرق الاوسط ، ص 212) عن
جبة نساء بدو سورية (Dshūbbeh) التي لها
لون الشوكولاته عادة » . ويضيف قائلا : « ان هذا
اللون عزيز على قلوب الرجال ايضا » . اما في مصر
فيستبان ان السيدات كن يرتدين ايضا جبة عصر
مارمول - لانني ارى ان العبارة الثانية لهذا المؤلف
تشير الى هذا اللباس موضوع البحث (وصف
افريقيا ، ج 3 ، ص 112) : « ان لهذه الصبايات
Las sayas هيئة الجباب التركية » .
(Aljubas turques) وارى ان المؤلف يضيف
ما يضيف لتمييزهن من الجباب الفرناطية المسبلة
حتى الاقدام - والمشغولة من مختلف انواع الحرير -
او المنسوجة من الذهب او المكفتة به . وترتدي
النساء كذلك الجوخ ذا الاكمام الضيقة المطرزة باسراف
بالذهب والحرير » .

واشتق البرتغاليون Aljuba
واحدث الايطاليون Giuppa و Giuppone
واستحدث الفرنسيون Jupou و Jupe

الجديل والجديلة

حسب رأى الجوهري (ج 2 ، مخ 85 ، ص 188)
يدعى الوشاح فى معظم الاحيان جديلا (Ceinture)
ويورد اللغوي بهذا الصدد بيتا من الشعر نجده ايضا
فى الحماسة (ص 556) - حيث يقول التبريزي ان
الجديل مصنوع من قطع الجلد - وهذه القطع مبرومة
على بعضها . وتستمع لها الجوارى والاماء فقط - ولا
تستمع لها النساء العربيات . اما رأى القاموس
اطلكتنا - ص 1411) فهو ان (الجديلة شبه ارب من
ادم ياتزر به الصبيان والحيز) . وانى اشك كل
الشك ان كلمة جديلة فى هذا المعنى تعنى نوعا من
الحزام - بل ارى ان الكلمة تشير الى نوع من
السراويل .

فرج ما عندنا ما يصنع فيها الى ان وقمنا بغيرها .
فلم يفهم . فلما يئست منه تركته وانصرفت . ونحن
نرى من هذه العبارة ان الجربية تعنى نوعا من الجبة
ذات الكمين . ومارمول فى كتابه وصف افريقيا (ج 2 ،
ص 40 ، مخ 4) يكتب الكلمة حريفيا Gerivia
ولكن الوصف الذي يصف به هذا الملبوس لا ينطبق
كل الانطباق مع كلمات ابن الخطب . ويقول فى وصف
اعليم غزولا Gezoula فى مملكة مراکش « ان الزي
الاعتيادي لهؤلاء الناس ينحصر فى الجريبات
Gerivias الصوفية - وهي ضيقة لا اكمام لها ولا
ياقة - وتسدل حتى الركب - ويرتديها الناس فوق
الجلد مباشرة » .

وانى اجهل ما اذا كانت كلمة الجربية هي نفس
كلمة Gerba التي ذكرها النقيب ليون فى كتابه
(رحلات فى شرقي افريقيا - ص 6) التي يقول عنها :
« انها قفطان ذو كمين قصيرين - وان الناس يرتدونها
غالبا بدلا من البيش او البنش » . « Beneish » .

الجريد

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس بالمعنى المراد .

ويقرر النقيب ليون فى كتابه (رحلات الى
الشمال الافريقي ، ص 39) ان العرب فى طرابلس
الغرب يصنعون البركانات Barracans الى ثلاثة
اصناف . فاغلب هذه الاصناف يدعى Aba والاراق
هو الجريد Jereed اما اوسط الثلاثة فاسمه خولي
Kholi . والجريد يرتدي ايضا فى مرزوق ، من
قبل الرجال والنساء على حد سواء (المرجع السابق ،
ص 170 ، 171) .

ان كلمة جريد هي بدون شك من اصل عربي .
وان فعل جرد يعنى الخ .

Scalpsit, abrasit ; mundavit gossipium

ان صيغة جريد بوسمها ان تعبر عن اسم المفعول
كصيغة قتيل ، المشتقة من فعل قتل . فافترض اذن

الجربية

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويقص علينا ابن الخطيب فى (الاحاطة -
دى كيانكوس - ورقة 32) عدة امثلة على غفلة العلماء
فى مناسبات بسيطة للغاية - والمؤلف يروي لنا حكاية
تحكى لخياط من تونس : قال لى ابو الحسن حاسم
من قرطاجنة (وهو مؤلف المقصورة المشهور) ان
المستنصر خلع على جبة جربية (كذا) من لباسه
وتفصيلها ليس من تفصيل اثوابها بشرق الاندلس .
واريد ان تحل اكمامها ونصيرها مثل ملابسنا . فقلت :
وكيف يكون العمل ؟ فقال : نحل رأس الكم ويوضع
الضيق بالأعلى والواسع بالطرف . فقلت : وبما يحير
الاعلى [1] ، فانه اذا وضع فى موضع واسع سطلت علينا

(1) يخيل الى وجوب ترجمة الفعل يحير على هذا المنوال الذي اللفظ الكلمة به (يحير) . وانظر فى
القاموس الصيغة الخامسة لهذا الفعل . ونقرأ فى الكتاب الممنون (اخبار الملوك) (مخ 639 - ص 131) :
وامر المعتمد عبد الجليل بن وهبون ان يحير البيت الاول . وارى من المعتم على ان احل فعل
يحير محل الفعل (يحير) بحيث يكون المعنى : « امر الامير الشاعر اجازة البيت الاول باضافة
بيت ثان » . لعل المؤلف اراد فعل (يجيز) فتوهم فكتبها (يجير) المترجم .
وقع المؤلف فى وهمين . الوهم الاول انه اراد ان يقول بوجوب احلال فعل (يجير) محل الفعل
(يحير) فقال العكس . والوهم الثانى انه اراد ان يقول (يجيز) فقال (يجير) المترجم .

وجوب اضممار اسم الموصوف (بركان) وعلى وجه الاحتمال نقول كان يقال فى الماضى (بركان جريد) .

الجرز

اننا نقرا لدى الجوهرى (ج 1 ، مخ 85 ، ص 388) : الجرز بالكسر لباس من لباس النساء من الوبر ويقال هو الفرو الغليظ . كما نطالع فى القاموس (ط كلكتا ، ص 699) : لباس النساء من الوبر وجلود الشاء .

الجرموق

ارجع كلمة سرموجة .

الجزويرة وجمعها الجزاور

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس ، ولم اقع عليها الا فى لهجة مالطة .

ولكن توجد هذه الكلمة وجمعها جزاور فى كتاب فاسالى ، فويميس مالطي ، مج 311 ، وقد لاحظها هذا اللغوي ، وهو مجمع ، كما نعلم ، عربى اصولي صميم ، مصوغ صياغة الاسم الموصوف الرباعى . وهذا ما يجعلنا نشك فى ان كلمة جزويرة هي من اصل عربى ، ومع ذلك فلست مؤمنا بذلك ، ويخيل الي ان كلمة جزويرة ليست الا تحريفا قويا بعض القوة فى الواقع ، للكلمة الايطالية Giustacuore

وايا كانت الحالة ، فان الجزويرة ما زالت ترتدي حتى يومنا هذا من قبل سكان مالطة العرب . وفى كتاب فيسيكه (رحلة الى الشرق ، ص 6) يجسري البحث حول الكزويرة ، التنورة المفتوحة من احدى الجهات ، التي ترتديها المالطيات .

وقد تفضل اماري Amari الصقلي المولد فاعلمني ان ما يدعى فى مالطة بالجزويرة هو تنورة صغيرة من النسيج المخطط بخطوط زرق وبيض ولها طيات صغيرة . وهي مفتوحة من احدى الجهات ومشدودة بشرائط صغيرة .

الجششير

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وهي من اصل تركي جششير ، او على الوجه الاصح

جاششر وتشير الى : بنطلون من الجوخ . ويعبر دارفيو عنها بهذه الكلمات فى كتابه (رحلة من فلسطين صوب الامير الاعظم) فيقول : « تحت هذا القفطان وفوق الثبان المنسوج يرتدون Chakchier او بنطلونا من الجوخ الاحمر نهايته من السختيان الاصفر . ويجب ان تكون هذه البنطلونات دائما من اللون الاحمر او الارجواني او البنفسجي والا تكون ابدا من اللون الاخضر ، لان محمدا كان يحب هذا اللون ، وان ذرائعه يحملون العمامة الخضراء ، والناس يعتقدون بايدانه اذا لبسوا الثياب الملونة باللون الاخضر ولم يكونوا من احفاده . وهم يعتبرون الفرس هراطقة بارتدائهم السراويل والتباين الخضر » . ويشرح نيور فى كتابه (رحلة الى الجزيرة العربية ، ج 1 ، ص 152) كلمة Schakschir بأنها « سروال احمر واسع الفضضة » . ويخطئ من يقرأ شرششير فى كتاب (وصف مصر ، ج 18 ، ص 107) . ويفسر الكونت شابرول هذه الكلمة بأنها : « سروال شتائي من الجوخ » .

الجلباب - الجلباب

سلف ان راينا فى كلمة ازار - ان كلمة جلباب قد استعملت فى عبارة للبخاري بوصفها مرادفا لكلمة ازار . ونستخلص من ذلك ان الجلباب يشير الى هذه الملحفة الهائلة - التي يلتحف بها النساء فى الشرق - من الراس الى القدمين - حين يردن الخروج من منازلهن . والواقع ان الجوهرى (ج 1 - مخ 85 - ص 35) يفسر كلمة جلباب بملحفة وعلى ذلك فان الملحفة تشير الى ما يشير اليه الازار . ويضيف اللغوي الى ذلك قائلا : قالت امرأة من هذيل ترثي قتيلها :

تمشي النور اليه وهي لاهية

مشي العذارى عليهن الجلابيب

ولعل ابن خاقان كان ينظر الى معنى الكلمة نفسه حين قال ا لدى هوكفليت - مقتطفات من كتاب - مختلفين حول اسرة الافطيين المالكة والشاعر ابن عبدون - ص 47 :

وغدا مصرعهم من نجيمهم وارس الجلباب

وتشير هذه الكلمة - حسيما ورد فى القاموس (ط كلكتا - ص 58) الى قميص - والى ثوب واسع للمرء دون الملحفة - فهو فى هذه الحالة نفس الثوب الذي يدعى هذا اليوم فى مصر سيلة او (توب) - او هو اخيرا الخمار نفسه .

في هذه الحلابية ثقب من الجهة العليا ومن الجوانب
لاجل ادخال الراس والذراعين .

ومن المحتمل الا تكون هذه الكلمة قد اشتقت كليا
من كلمة جلاب - وان هذا النوع من القمصلة
Camisole او الدراعة قد اشتق اسمه من الكلمة
البربرية Thelebeh التي تعني حسب قول فنتور
في كتابه (رحلة هورنمان - ج 2 - ص 440)
توبا . Habit .

الجمازة ، الجمازة

اننا نجد في طبعة كلكتا للقاموس ، وفي افضل
مخطوطة من مخطوطات ليدن لهذا السفر . ان الحرف
الاول عليه فتحة . ولكن الجوهرى ج 1 ، مخ 85 ،
ص 389 ، ينص نفا قاطعا على ان : « الجمزة بالضم
مدرعة صوف . ويضيف الى ذلك قائلا :

قال انراجز :

يكفيك من طاق كثير الايمان

جمازة شمر منها الكمان

ويرى القاموس ان كلمة جمازة تشير الى سترة
او (دراعة من صوف) قمصلة :
Une veste ou camisole en laine .

الجننة

اننا نقرا في القاموس اط كلكتا ، ص 1734) :
« الجننة كل ما وقى وخرقة تلبسها المرأة تغطي من
راسها ما قبل ودبر غير وسطه وتغطي الوجه وجنبي
الصدر وفيه عينان مجويتان كالبرقع » .

الجنينة

يرى القاموس (ط كلكتا ، ص 1734) ان
« الجنينة هي لباس من حرير على هيئة الطيلسان .
(الجنينة مطرف كالتيلسان) .

الجنيسل

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ويقرر ديكو دي هيدو في كتابه (خطط مدينة
الجزائر ، مج 4 ، ص 27) ان النساء في الجزائر
يضعن فوق البنائة ثلاث زينات للرأس . الزينة الثانية

وعلى كل حال فقد كان يشير قديما الى ثوب
ترتديه النساء . ويخيل الي ان هذه الكلمة قد اكتسبت
في الازمة الساخرة مفهوما خاصا مختلفا في المغرب .
اذ يقرر شو Shaw في كتابه : (رحلة الى بلاد البربر
والشرق ، ج 1 - ص 322

« Reizen door Barbarijen en het Ooste

ان كلمة الـ Jillebba تشير
الى نوع قمصلة Camisole بكمين او بدون كمين -
ولكنها تختلف قليلا عن قباء Tunique الرومان .
وهذه القمصلة تشد بالحزام خصوصا في اوقات
العمل وهي ترتدي تحت الحيك . وانني اعتقد ان
كلمة Jillebba هي كلمة جلاب العربية التي يتر
منها الحرف الاخير . وقد زاد تيفنو هذه الكلمة انسادا
في كتابه قصة رحلة الى المشرق - ص 53 15 حين
كتبها Jillet . وهو يقول في معرض وصفه لمدينة
تونس : « ليست ملابس البربر مشابهة تماما لملابس
الأتراك لانهم بدلا من البذلة العسكرية المزركشة
يرتدون قمصلة يسمونها Camicole ويكتبها مؤلف
المهمة تاريخية في مراکش - ص 71 - مج 2 - ص
73 - مي 1 - ص 320) هكذا Chilivia وهو
يعتبرها سترة صغيرة من قماش غاية في الغلاظة .
لها كمان ضيقان ومزودة بقبع كقبع الرهبان الكوشيين
مزفتة لوقاية الراس - وهذا الثوب قصير بحيث انه
لا يتعدى الحزام » . وتقرأ في رحلة وندس (رحلة الى
مكتاس - ص 29) « ان المغاربة الاشد ادقاعا يرتدون
لباسا يدعى Gelebia وهو مصنوع من قماش
صوفي غليظ - وهذا الثوب لا اكمام له - ولكنه مزود
بثقب لامرار الذراع فيه - وهو يتدلى حتى يبلغ
الركبتين - ويلتف كيفما اتفق حول الجسم على هيئة
كيس » . ويكتب ريلي الكلمة في كتابه (بوار تجارة
السفن الشراعية) ص 197 - 198 - 248) هكذا
Galabbia وهو يراها عاءة من الصوف لها كمان
قصيران ومزودة بقبع كبوشي . اما علي بيك في
كتابه (الاسفر - ص 278 - ج 2) فيكتب الكلمة
على هذا الميثال Djilabia وهو يعتبرها قميصا
او عباءة (Shirt or cloak) من قماش مخطط
بخطوط دقيقة بيضاء وسوداء . ونطالع في كتاب
كراير دي عيسوامرأة جغرافية واحصائية للامبراطورية
المراكشية - ص 82) ان طبقة الدهماء في مراکش
والثغراء يرتدون لباسا واحدا وهو على هيئة كيس من
القماش الغليظ ويدعى Gellabia : « وقد قورت

الجوب

يفسر الجوهري (ج 1 ، مخ 85 ، ص 37) هذه الكلمة بكلمة (بقيرة) . ويفسر القاموس اط كلكتا ، (ص 60) هذه الكلمة بأنها (درع المرأة) .
Une chemise de femme .

الجوخة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ولكن دونكم باديء الامر مقالة شائقة للمقريزي (وصف مصر ، ج 2 ، مخ 372 ، ص 350) : « سوق الجوخيين : هذا السوق يلي سوق اللجميين . وهو معد لبيع الجوخ المجلوب من بلاد الفرنج (2) لمعمل المقاعد (3) والستائر وثياب السروج وغواشيم (4)

هي شبه عصاية (Trançado morisco) موريسكية من نسيج حريري دقيق مسترسل للغاية وهو يشبه ما يسمى Cendal ويكون عادة ملونا . وهن يلففن هذه الزينة حول رؤوسهن كما هي حالة الزينة الاولى تاركات الاطراف مسبلة فوق الاكتاف حتى موضع الحزام ، وهن يسمين هذا النوع من القلانيس Chimbel (Este tocado) ولا ارتاب مطلقا في ان نساء مدينة الجزائر العريبات قد صفن كلمتهن (جنبل) من الكلمة التركية

(جنبر) التي هي الكلمة ذاتها بالتمام ، مع استبدال الراء باللام ، هما حرفان من نفس الطبقة والصفة . والعرب والفرس والأتراك يلفظون النون امام الباء مثل الميم وليس مثل النون . اذن احسن ديكيكو دي هيدو صنعا بكتابة (Chimbel) وليس (Chinbel) (1) .

(1) يقول كوياروفياس حول كلمة صندل Cendal (الكنز ، مدريد 1611) ما يلي : « قماش مصنوع من الحرير الناعم او من نسيج من الكتان الرقيق الخفيف . والذين يعتقدون بأنه مصنوع من الحرير يقولون بأن اصل الكلمة Sedal وبعد اضافة حرف النون الذي سقط تصبغ الكلمة Sendal اما الذين يقولون بأنه نسيج الكتان الرقيق فيرجحون ان اصل الكلمة هو Sindone . (نص لاتيني بنفس المال) - المترجم .

ويقول الاب Guadix بأن اصل الكلمة هو عربي مشتق من الاسم العربي صندالي Cendali والذي يعني غالبا الورق الخفيف الرقيق ، وهو الاسم الذي يطلقه العرب على الحرفي الذي يقوم بطرف صفائح الذهب الرقيقة ، وهو في الاسبانية Batihoja اي طارق الاوراق الصفائح الذهبية) . (ترجمة لويس رومانوس)
(2) لعل البلد المصدر الرئيس هو البندقية . راجع سيلفستر دي ساسي في كتابه ، (طرائف عربية ج 1 ، ص 87) ..

(3) المقاعد تعني الصفف . لانني اقرا في كتاب نادردلغاية اقتني الجزاين الاول والثاني منه (الجزء الثالث نادر) وعنوانه (Les Voyages du sieur de la Moraye en Europe, Asie et Afrique, tom. I, pag. 85) ان الصفة هي مصطبة مصنوعة من الألواح الخشبية ، وترتفع عدة اقدام عن الارض وتستند الى الحائط .

وتوضع فوقها المنادر ، وهي حشايا مغطاة بقطع من الاقمشة واسمها مكات Maccates ، ولها وسائل مغطاة كذلك ومستندة الى جدار العرفة لتتكئ عليها الظهور وتد التفت الساق بالساق ، كما يصنع الخياطون .
ان كلمة مكات Maccates التي اوردها هذا الرجال تعني بلا ريب كلمة مقاعد التي ذكرها المقريزي .

(4) من العبث كل العبث ان نتحدث عن كلمة غاشية ، بعد ان افاض في شرحها العلامة الجليل كاترمير في كتابه (تاريخ السلاطين الماليك ، ج 1 ، ص 4 - 7 ، ق 1) فقد اغترف بشأن هذه الكلمة من كنوزه الغزيرة ما لا قبل لنا بمباراته . ولكن هناك كلمة اخرى تدل كذلك على غطاء بوضع على ظهر الحصان او البغل ، وكان يصنع في الغالب من الجوخ ، فيتحتتم علي ان اقول بعض الكلمات عن هذا الغطاء .
اريد ان اتحدث عن كلمة زناري . فنحن نقرا لدى السيوطي (حسن المحاضرة) وهو يتحدث عن القضاة ومراكبهم البغال . ويعمل بدلا من الكنوش الزناري . وتقابل كلمة كنوش الكلمة الفرنسية

وتوجد كلمة جوخة في هذا النص للتويري
(تاريخ مصر ، مخ 2 ، ص 192) : ولبس السلطان
جوخة مقطعة .

هذا النص الذي يبدو منه ان المقرئ نسخه
عنه في كتابه (تاريخ السلاطين المالك ، ج 1 ، ق 2 ،
ص 63) . كما اننا نقرا لدى ابن اياس (تاريخ مصر ،
مخ 367 ، ص 37) : قلع تخفيفته ولبس عمامة .
وجوخة من فوق ثيابه . ويفسر كانيس في كتابه
(ص 171 ، نحو عربي اسباني) الجوخة بانها لباس من
الجوخ شبيه بالرداء الفرنسي الـ Redingote .

الجوذياء

يرى القاموس (ط كلكتا ، ص 436) ان الجوذياء
هي (مدرعة من صوف للملاحين) .

الجورب

تدل هذه الكلمة - حسب رأي القاموس
(ط كلكتا - ص 56) على (لفافة الرجل) .

واعتقد ان النص التالي للرحالة نيبور في كتابه
(رحلة الى البلاد العربية ، ج 1 ، ص 153) بوسعه ان
يلقي ضوءا او بعض الضوء على هذا التفسير . يقبول
الرحالة : « ان الشرقيين يلفون اقدمهم وسيقانهم
بخرق صوفية كبيرة - وفوق هذه اللفافات يلبسون
خفافهم الواسعة . وعلى ذلك فان خطواتهم ثقيلة -
ولكن هذه الخرق تدفئ اكثر مما تدفئ جواربنا . فاذا
تبليت هذه الخرق مرة - فانها لن تدفئ بعد ذلك الا
قليلا - وعلى تقيض ذلك - فان هذه اللفافات يمكن ان
توضع حول السيقان بشكل يختلف عن شكل الامس » .

ويرى ابن بطوطة (الرحلة - مخ دي كايانكوس -
ص 47) ان المسلمين يرتدون الجوارب حين طوافهم
حول الكعبة لحماية اقدمهم من الحرارة الالهية .

وادركت الناس وقل ما تجد فيهم من يلبس الجوخ
وانما يكون من جملة ثياب الاكابر جوخة لا تلبس الا في
يوم المطر . وانما يلبس الجوخ من يرد من بلاد
المغرب ، والافرنج واهل الاسكندرية وبعض عوام
مصر . فاما الرؤساء والاكابر والاعيان فلا يكاد يوجد
فيهم من يلبسه الا في وقت المطر . فاذا ارتفع المطر
نزع الجوخة . واخبرني القاضي الرئيس تاج الدين
ابو الفداء اسماعيل بن احمد بن عبد الوهاب بن الخطباء
المخزومي خال امي رحمه الله قال : كنت انوب في
حبة القاهرة عن القاضي ضياء الدين المجتنب
فدخلت عليه يوما وانا لابس جوخة لها وجهه صوف
مربع فقال لي : وكيف ترضى ان تلبس الجوخ ؟ وهل
الجوخ الا لاجل البغلة ؟ ثم اقسم علي ان اخلعها . وما
زال بي حتى عرفته ان اشتريتها من بعض تجار
قيسارية الفاضل . فاستدعاه في الحال ودفعتها اليه
وامره باحضار ثمنها . ثم قال لي : لا تمد الي لبس
الجوخ استهجانا له . فلما كانت هذه الحوادث وغلت
الملابس دعت الضرورة اهل مصر الي ترك اشياء مما
كانوا فيه من الرقة وصار معظم الناس يلبسون الجوخ .
فتجد الامير والقاضي ومن دون من ذكرنا لباسهم
الجوخ . ولقد كان الملك الناصر فرج ينزل احيانا الي
الاسطبل وعليه ممجون من جوخ . وهو ثوب قصير
الكمين والبدن يخاط من الجوخ بغير بطانة من تحته
ولا غشاء من فوقه . فتداول الناس لبسه واجتلب
الفرنج منه شيئا كثيرا لا توصف كثرتة . ومحلل
بيعه بهذا السرق » .

قبل ايراد ترجمة هذا النص للمقرئ ، ارى
لزاما علي ان احملكم على ملاحظة ان كلمة جوخ ، التي
اشتقت منها كلمة جوخة ، هي الكلمة التركية جوقة
التي تشير الي الجوخ . ولعل الكلمة اليونانية الحديثة
روخن مدينة بأصلها الي هذه الكلمة التركية .

لاهوس la housse . . وان المستشرق دي ساسي الذي نشر هذا النص في كتابه المنشوه به (ج 2 ، ص
297) - راجع كذلك تعليقه ، ص 270 - قد توهم في طبع الكلمة هكذا (زنادي) في حين انها (زناري) وهي
موجودة في مخطوطتي ليدن لكتاب السيوطي (مخ 113 ، ص 354 ، ومخ 376 ، ص 460) ، ولا مرية ان
الشك قد انقطع استنادا الي النص التالي لمخطوطة بخط التويري نفسه (تاريخ مصر ، مخ 19 ب ، ص
121) حيث تقرا : انعم عليه ببغلة بسرج وزناري جوخ . وقد قرأت في جزء آخر من نفس الكتاب
(مخ 2 ، ص 116) : وركب فرسا اشهب من مراكب السلطان بزنادي اطلس احمر بدائر اصفر برقية
سلطانية مزركشة وسرج سلطاني محلي بذهب .

راجع بركهارت في كتابه (تعليقات على البدو والوهابيين ، ص 121) .
راجع كذلك حول كلمة رقة تعليق « كاترمير » في كتابه « تاريخ السلاطين المالك ، ج 1 ، ق 1 ،

ص 135 » .

وهكذا نرى ان الشاعر هنا ينظر امامه الى رياض تتفوح بالازهار وتتماوج بالالوان - فيشبهها بالملايس المخططة الملونة المسماة بالبرود والجر .

ونحن نقرا في صحيح البخاري (ج 2 ، مخ 356 ، ص 128) في باب البرد والحبرة والسلة - الحديث التالي - المروي عن انس الذي يرويه هو بدوره عن قتادة . قال : قلت له اي الثياب كان احب الى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : الحريرة . ونقرا كذلك في الباب نفسه ان المرأة التي كانت عزيزة على قلب الرسول - وهي عائشة - قالت : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفى سجد ببرد حبرة .

واستنادا الى الكتاب المعنون : عيون الانار (مخ 340 ، ص 188) نعلم ان الرسول ترك فيما ترك حين توفى حبرة . ويظهر ان هذه الثياب ما كانت تصنع الا في اليمن (الجوهري - ج 1 - مخ 85 ص 276 - والقاموس ط كلكتا - ص 491) . ويتحتم علي ان اعترف ما يميز الحبرة من البرد .

وفي المصور الحديثة اصحت هذه الكلمة تدل على شيء آخر مختلف كل الاختلاف . اذ لما شعرت نساء مصر ان الازار اصبح مزريا بشموخهن شرعن بارتداء هذا الرداء الحريري - او المصنوع من التفتا او من الشال - وخلصن عليه اسم الحبرة - هذه التسمية الموجودة في كتاب (وصف مصر ، ج 18 ، ص 114) - وبوسعنا رؤية هيئة هذا اللباس في الاطلس (ج 1 - اللوحة 41) .

ونحن نرى في اللوحة العشرين من (رحلة ويتمان في تركيا الاسيوية وسورية ومصر - ص 384 : Wittman (Travels in Asiatic Turkey, Syria and Egypt) » ان النساء يرتدين رداء اسود واسما يغطي على وجه التقريب كل الجسم ويتدلى حتى العقبين » .

ويفسر بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات اسبانية عربية) هذه الكلمات Calças de muger بأنها جورب . ولعله يستعمل كلمة Calças لا بمعنى تبان Caleçon او سروال Culotte وانما بمعنى جورب Medias, calzas, bas .

المجـول

يظهر ان هذه الكلمة تشير الى ثوب صغير للمرأة . فنحن نقرا لدى الجوهري (ج 2 ، مخ 85 ، ص 191) : « المجول ثوب صغير تجول فيه الجارية . ويستشهد اللغوي في هذه المناسبة بالشرط التالي من معلقة امرئ القيس (الطويل) :

اذا ما اسكرت بين درع ومجول (1)

والدرع هو قميص المرأة الكبيرة ، والمجول هو قميص المرأة الصغيرة .

ويرى الفيروزبادي (القاموس - ط كلكتا - ص 1418) ان هذه الكلمة تشير الى (ثوب للنساء وللصغيرة) . وكان العرب القدامى يستعملون هذا الثوب في لعبة الميسر . ويقول النويري انه (ثوب ابيض) . راجع راسموسين Rasmussen ذيل تاريخ العرب قبل الاسلام - ص 28 من النص العربي .

الحبرة - الحبرة

تدل هذه الكلمة على نوع من البرد - مصنوع في اليمن - ومعنى ذلك ان الحبرة هي رداء واسع مخطط . ولذلك استطاع احد الشعراء (البتيمة - مخ لي Lee ص 14) ان يقول وهو يتلقى كتابا من احد الاصدقاء (البسيط) :

وروضة من رياض الفكر ديجها

صوب القرائح لا صوب من المطر

كانما نشرت ايدي الربيع بها

بردا من الوشى او نوبا من الحبر (2)

- (1) الشرط الاول من هذا البيت هو :
راجع شراح معلقة امرئ القيس كالروزني والشنقيطي والتبريزي وغيرهم (المترجم) .
- (2) ان كلمة وشى تشير الى نوع من القماش الثمين . فالادريسي (الجغرافية ، ج 2 ، ص 128) يعلمنا ان هذا القماش كان يصنع في اصفهان . وفي نص لابن سعيد ذكره المقري (تاريخ الاندلس مخ غوتا ص 40) نقرا : فقد اقتصت المرية ومالقة ومرسية بالوشى المذهب الذي يتعجب من حسن صنعته اهل المشرق اذا راوا منه شيئا . وفي تاريخ العباسيين للنويري (مخ 2 ، ص 150) ورد ذكر وشى اليمن ووشى قرمز . وهذه الكلمة الاخيرة تنم على ان الوشى هو نوع من (الاستقلاط - القرمزي - الارجواني écarlate) . والكلمة تدل كذلك على لباس ملون . وبوسعكم - للتعمق في هذا الموضوع - مراجعة الجزء الاول من كتابي : (تاريخ بني عباد ، ص 86 - 87 - ت 753) .

الحريم ، الاحرام

نحن نعلم ان كلمتي حريم واحرام تشيران الى نوع من القماش يستعمله المسلمون اثناء تادية فريضة الحج الى مكة المكرمة . ومع ذلك فان كلمة احرام لا وجود لها في القاموس بهذا المعنى .

ويرى وايلد في كتابه (وصف رحلة اسير مسيحي ، ص 64) ان « الاحرام Eham هو قطعة من الشعر » . وبمقدورنا رؤية هيئة الاحرام Iham في الجزء الثاني من كتاب (صورة عامة للامبراطورية العثمانية لمرجي دوسون Mouradgea d'Ohsson .

واخذا بوجهة نظر احد شراح الحريري (المقامات، ص 255) تشير كلمة احرام كذلك الى : نوع من غطاء الرأس شبيه بالمنزر (راجع هذه الكلمة) الذي يستعمله عرب اسبانيا وافريقيا . والواقع ان بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات اسبانية عربية) يؤكد ان كلمة احرام تدل على نوع من اغطية الرأس يشبه المنزر ... « Toco como almyzar »

وبهذا المعنى صادفته لدى ابن بطوطة (مخ دي كايانكوس ، ص 4) : « وسرنا الى ان وصلنا الى مدينة قسطنطينية . ونزلنا خارجها واصابنا مطر جود اضطرنا الى الخروج عن الاخبية ليلا الى دور (1) هناك . فلما كان من الغد تلقانا حاكم (2) المدينة وهو من الشرفاء الفضلاء يشهر بأبي الحسن . فنظر الى ثيابي وقد لوثها المطر فأمر بغسلها في داره . وكان الاحرام منها خلقا . فبعث مكانه احراما بعلبكييا (3) وصر في

وتقرا في كتاب تيرنر - ص 396 - ج 2 (Turner, Journal of a Tour in the Levant, « ان الميسورات الحال - سواء كن مسلمات او مسيحيات - يستترن - لدى خروجهن من مساكنهن - برداء واسع من الحرير الاسود » . واخيرا اليكم الوصف الدقيق للحبرة - الذي يعرضه لنا ليسن في كتابه (المصريون المحدثون ج 1 ، ص 61) : « ان حبرة المرأة المتزوجة تتألف من عرضي قماش من الحرير الاسود الملمع . وكل عرض من هذين العرضين عرضه ذراع وطوله ثلاث اذرع - وهما مخيطان معا فوق طرفي القماش او قربهما (حسب ارتفاع القامة) - في حين ان الخياطة موضوعة بصورة افقية - بالنسبة للهيئة التي يرتدي بموجبها هذا اللباس . وهناك قطعة دقيقة من شريط اسود مخيطة داخل الجزء العلوي - على بعد نحو ست بوصات من الجانب - لتكون ملفوفة حول الرأس . - اما الاوانس فيرتدين حبرة من الحرير الابيض - او حبرة من الشال » . اما في ايامنا هذه فان الحبرة ما زالت مستعملة في الجزيرة العربية - في سورية وفي الجزيرة . ويعلمنا بركهارت في كتابه - رحلات في الجزيرة العربية - ج - ص 329 (Burckhardt: Travels in Arabia

ان نساء مكة يرتدين الحبرة الحريرية السوداء الغضاضة كما ترتديها نساء سورية ومصر » .
ويؤكد بكنكهام - في كتابه - رحلات في بلاد ما بين النهرين - ج 1 - ص 392 Buckingham: Travels in Mesopotamia, ان نساء ديار بكر يرتدين احيانا خمارا واسما من الحرير الاسود - كما هي العادة في القاهرة بين نساء الطبقة المرفهة » .

- (1) ان كلمة دور تشير تماما الى مجموعة من خيام العرب البداءة . وهذه الكلمة موجودة بهذا المعنى لدى معظم الرحالين الذين طوفوا في شمال افريقيا في مختلف الحقب .
- (2) راجع حول استعمال كلمة حاكم في المدن المغربية ، لميريير Lempriere في كتابه (رحلة الى مراکش ، ص 256) . وراجع ايضا كراير دي همسو في كتابه (مرآة جغرافية واحصائية للامبراطورية المراكشية ، ص 211) اذ يكتب الكلمة هكذا Hhakem . راجع كذلك : Charant (Letter in answer to divers cutious questions, pag. 51, 52, 53) وارجع ايضا الى تويريس في كتابه (قصة الشرفاء ، ص 193 - 259) .
- (3) معنى ذلك : من القطن البعلبكي الابيض . راجع التعليقات في مادة بفظاق .

احد طرفيه دينارين من الذهب ، فكان ذلك اول ما فتح (1) به علي في وجهتي « (2) .

وبوسعنا ايضا مراجعة : النص التالي لرحالتنا الوارد في (ص 40) .

الحزة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ونحن نعلم ان حزة تدل في اللغة العربية على الباكية (3) حيث مجرى التكة . ومعنى ذلك الحزام الذي يستعمل لربط التبان . وقد اكتسبت كلمة حزة في مالطة من جمعها حرز مفهوما اشد اتساعا ، اذ انها في ايامنا هذه تشير الى التبان مع التكة او الحزام . راجع فاسيلي في كتابه (مج 262 فويميس مالطي) .

الحزام

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس ، بالمعنى المراد .

وتشير كلمة حزام في مصر الى الزنار الذي يشده الرجال فوق القفطان ، والذي تشده النساء فوق

اليك او فوق الانطاري . يقول الكونت دي شابرول في كتابه (وصف مصر ، ج 18 ، ص 108) واصفا زي الرجال : « الحزام مصنوع من الموصلين ومن الصوف او من الحرير ، وهو يشد فوق القفطان » . ويقول بعد ذلك (ص 113) وهو يصف زي النساء : « الحزام يكون في الصيف من الحرير او من الموصلين ، ويكون في الشتاء من شال الصوف الكشميري . وهو حين يربع يتدلى الى الورا على هيئة مثلث » . ولم تدخل هذه الكلمة حديثا الى اللغة العربية . فإني اقرا لدى ابن بطوطة (الرحلة ، مع دي كايانكوس ، ص 113) : « اخذت بالحزام وشددت وسطي » . وفي موضع آخر (146) يقول المؤلف نفسه في مقالته المهمة ، وهو يفيض في اتحافنا بأعجب التفصلات عن بلفار الفولقا : « ويأتي الباروجي وهو مقطع اللحم وعليه ثياب حرير قد ربط عليها فوطة حرير وفي حزامه جملة سكاكين في اغمادها » . ونجد في كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناتن ، ج 1 ، ص 904) : « البسه قيصا وثوبا من ثيابه وعمامة لطيفة وحزاما رفيعا » . ولما لم يكن لعرب مصر - حسب علمي - كلمة اخرى للاشارة الى الحزام المعمول من القماش ، الذي يشد على القفطان ، فلا يربيني اى شيء مطلقا في ان العبارات

(1) الترجمة الحرفية : « الفتوح الاولى التي تلقيتها » . وحسب رأي مؤلف كتاب (التعريفات) ان كلمة

فتوح تعني : « احراز شيء من جانبلا يتوقع احراز شيء منه . راجع تعليق سيلفستر دي ساسي في كتابه (تعليقات ومقتبسات ، ج 7 ، ص 336) . والكلمة تشبه كلمة الصدقة لدينا (Aumône) لان ابن بطوطة يقول في مكان آخر (مخ ، ص 140) وهو يتحدث عن الفقراء : « وعيشهم من الفتوح » . كما يقول كذلك (ص 77) : « يعيئون من فتوحات الناس . وان جملة فتح به عليه الموجودة في نصنا تصادف كذلك في عبارة اخرى لابن بطوطة (مخ . ص 227) . فنحن نقرا فيه : كان ياخذ منهم مقدار ما يعطي الفقراء . ويقول لمن اخذ ذلك منه : اقم حتى تاخذ اول ما يفتح به علي في ذلك اليوم . (كان يتلقى الهدايا الصغيرة من صفار الخبازين والفاكهانيين) .

(2) ان كلمة وجهة تعني رحلة ، سفرة . فنحن نقر في موضع آخر لدى ابن بطوطة (مخ . ص 100) : « وفي هذه الوجهة توفيق » . وبعد ذلك (ص 138) نقرا : « وسافر ايضا معه في هذه الوجهة امامه » . ودونكم هذا البيت ، الوارد في احدي مخطوطات كتاب ابن خاقان (فلاندا العقيان ، مخ 35 ، ص 15) شاهدا على ذلك وهو لابن اللبانسة (البسيط) :

وان تكن وجهتي من فوق مذهبه فليس تضرب في وجهي الملمات
ونجد في كتاب مطمح الانفس لابن خاقان (مخ سان بطرسبورك ، ص 84) : « نشأت له ربح صرفته عن وجهته » . وفي الاحاطة لابن الخطيب (مخ دي كايانكوس ، ص 54) : « ولما انصرف من وجهته اعادهما معه قافلا الى مراکش » . وفي رسائل نفس الكاتب (مخ 11 ، ص 6) : « استفهم عن سبب وجهته » . وفي رحلة خالد بن عيسى البلوي (مخ غوتا ، ر 1154 ، رقة 2 (الوجهه) نقرا : الرحلة الحجازية ، وذكر معاهد الوجهة المشرقية .

(3) راجع سعد الخادم ، الازياء الشعبية ، المكتبة الثقافية ، ص 20 و 22 . ويسمى مدار التكة كذلك حزمة السراويل . المخصص لابن سيده ، ج 4 ، ص 81 ، المطبعة الكبرى الاميرية ، 1317 هـ (المترجم)

فتتدلى الارمال من الجهة الامامية اى الاقبال . وهي زينة عظيمة للنساء . ويستعملها على الاخص (الاعرابيات ؟) Alaravias . وفى موضع آخر (ج 2 ، ص 103 ، مج 2) : « ان نساء الاعراب ، اولئك اللواتي يعشن فى فاس ، وكل نساء البربر ، لهن عادة لبس امثال هذه الاحزمة التي تصنع ، كما سبق ان قلنا فى Alcayceria ، ومع ذلك فهن لا يستعملن هذه الاحزمة قط اذا لبسن الثياب المسماة المرلوطات (Marlotas) ، ولكنهن يستعملنها لحزم الحيكات او الاكسية (Les haiks ou kissás) . وفى مالملة تشير كلمة حزام (Hzym) كذلك الى زنار . راجع فاسيلي (قويميس كالطي ، مع 267) . ومن كلمة حزام تولد الصيغة السابقة انحزم ، التي لا وجود لها فى القاموس . فاني اقرأ لدى ابن بطوطة (مع دي كايانكوس ، ص 120) : « وكل واحد منهم منحزم . (1) »

المحشا ، المحشاء

لا وجود لجمع هذه الكلمة (المحاشي) فى القاموس ، طبقا لرأى الجوهري (ج 1 ، مع 85 ، ص 6) . ويقول اللغوي نفسه : « تشير هذه الكلمة استنادا الى رأى ابي زيد الى كساء غليظ » . ونقرأ فى القاموس (ط كلكتا ، ص 13) : « والمحشا كمنبر ومحراب كساء غليظ او ابيض صغير يتزر به او ازار يشتمل به » .

راجع بهذا المعنى للازار المادة التالية .

الحشية ، الحشى ، المحشاة

تشير الكلمتان الاولى والثانية الى ما يدعى بالفرنسية Une tournure عظامه ، وكذلك الى ما تضعه المرأة على ثديها لتظهره اضخم . فنحن نقرأ فى القاموس (ط كلكتا ، ص 1863) : « مصدغة تعظم بها المرأة ثديها او عجيزتها كالمحشى » . ونطالع فى الجوهري (ج 2 ، مع 85 ، ص 423) : « الحشية واحدة الحشايا . والمحشى العظامه تعظم بها المرأة الرسحاء عجيزتها » . قال الشاعر :

جما غنيات عن المحاشي

ولكننا نقرأ كذلك لدى اللغوي نفسه : قال الاصمعي . « المحاشي اكسية خشنة واحدها محشاة » .

التالية تشير الى الحزام . فنحن نقرأ فى قصة بوكوك (وصف الشرق ، ج 1 ، ص 327) وفوق كل الثياب (يعنى الصديري واليك والخفطان (القفطان) عدا الثوبين الفوقانيين (البيش والفرجية والكرك) يلبسون حزاما من الحرير او من العتاش . (الزملوط (Camelot) او من الصوف الذي يوضع فيه سكين بقمده » . اما لدى نيور (رحلة الى الجزيرة العربية ، ج 1 ، ص 152) فنقرأ : « وفوق الانطاري يرتدون قفطانا . . وفوق هذا القفطان يشدون اوساطهم بحزام كبير ، يطوي فيه ذلذل من القفطان لاستطاعة المشي بحرية تامة ، ولجل ان يظهر الانطاري ويبين الشكشير » . الجششير ؟ Schakschr

ويقول لين ايضا فى كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 41) ان الزنار الذي يشده القوم فوق القفطان ، الذي هو (شال ملون ، او قطعة طويلة من الشاش الموصل الى ابيض وفيه تصاوير وتهاويل) يحمل اسم حزام . وفى موضع آخر (ج 1 ، ص 58) يصف هذا المؤلف حزام السيدات بهذه الكلمات : « انه شال مربع ، او طرحة مطرزة مبطنه بقطع منحرفة ، وهو يوضع كيفما اتفق وسط الانسان ، اما نهاياته ، فمطويتان احدهما على الاخرى وتهدلان الى الوراء » .

وكلمة حزام مستعملة ايضا فى المغرب . ويترجم دونباى فى كتابه (النحو المغربي العربي ص 83) كلمة حزام (كذا : Cingulum ex serico vel linteo) ويكتبها كرابر دي همسو (المرأة ، ص 141) هكذا : Hhazám

ويكتبها هوست (اخبار من مراكش ، ص 115) : Hazem . وهي فى نظره : « زنار واسع من الحرير يشده الناس فوق القفطان ، ويصنع فى ماس ، ويباع فيها بعشرين ماركا او بمائة مارك » . وبعد ذلك (ص 119) يؤكد الرحالة نفسه ان النساء يشدون حزاما على الحيك Hazem . ولا يساورني اقل ريب فى ان العبارات التالية لمارمول تخص الحزام . فنحن نقرأ لدى هذا المؤلف فى كتابه (وصف افريقيا ، ج 2 ، ص 87 ، مع 3) : « وبالقرب من هذه الحوانيت توجد حوانيت اخرى حيث تصنع الحزم الحريرية والصوفية التي تستعملها النساء . وهذه الحزم منسوجة على حبال غليظة من القنب ومزودة فى نهاياتها بأرمال Houpes طويلة للغاية . وهي تيرم مرتين على الجسم

(1) ربها كان الاصح : متحزم

الحروف

ليس بوسمي اضافة اى شىء الى التفاصيل التي اوردها فريتاك Freytag حول هذه الكلمة . والجوهري (ج 2 ، مخ 85 ، ص 69) يقول : الرهط وهو جلد يشق كهيئة الازار تلبسه الحائض والصبيان .
اما بغية التفصيلات التي نقرأها فى المعجم فهي مستعارة من القاموس .

الحياسة وجمعها الحوائص

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس ، بوصفها تشير الى حزام . وكاترمير فى تاريخ السلاطين الممالك ، ج 1 ، ق 1 ، ص 31) هو الذي استنبط هذا المعنى من الكلمة ، وذلك بايراده طائفة من العبارات لمؤلفين عرب ما استطاع الى ذلك سبيلا . ومن العبت ذكر امثلة اخرى من هذا النوع للبرهنة على الامر نفسه ، ولكن كاترمير لم يتحتم عليه ان يؤلف كتابا خاصا موضوعه اسماء الملابس لدى العرب . اذن لن يضيره ولن يسوءه ، وانا واثق من ذلك كل الوثوق ، اذا اضفت هنا بعض التفصيلات الى تعليقاته القيمة . وما دام المقرئ يقول ان الحياسة هي ما كان يسمى قديما بالمنطقة ، فاني سأجعلكم تلاحظون ان هذا النوع من الحزام كان دائما من الفضة او من الذهب . ولن تقرأوا ابدا عن حياسة او عن منطقة كانت من الجلد او من قماش من الاقمشة . واليكم الان التفصيلات التي هياها لنا المقرئ في كتابه (وصف مصر ، ج 2 ، مخ 372 ، ص 352) :

سوق الحوائصيين

« هذا السوق يتصل بسوق الشراشيين . وتباع فيه الحوائص . وهي التي كانت تعرف بالمنطقة فى القديم . فكانت حوائص الاجناد اولا اربعمائة درهم فضة ونحوها . ثم عمل المنصور قلاوون حوائص الامراء الكبار ثلثمائة دينار والامراء الطبلخانة (1) مائتي دينار ومقدمي الحلقة من مائة وسبعين الى مائة وخمسين دينارا . ثم صار الامراء والخاصكية (2) فى الايام الناصرية وما بعدها يتخذون الحياسة من الذهب

وعلى ذلك فيبدو ان كلمة محشاة كانت تدل على لباس غليظ . والواقع انه يمكننا ان نستخلص من عبارة للمقري (نفع الطيب ، مخ غوتا ، ص 373) ان الثوب المسمى محشاة والجمع محاشي ، كان يلبس فى الاندلس من قبل عامة الشعب (المحاشي ثياب العامة) .

الحقوب ، الحقب

هاتان الكلمتان مفسرتان فى القاموس اط كلكتا ، ص 29) عنى هذه الشاكلة : « شئى تعلق به المرأة الحلى وتشده فى وسطه » . وقد رأينا آنفا (ص 71 ، مادة البريم) ان شارح جرير يفسر كلمة البريم بكلمة الحقب .

الحقو ، الحقو ، الحقاء

يرى بركهاردت Burckhardt فى كتابه (ملاحظات حول البدو، ص 28 Notes on the Bedouins) ان كلمة حقو تشير لدى العنزيين Anazis الى نفس ما تشير اليه كلمة بريم لدى اهل الشمال . راجع كلمة بريم . ويرى القاموس اط كلكتا، ص 1865) والتبريزي (شرح الحماسة ، ص 793) ان كلمة حقو او حقو تشيران كذلك الى الازار ، ومعنى ذلك الاشارة الى نوع من التبان تستر به العورة .

الحليية

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويرى لين (المصريون المحذون ، ج 1 ص 29) ان القوم يسمون نوعا من القماش الصوفي الاسمر الداكن حلية ، وهو الذي تستعمله النساء فى الاصقاع الجنوبية من مصر العليا ، لا سيما ما وراء اخميم . فهن يسترن به اجسادهن ويشددن اطرافه العليا بعضها فوق بعض ، على كل كتف . انظر هيئة هذا اللباس فى كتاب لين ، ج 1 ، ص 68 .

الحور

يقول القاموس (ط كلكتا ، ص 503) : الحور ما تحت الكور من العمامة . فهل الحور طاقيه ام طربوش؟

- (1) راجع كاترمير ، تاريخ السلاطين الممالك ، ج 1 ، ق 1 ، ص 173 .
- (2) راجع كاترمير ، تاريخ السلاطين الممالك ، ج 1 ، ق 2 ، ص 158 - 159 .

ومنها ما هو مرصع بالجواهر . ويفرق السلطان في كل سنة على الممالك من حوائص الذهب والفضة شيئا كثيرا . وما زال الامر على ذلك الى ان ولى الناصر فرج . فلما كان في ايام الملك المؤيد شيخ قبل ذلك . ووجد في تركة الوزير الصاحب علم الدين عبد الله بن زينور لما قبض عليه ستة آلاف كلوة جهاركس (1) . وما برح تجار هذا السوق من بياض (2) العامة . وقد قل تجار هذا السوق في زمننا وصارت اكثر حوائته يباع فيها الطواقي التي تلبسها الصبيان وصارت الان من ملابس الاجناد .

ويتحتم على كذلك ان لاحظ ان الحياصة كانت تستعمل ايضا لدى النساء . فنحن نقسرا في كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناتكن ، ج 1 ، ص 732) : وفي وسطها حياصة مرصعة بأنواع الجواهر . ونقرا في موضع آخر (ط مكناتكن ج 2 ، ص 102) : فسحبت خنجرا من حياصتها .

الحيك او الحائك

لا وجود لهاتين الكلمتين في القاموس . ومع ذلك فانني اعتقد انهما من اصل عربي وانهما مشتقتان من الفعل حاك Tisser . تسيه .

يقول مارمول في كتابه (وصف افريقيا ، ج 2 ، ص 4 . مج 2) في معرض حديثه عن بربر ولاية حاحة Héha اشد ولايات مملكة مراکش غربية : « ان النساء يرتدين نوعا من الازار (Unos alquiceles) وهذا الرداء اسمه (Hayques) quellaman hayques وهو مصنوع على هيئة ملاحف (Almalafas) غرناطة ، ولكنه محروم من نعومتها » . ويقول المرجع السابق نفسه بعد ذلك ، وهو يصف السرر والمنامات (Camas) : « بدلا من سراشف السرر (Savanas) يفرشون احد هذه الازر التي يسمونها كما قلت (حيك Hayques) وفي موضع آخر (ج 2 ، ص 83 ، مج 2) يقول واصفا مكناس : « والنساء يتجولن ملفوفات لفا تماما ببعض الازر البيض (Con unos alquiceles) الفضفاضة بافراط المصنوعة من الصوف والمسماة Hayques ، بحيث لا يستطيع احد رؤية وجه احدى النساء » . واخيرا

(ج 2 ، ص 102 ، مج 3) نجده يتحدث عن سواد الناس في فاس فيقول : « اما اولئك اللواتي لسن من الفنى بحيث يستطعن شراء الثياب (Sayos) فانهن يرتدين الازر يلتفن بها :

(De aquellos alquiceles rebueltos al cuerpo) . ويقول دييكو دي هيدو (خطط مدينة الجزائر ، مج 2 ، ص 28) عن نساء مدينة الجزائر انهن يرتدين ازرا بيضا لدى خروجهن من منازلهن (Unos mantos blancos) وهذه الازر مفرطة الفضفة ، وهي مصنوعة من الصوف الناعم او منسوجة من الصوف والحريز ، وهن يبذلن ما في اطواقهن لجعلها غاية في البياض بفضل بذل الصابون بسخاء ، كما يعطرنها بالكبريت وباشياء اخرى . وهن يسميها Alhuyque الحيك . وهذه الازر هي كالملاحف التي سبق لنا ان تحدثنا عنها ، او هي شبه قطعة من الجوخ المربع طولها نحو ثلاثين شبرا وعرضها اربعة عشر او خمسة عشر شبرا . والنساء يلتفنن بهذه الازر ويملقن احد اطرافها على الصدر بمعونة بعض الابازيم او الدبابيس الكبيرة المعمولة من الفضة المذهبة ، وهن يطرحن جماع الازار على الاكتاف والراس ، اما الجانب الآخر ، وهو الطرف التحتاني فانهن يسترن به الذراع اليمنى . وعلى هذه الطريقة يختفين اختفاء تاما بحيث لا يبقى لهن الا المجال الضروري لاستطاعة مواصلة السير . وهكذا فان هذه الازر تشبه بعض الشبه Une bourguignotte وهو القناع الكامل الذي كان مستعملا في نهاية القرن الخامس عشر وفي نهاية القرن السابع عشر ، حين كان يرتديه رجال السلاح . وعلى هذه الصورة يدرجن في الدروب مختبئات في ازرن اختباء تاما بحيث ان ازواجهن انفسهم لا يستطيعون تشخيصهن ، اللهم الا من اسلوب مشيتهن او عن طريق صواحبهن او مرافقتهن » .

ونجد بعد ذلك دييكو دي هيدو (ص 28 ، مج 3) يقول عن الامساء : « انهن يرتدين نفس الازر (Los mismos mantos) التي ترتديها سيداتهن ، ولكن ازرن ليست على درجة جمال ازر مالكات رقبهن » . ويتحفا دابر كذلك في كتابه (وصف حقيقي دقيق لاقليم افريقيا ، مج 2 ، ص 239) بتفاصيل

(1) الكلوات الجركسية ذكرها المقريزي ، واوردها كاترمير في كتابه (تاريخ السلاطين الممالك ،

ص 138 ، ق 1 ، ج 1 .

(2) هذا المعنى لكلمة بياض لا وجود له في القاموس . وستجدون مثلا آخر في تعليقة على مادة قباء .

اقدام . ويضيف الى ذلك ان العربي يرتديه اثناء النهار ويستعمله كغطاء سواد ليلته . ولكن دونكم الوصف الدقيق لهذا اللباس الذي هياه لنا هوست في كتابه (اخبار من مراكش ، ص 115 ، 116) : « يلبس الرجل في مراكش وفاس حيكاً Haik فوق القفطان ، وهو يحتوي على قطعة من القماش الصوفي الابيض ، يبلغ طوله عادة سبع اذرع ويصل عرضه الى ثلاث اذرع . والجميع يلتفون بهذا الازار ابتداء بالملك وانتهاء باهون مراكشي ، وهذا الارتداء يكون على انماط مختلفة : ومع ذلك فان اشيع هذه الانماط هو وضع الحيك على اتراس وطرح نهايته على الكتف اليسري ، كما بوسعتا ان نراه في اللوحة الثانية عشرة ، الصورة الاولى .

اما لدى المثول بين يدي الملك فيجب نزعه عن الرأس ، ويجب وضع عقدة فيه تدعى Achât Errua اخط الروة (1) .

وهذا اللباس عميم الفائدة على الفقراء بوجه الخصوص . فبصرف النظر عن امكانهم الاستغناء عن الملابس الاخرى فانهم يستعملونه بدلا من دثار السرير او شرشفه ليناموا فوقه ، علاوة على انهم يستعملونه استعمال الكيس ، حين يكون لديهم ما يحملونه . كذلك يمكن استعماله كمنديل يتمخطون فيه وينشفون به الانوف ، واخيرا يمكن استعماله ثوبا للصيد يستطيعون الصيد فيه لتزجية الوقت ، خلال ساعات ، دون ان يضايقهم شيء . ولكنه يضايقهم اثناء العمل ، لانه يربك اليدين في كل لحظة ويسقط بصورة مشوشة . فترتب على ذلك انهم يخلعونه عادة اثناء هذه الحالات ليسلم من الاتساخ . ويقول نفس الرحالة في موضوع آخر (ص 119) : « والنساء ايضا يرتدين الحيك ، ولكن بشكل آخر مختلف عن شكل الرجال . فهن يشدنها الى الصدر بابازيم من الفضة يسمينها (بسيم) ويختفيها Chetfia وبينهما سلسلة . ومعظم النساء يرتدين هذا الحيك فوق الجسم العاري . اما الفتحات فمن الجوانب ، واذا ارادت امرأة ارضاع طفلها فانها

قيمة من الحيك Le hayk ، خلال وصفه لازياء سفراء ملك مراكش وفاس ، الذين جئوا الى امستردام عام 1659 . واليك ما يقوله : « كان ابراهيم مانينو يلف حول جسمه ثوبا ابيض محوكا من الصوف المرسل ، الملوء بندف القطن من الجانبين ، ويبلغ طول هذا الثوب خمس او ست اذرع ، اما عرضه فذراع ونصف ذراع ، وهذا هو اللباس الاعتيادي للرجل والمرأة في هذا البلد ، ولكنه يرتدى اكثر ما يرتدى لدى خروج صاحبه من منزله . واهل مراكش يحسنون تفصيله وتكفين الجسم به بهيئات مختلفة ، وهم يسمونه باللغة العربية الحيك ، كما يسمونه كساء Kissa . وتتدلى من الاسفل خيوط مبرومة على الاكثر او قياطين مغزولة بالمغزل ، يدعونها مرسله فيه اثناء الحياكة ، وتدعى لديهم (هـو Hudou) ، ويقول دابر بعد ذلك (ص 241، مج 1) ان احد خدم السفراء كان يرتدي حيكاً فضفاضا مصنوعا من قماش أسود غليظ . ويكتب جارنت في كتابه (رسالة جوايا على مختلف الاسئلة الغربية ، ص 40 و 41) عن الحيك Alhaique فيفسر هذه الكلمة بانها : « ازار من الصوف الابيض ، يبلغ طوله اربع او خمس اذرع وعرضه يصل الى ذراع ونصف الذراع . ويكتب رولان فريجوس عن الحيك Haicque في كتابه (رحلة الى موريتانيا ، ص 44) ويفسر هذه الكلمة بانها ازار . ويتحدث كذلك سان اولور في كتابه (الحالة الراهنة للامبراطورية المراكشية ، ص 90 ، 92 ، 94) عن هذا الازار الذي يسميه Hayick . ويكتب موت كلمة حيك هكذا : Haique في كتابه (قصة غزوات مولاي ارشي ، ص 381 ، 384) . وفي الكتاب المعلنون (مهمة تاريخية في مراكش ، ص 519 ، مج 2) يتحدث مؤلفه عن كلمة Xayque . ويكتب وندس الكلمة هكذا : Alhague في كتابه (رحلة الى مكناس ، ص 28 ، 30 ، 57) . ويتحدث شو ايضا في كتابه (رحلات الى بلاد البربر والشرق ، ج 1 ، ص 319) عن هذا اللباس . ويكتبه Hyke . ويقول ان طول هذا الثوب في العادة ثمان عشرة قدما وعرضه خمس

(1) اعتقد وجوب كتابة عقد الرواء ، لان كلمة رواء تبدو لي انها تشير الى عقدة . راجع (الكالا) حول : Lazo de çapatos

ص 138)، وكابردى همسو (مرآة جغرافية وإحصائية
للإمبراطورية المراكشية ، ص 81) والعقيد سكوت
(يوميات إقامة في مخيم عبد القادر الجزائري ، ص 5)
والليدي كروفتر رحلة بحرية في البحر الأبيض
المتوسط خلال عام 1840) فتحدثوا عن هذا اللباس
وكتبوه على هذه الصورة Haick, hayk, hhaik, haik .

الخرقوة

تشير هذه الكلمة الى الثوب - او الى الرداء
الغليظ - الذي يلبسه الفقراء - ولاسيما المتصوفة
منهم في الشرق . ويقول المقرئ (تاريخ الاندلس -
منح غوتا - ص 201) عن احد المتصوفة انه كان :
« بركة لابسي الخرقوة » . وفي مخطوطة تملكها مكتبة
ليدن وتحتوي على عدة كنايش خاصة بالمتصوفة
(منخ فارسية ، 1038 ، ص 22) نجد : در كريبان
خرقه نوشته بود يا عزيز يا ستار يا لطيف يا حلیم
در مهان خرقه نوشته بود يا صبور يا شكور يا كريم

تخرج حلمة نديها من هذه الفتحة ، وهذا الوضع ملائم
كل الملازمة للطفل الذي تحمله امه على ظهرها ، وعلاوة
على ذلك فان النساء هنا ذوات حلقات كبيرة للغاية ،
ما دمن بافعات .

ويخبرنا المؤلف نفسه بأن بعض النساء يرتدين :

- 1 - القميص ، 2 - القفطان ، 3 - المنسرية ،
- 4 - الحيك مع الحزام (I) .

وكلمة حيك او حائك ذكرها الرحالة لمبرير في
كتابه (رحلة الى مراكش ، ص 39 ، 293 ، 295 ،
386) الذي كتب كلمة حيك هكذا Haick . كما
ذكرها علي بيك في كتابه (الرحلات ، ج 1 ، ص 16 ،
29 ، 73 ، 80) الذي كتب الكلمة هكذا Hhaik
وهناك عدة رحالين زاروا المغرب في أيامنا هذه أمثال
ريلبي (بوار تجارة السفن الشراعية الامريكية ، ص
407 ، 492) ، وجاكسون (تقرير عن مراكش ،

(I) هذه الكلمة لا تكتب هكذا (بسيم) ولكن (ابزيم) والجمع بزائم ، وهي تشير بكل تأكيد الى كلمة
اكراف الفرنسية . وقد رأينا أنفا ان دييكو دي هيدو يتحدث عن (Hevillas) agrafes
التي بواسطتها تعلق النساء الحيك ، وعلى ذلك فان بيدرو دي الكالا يترجم في كتابه (مفردات عربية)
كلمة Hevilla الى كلمة ابزيم . ويترجم دونباي في كتابه (النحو المغربي العربي ص 82)
كلمة Fibulae الى كلمة بزائم ، وتشير قواميسنا الى ان كلمة ابزيم تدل على كلمة Agrafe
مع حاملها .

وانني اعتقد بوجود كتابة هذه الكلمة (ختفية) خطفية ، بالطاء ، وليس بالتاء . وسأجعلكم تلاحظون
ان حتف لا وجود له قط في اللغة العربية ، وان خطف على العكس من ذلك معروف وشائع ، وان
الاشتقاق بجانب افتراضي او زعمي . والحقيقة ان فعل خطف يعني Abriouit ، وان كلمة خطاف
هي سنان حديدي معقوف في نهايته صنارة ، ابزيم . وهناك كلمة عربية اخرى مشتقة من نفس هذا
الاصل ، وهي ، مثل خطفية ، لا وجود لها في القاموس . وأود ان اتحدث عن كلمة مخطاف .
يرى بيدرو (مفردات اسبانية عربية) ان كلمة مخطاف تقابل : Anzuelo (garavato) garavato
وتقابل كلمة مخطاف قطعة حديدية معقوفة لها صنارة صغيرة ، او هي الصنارة ذاتها . والواقع ان
ابن بطوطة (الرحالة ، منح دي كايانكوس ، ص 234) يخبرنا ان عبيد تجار الهند يحملون ما هو (عود
غليظ له زج حديد وفي اعلاه مخطاف حديد فاذا اعبا ولم يجد دكانة يستريح عليها ركز عوده بالأرض
وعلق حملته منه .

وكلمة مخطاف تعني كذلك عصا مسلحة من احدى نهايتها بقطعة من الحديد المدبب المعقوف وتعني
مرساة . راجع الكالا في كلمة : Cayado de pastor عصا الراعي .

راجع كذلك دونباي في كتابه (النحو المغربي العربي ، ص 103) .

يا عليم در دامن خرقه يا احد يا صمد يا فرد (1) .

لن اترجم النص لانه في غاية الصعوبة ايجاد كلمات فرنسية مقابلة تماما لمختلف الصفات الالهية التي وردت في هذا الكلام. ولكنني ساقصر على ملاحظة اني يخيل الي وجوب ترجمة كلمة مهان بكلمتي (الثياب الدخيلة) . وستجدون لدى كلمة دلق معلومات وتعليمات اوسع عن ثوب المتاملين الشرقيين .

ويبدو ان كلمة خرقه تدل ايضا على : « نوع من رداء يستعمله البدو . لانني اقرا لدى ابن جبير (الرحلة ، مخ 320 ، ص 72 - 73) : فمن العجب امر هؤلاء المائرين انهم لا يبيعون من جميع ما ذكروا به دينار ولا بدرهم . انما يبيعونه بالخرق والمبسات والشمل . فاهل مكة يعدون لهم من ذلك مع الاقنعة والملاحف المتان وما اشبه ذلك مما يلبسه الاعراب ويبيعونهم به ويشلهونهم » .

الخفاف

كانت الخفاف مستعملة في عهد النبي محمد (ص) اذ يخبرنا النووي (تهذيب الاسماء ، ص 33) ان الرسول كان هو نفسه يلبس الخفاف . ونقرا في

صحيح البخاري (ج 2 ، مخ 356 ، ص 167) ان محمدا حرم على المسلمين لبس الخفاف اثناء الحج الا لمن لم يجد نعلين ، فقد سمح له بلبس خفين مع وجوب قطعهما اسفل من الكعبين (ولا الخفاف الا احد لا يجد النعلين فليلبس خفين وليقطعهما اسفل من الكعبين) .

وكانت الخفاف تلبس قديما في مصر ، من قبل الرجال والنساء على حد سواء . فتحن نقرا لدى السيوطي (حسن المحاضرة ، مخ 113 ، ص 337) ان الخليفة الحاكم بامر الله (منع الخفافين من عمل الاخفاف لهم (النساء) . والواقعة نفسها يحدثنا عنها التويري (تاريخ مصر ، مخ 2 ، ص 104) : منع الاساكفة من عمل الخفاف لهم وشدد في ذلك. ونرى في نص آخر لهذا المؤلف الاخير (تلويخ مصر ، مخ 2 ، ص 16) ان الخفاف كانت تلبس من قبل الرجال في النصف الاول من القرن السابع الهجري ، ويخبرنا نص لابن اياس (تلويخ مصر ، مخ 2 ، مخ 367 ، ص 17) ان الرجال ايضا كانوا يستعملون الخفاف في القرن الثامن الهجري . واستنادا الى قول المقرزي (وصف مصر ، ج 2 ، مخ 372 ، ص 350) فان الامراء والجنود والسلطان نفسه كانوا يلبسون اثناء حكم السلالة التركية (الجركسية) خفافا من الجلد البلغاري الاسود (2) .

(1) ان كلمة خرقه وجمعها خرق تعني كذلك : قطعة قماش . فاني اقرا لدى النووي (تاريخ مصر ، مخ 2 ، ص 204) « اعطاه - خرق كتان فرنجي مائتي ذراع . وفي كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناتن ، ج 1 ، ص 209) : « عمد الى الخرقه وعمل منها كيسا » . وفي الاحاطة باخبار غرناطة لابن الخطيب (مخ كايانكوس - ص 51) : « انه لم يجتمع عند احد من نظرائه ما اجتمع عنده من عين وورق ودفاتر وخرق وآنية ومتاع واثاث وكراع . وتعني كلمة خرقه نفس المعنى في مالطة كما تعني علاوة على ذلك سروالا للصفار . راجع فاسيلي في كتابه (قوبييس مالطي - مخ 279) . ويسمى بائع الخرق بالخرقي . راجع المقرزي (وصف مصر ، ج 2 ، مخ 372 ، ص 354 - 357) . ويبدو ان ريسكه قد علق على هامش كتابه كوايوس بان هذه الكلمة تدل على محفظة نقود . والحقيقة انني وجدت الكلمة مستعملة بهذا المعنى من قبل ابن بطوطة (مخدي كايانكوس ، ص 191) : « ومن عواندهم في يوم العيد ان كل من بيده قربة منعم بها عليه ان يأتي بدنانير ذهب مصرورة في خرقه مكتوب عليها اسمه فيلقبها في طست ذهب هناك » . وقد ذكر بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات اسبانية عربية) صيغة اخرى من نفس الاصل تشير كذلك الى محفظة نقود الا وهي كلمة مخرقه .

(2) ان الجلد البلغاري كان ذائع الصيت . وبوسعكم مراجعة العلامة فريهن في كتابه (اقدم تاريخ عربي عن بلغار الفولغا ، ص 8) حول هذا الموضوع. وماتزال الخفاف حتى ايامنا هذه مستعملة في عدة اقطار من آسيا خصوصا في بلاد الفرس - حيث حرفوا الكلمة فأصبحت Bhulkhal كما يخبرنا فريزر في كتابه (رحلة اني خراسان - ص 69) . فهذا الرحالة الالمسي قد اصاب كل الاصابة في ان اصل الكلمة الاصلية هي بلغار Bulghar .

ان النساء يلبسن انملة من مختلف الالوان تضل الى منتصف سيقانهن او الى اعلى من ذلك . ويقرر لين في كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 63) ان الخفاف هي انملة او احذية مصنوعة من الجلد المراكشي الاصفر . ولم تعد سيدات مصر في ايامنا هذه ترتدي الخفاف الا اذا اردن الخروج من بيوتهن . ولكن هل كن يلبسها في المهود الغابرة في منازلهن ؟ هذا ما يحتملي على الاعتقاد به نص من نصوص الف ليلة وليلة (ط مكاكنن ، ج 3 ، ص 141) .

ويخيل الي ان دانديني (رحلة من جبل لبنان ، ص 48) في معرض حديثه عن طرابلس الشرق ينظر الى الخفاف ، حين يقول : « ان النساء هنا اذا اردن ان يمشين مشية مريحة في الدروب اثناء المطر والوحل فانهن يلبسن بواتين من الجلد المراكشي تصل الى ركبتين - وهن يشمرن عن ثيابهن من كل جانب - فيدرجن في كل مكان على رسلهن - دون ان تبتل ملابسهن او تتلطح بالاحمال والاوزار » . ويذكر دارفيو كذلك في كتابه (مذكرات - ج 5) : « البواتين المراكشية الجلد الصفراء التي تلبسها نساء حلب . ولدى بدو سورية تلبس الخفاف من قبل الرجال كما تلبسها النساء » . ويخبرنا دارفيو في كتابه (من فلسطين صوب الامير الاعظم ، ص 208) ان الامراء والشيخ يركبون الخيول وهم منتحلون بواتين صغيرة من الجلد المراكشي الاصفر - بدون جوارب - وهذه الانملة خفيفة ومخصوصة من الباطن - وهم كذلك يستطيعون المشي بها على الاقدام بل حتى الملو دون ان يستطيع النساء اختراقها . وبعد ذلك (ص 211) : « ان النساء يدرجن حافيات الاقدام على الاسنطة والسجاجيد - حين يكن في منازلهن - وهن يلبسن خفافا متفضنة لدى بروزن من مساكنهن » . انظر المرجع السابق ، ص 3) . ونقرا في كتاب (رحة من اليمن السعيدة ، ص 83 ، 1716 امستردام) : « ان نساء مخا يلبسن خفافا صغيرة معمولة من الجلد المراكشي » . ويذكر علي بيك (الاسفار ، ص 106 ، ج 2) الخفاف النصفية (Half boots), Demi-bottes الجلدية الصفراء التي تلبسها نساء مكة .

وكانت الخفاف تلبس ايضا من قبل الرجال بعد فتح الاتراك لمصر ، ويؤيد ما ذهبنا اليه النص التالي من كتاب الف ليلة وليلة . فنحن نقرا في هذا السفر (ط هاييخت ، ج 3 ، ص 248) ان الاميرة بدورا ، اخذت ملابس زوجها « فلبست الخف والمهاز » . وحتى في ايام الحملة الفرنسية على مصر كانت الخفاف تلبس من قبل الرجال والنساء على قدم المساواة ، لاننا نقرا في كتاب وصف مصر (ج 18 ، ص 109) : « كان الناس يلبسون الخفاف اذا ارادوا ركوب الخيل او اذا شاءوا الطواف بالمدينة لشراء ما يحتاجون اليه او لشؤون اخرى ، وهذه الخفاف هي نوع من النعال ، وتصنع من الجلد المراكشي الاحمر او الاصفر ، ويستعملها الرجال كما تستعملها النساء » . ولم تعد الخفاف تلبس في مصر في ايامنا هذه من قبل الرجال ، اما النساء فما زلن يلبسها كما نرى شاهد ذلك في كتاب (المصريون المحدثون) تأليف لين . وسنذكر بعض التفاصيل عن هذه الخفاف النسائية . يروي القريزي (وصف مصر ، ج 2 ، مخ 372 ، ص 359) عن وجود سوق في مصر للاخفاف (سوق الاخفافيين يباع فيه الاخفاف للثوان ونعالهن) . وفي عهد كتاب الف ليلة وليلة ، اي بعد غزو الاتراك لمصر ، يبدو ان خفاف سيدات القصور وخفاف الجواري والاماء العائدات لسادة اغنياء مترفين كانت في غاية الروعة والبهاء . ونحن نقرا في الكتاب الذي فرغت الان من ذكر اسمه (ط منتكازا ، ج 2 ص 56) : « وقفت عليه امرأة بخف مزركش بحاشية قصب وشريط لآعب (1)

ونجد في موضع آخر (مكاكنن ، ج 1 ، ص 425) ان رجلا اشترى لجاريته الراحلة في سفرة (خفا مزركشا بالذهب الاحمر موصما بالسر والجوهر) . ويتبين ان تلاحظ ان كلمة خف تعني فردين في هذه النصوص) . ويبدو ان الصرف على هذا الجزء من الهندام قد اخذ بالتناقص فيما بعد . فنحن نقرا في قصة غليوم ليتعرف (رحلات برية في القرن التاسع عشر ، مج 1 ، ص 171) : « ان النساء في القاهرة يلبسن الانملة الجلد كما يلبسها الرجال » . ونطالع في قصة منتكازا (رحلة الى اورشليم والشرق ، ص 90)

(1) راجع بشأن هذا النص الملاحظات الصائبة للعلامة فليشر في كتابه المعنون : (De glossis Habichtianis) - ص 26 -

اما عن فعل زركش المستعمل بمعن زين - فراجع احدي التعليقات الواردة في كتابي هذا .

التخفيف

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

أن فعل خف في الصيغة الثانية ، يعني بصورة عامة خلع الملابس الثقيلة ولبس الملابس الخفيفة ، وبصورة خاصة ملابس الليل . فنحن نقرا في كتاب الف ليلة وليلة (ط هايخت ، ج 1 ص 63) : « وهو شاب مليح مخفف اللباس ببيع كشف وقميص بلا سراويل » . ونطالع في موضع آخر (ج 2 ، ص 116) : « خففي من لباسك كما كنت في ليلة دخل عليك » . وفي طبعة مكناتن (ج 1 ، ص 193) ورد في هذا المكان : « وأمر ابنته أن تخفف نفسها كما كانت ليلة الجلاء في الخلوة (2) . وبعد ذلك تقرا في الف ليلة وليلة (ط مكناتن ، ج 1 ص 225) : « خففوا ما عليها من اللبوس » . ونفس الفعل يعني في الصيغة الخامسة نزع ثيابه الثقيلة . فنحن نقرا في الملمح لابن خاقان (مخ سان بطرسبورك ، ص 67) : « فأمره بخلع ثيابه والتخفف من جسمه » . واشتقت كلمة تخفيفة من فعل خف الذي ، كما نرى بسهولة ، يذكرنا بالصيغة الثانية للفعل . وقد سبق للعلامة كاترمير (ملاحظات ومقتبسات ، ج 8 ص

ويقص علينا اوليفيه في كتابه (رحلة الى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس ، ج 4 ، ص 382) : « ان نساء بغداد يمشين حافيات الاقدام في بيوتهن - وهن يلبسن الانعنة لدى خروجهن من منازلهن » . ويقول فريزر في كتابه (رحلات الى كردستان وبلاد ما بين النهرين ، ج 1 ، ص 278) ان نساء بغداد يلبسن جزمات صفراء » .

Des Bottines jaunes

ويقول ابن بطوطة (الرحلة - مخ دي كايانكوس - ص 83) في معرض حديثه عن نساء شيراز « وهن يلبسن الخفاف » (1) .

وسأفرغ من هذه المقالة مختتما بحشي هنا كذلك بإيراد كلمات نفس الرحالة - الذي عبر عن مكوناته - وهو يجتاز حدود الامبراطورية البيزنطية - للوصول الى استراخان - بهذه العبارة : « وذلك في اشتداد البرد . وكنت البس ثلاث فروات - وفي رجلي خف من صوف وفوقه خف مبطن بثوب كتان وفوقه خف من البرخالي وهو جلد الفرس مبطن بجلد ذئب » . ص 153 . ولا شك ان البرخالي هو الجلد البلغاري .

- (1) اذا وجدنا لدى اولياربوس (جولة في موسكو وبلاد التاتار وفارس ، ص 817) النص التالي عن الاحذية الفارسية : « ان الاحذية التي تسمى Kefs مدينة الانف للغاية ومنخفضة القاعدة والاعتقاب كثيرا - بحيث يمكن لبسها ونزعها بسهولة - كما تفعل بمداساتنا Nos pantoufles اذا وجدنا هذا النص فينبغي الحذر من حساب كلمة Kefs هي كلمة خف العربية مع S - علامة الجمع لدى الفرنسيين . على ان نتذكر ان هيئة الخفاف بفارس تختلف عن هيئة الخفاف المستعملة عند العرب . وان كلمة Kefs التي ذكرها اولياربوس هي الكلمة الفارسية كفش - التي كتبها كامفر في كتابه (تحف نادرة ، ص 128) كذلك هكذا كفس - مع س بدلا من ش .
- (2) تعني كلمة خلوة غرفة صغيرة ، مقصورة ، صومعة ، جوستا في بستان . وفي القصة الانجليزية التي عنوانها (الفصل الثامن عشر) مغامرات حاجي بابا ، هذه الكلمة ترجمتها Private room . ونقرا في رحلة ابن بطوطة (مخ دي كايانكوس ، ص 74) : وبها مدرسة عظيمة حافلة فيها نحو ثلاثمائة خلوة ينزلها الغرباء القادمون لتعلم القرآن » . والحديث عن واسط . وبعد ذلك (مخ ، ص 102) وهو يتحدث عن ناسك . يقول : « وله خلوة متصلة بالمسجد فرشها الرمل لا حصير بها ولا بساط » . وفي موضع آخر (ص 92) وهو يتكلم عن حمامات بغداد : « وفي كل حمام منها خلوات كثيرة » . وفي الملمح لابن خاقان (مخ سان بطرسبورك ، ص 67) : « وحضر عند الحكم المستنصر بالله يوما في خلوة له في بستان الزهراء على بركة ماء . ولكن كلمة خلوة تشير بصورة خاصة الى مقصورة العرس . راجع مثلا آخر لهذه الكلمة للمقريزي (لدى دي ساسي ، طرائف عربية ، ج 1 ، ص 365) . والكلمة نفسها تشير كذلك الى عملية الوصال . فنحن نقرا لدى ابن بطوطة (مخ ، ص 227) بان نساء القبائل الهندية « مشهورات بطيب الخلوة ووفور الحظ من اللذة » . وبعد ذلك (ص 230) : « ولهن من طيب الخلوة والمعرفة بحركات الجماع ما ليس لغيرهن » .

295) ان لفت انظار المستشرقين الى هذه الكلمة ، بايراده عدة امثلة مقتبسة من مؤلفات مؤرخين عرب من مصر . وقد ظن هذا العالم الجليل وجوب اثبات ان كلمة تخفيفة تشير الى صرب طاقية Bonnet . وهذا الامر لا يبدو لي وكأنه في غاية الصحة ، بل انني افترض ان كلمة تخفيفة تشير الى عمامة خفيفة ، على تقيض العمامة الضخمة الكبيرة الحجم ، التي كان يتمم بها الفقهاء والتي كانت تسمى عادة عمامة . والواقع انني اكاد اعثر دائما على كلمة تخفيفة مستعملة ضد كلمة عمامة . وقد سلف لنا ان راينا (ص 85) ان قاضيا ارغم على حضور قصف لدى الامير ، قد تجرد من ملابسه التي كانت تليق بمنزلته ، فتعمم بتخفيفة ، بدلا من عمامته الضخمة ، بوصفه فقيها وتعمم بتخفيفة . ونقرا في تاريخ مصر لابن ايباس (مخ 367 ، ص 37) : « قلع تخفيفته ولبس عمامة وجوخة من فوق ثيابه » . وفي تاريخ مصر للتويري (مخ ، ص 58) : « وقلع شاش التشريف والكلوتة وضرب بهما الارض ولبس تخفيفة » . ونجد في الف ليلة ليلة اط مكناتن ، ج 3 ، ص 162) العبارة التالية : « قالت له اخلع ثيابك وعمامتك ولبس هذه الخفيفة » . وانني لا اتردد في احلال التخفيفة محل الخفيفة ، فأترجم النص على انه : « قالت له اخلع ثيابك وعمامتك ولبس هذه الخفيفة » .

الخفتان او القفطان (القفطان)

انني اجعل زمان تبني العرب لهذه الكلمة التي هي من ارومة اجنبية ، واجهل كذلك عصر انتشار هذا اللباس الذي تشير اليه هذه الكلمة لدى ابناء هذا الشعب وبناته . فان محمدا (صلى الله عليه وسلم)

لم يستعمل القفطان . ويبدو ان الكلمة نفسها كانت مجهولة في عهد الرسول . ومع ذلك فنحن واجدون هذه الكلمة لدى المؤلفين القدامى نسيبا ، امثال المسمودي : (لدى كوزكلرتن ، طرائف عريية ، ص 108) . وكان خفتان الخليفة المقتدر مصنوعا من الحرير ، ومكفنا بالفضة ، ومن معمولات تستر ، وكان خفتان ابنه محوكا من الحرير (او من الديباج) الرومي ، ومزركشا برسوم ونقوش وصور (المرجع السابق) .

وكان للطراز المستحدث تأثير على هذا اللباس ، كما سئرى . ولنتهل بحثنا بافريقية الشمالية . لقد اعرب ديكو دي هيدو عن الموضوع في كتابه (خطط مدينة الجزائر ، مخ 1 ، 2 ، ص 20) في معرض حديثه عن اترك مدينة الجزائر على هذه الصورة : « ويرتدون عادة فوق هذا اليك Jalaco ، رداء (Una ropa) يسمونه القفطان ، وهو مشابه لقمباز الكاهن Soutane لانه مفتوح من الجهة الامامية ، ومزور بالازرار من ناحية الصدر (1) .

وهذا الرداء له كمان قصيران ، يصلان الى المرفقين ، وقد يتدلى حتى يبلغ منتصف الساقين ، بل قد يهبط اكثر من ذلك . وعلى كل حال فهو يتجاوز الركبة . وهو على الوان شتى : فالاغنياء يتخذونه من الاطلس ، والسيدات يفصلنه من القטיפه والمخمل ، ومن انواع اخرى من الحرير . وهذا الرداء ، شأنه شان اليك Jalaco (الصديري) لا ياقة له ، بحيث ان التركي مكشوف الرقبة على الدوام . ويتحدث دارفيو D'Arvieux كذلك في كتابه (مذكرات ، ج 5 ص 283) عن قفطان الاتراك في مدينة الجزائر الذي يلبسونه فوق الصديري ، فيقول : « ولبسون فوقه سترة من الجوخ تدعى قفطانا . وهذا القفطان يشبه لدينا Un juste-au-corps (2) فله طولته

(1) نقرا دائما ، نتيجة خطأ مطبعي متصل ، في كتاب ديكو دي هيدو-كلمة Tafetan وقد تناول التشويه هذه الكلمة اكثر فأكثر من قبل الطباعين في هذا الكتاب المتع : (يوميات رحلات دي مونكوني ، 1647 - 1648) حيث نجد في (ج 1 ، ص 279 ، 282) كلمة Cafferan دائما . ففي هذا الموضوع يتحدث دي مونكوني عن موكب الـ Casena . ولا بد ان هذه الكلمة ليست سوى الخزانة Le Hazna التي ذكرها تيفنو في كتابه (قصة رحلة الى المشرق ، ص 277) . او هي خزينة المولى الاعظم المرسله الى القسطنطينية من قبل باشا مصر . وعلى هذا طال الحديث في نص تيفنو الاخير عن القفاطين . ولا مشاحة في ان دي مونكوني قد اخطا في ايراد كلمة Cafferan بدل كلمة Caffetan في يومياته .

(2) وردت الكلمة في قاموس لاروس هكذا موصولة : Justaucorps بمعنى لباس يتدلى حتى الركبتين ويشد الجسم شدا . (المترجم) .

كما له تفصيله. وهو مفتوح من القبل Par le devant ليدع الصديرية تظهر ، وهي دائما من لون مختلف . وهم لا يوصلونها الا نحو وسط الجسم ، حيث يشدونها بمندبل بالغ السمة بحيث انه يبلغ حقو الانسان .

ونحن نقرا في كتاب هوست (اخبار من مراکش وفاس ، ص 115) : « يرتدون فوق القميص قفطانا او سترة مزودة احيانا بكمين قصيرين او طويلين ، على هوى مزاج الالبس ، وهي (تشبه الفرجيات Feredges التركية) ، ولكن هذا الثوب لا كمين له في معظم الحالات . وعادة تكون هذه الاتياب مصنوعة من الجوخ الاحمر او الازرق او الاخضر . وبعض هذه القفطانين مؤلفة من مختلف الالوان التي تكون اما مربعة واما مخططة . وبعض الاشخاص لهم قفطانين مطرزة بالذهب ، ولو ان هذا التصرف يعد انتهاكا لاوامر الدين . والقفطان لا يتعدى الركبة الا قليلا ، وهو ليس طويلا مثل الدوليمان التركي Doliman وازرار هذا الثوب الصغيرة متقاربة من بعضها . ويوسعا رؤية هيئة هذا الثوب في اللوحة الخامسة عشرة ، الصورة الاولى والثالثة . ولا بد ان ديكو دي تويريس قد تحدث في كتابه (قصة الشرفاء ، ص 85) حين قال ان رجال مراکش يرتدون : « سترات من الجوخ الملون تصل الى الركب » . واعتقد ان العبارات التالية لامرول تعني ايضا القفطانين . فهو اذ يتحدث عن ثياب مراکش يقول ، في كتابه (وصف افريقيا ، مج 3 ، ج 2 ، ص 33) : « يرتدي عوام الناس الآخرون ثيابا اقل كلفة ، ولكن على نفس النمط . فالكثيرون منهم يلبسون سترات من الجوخ الملون (Unas jaquetas) وهي مزورة ، ومطوية اربع طيات (De quatro faldas) ولها اكماف قصيرة » . ويقول في موضع آخر (ج 2 ، ص 102 ، مج 2) منحدنا عن سكان فاس : « يرتدي العمال والرجال الآخرون من سواد الناس ، ولا سيما الجنود المشاة ورماة البنادق ورماة السهام الخيالة ، سترات مثنية اربع ثنيات (De quatro haldas) ، قد تصل الى ركبهم » .

وفي انمرجع نفسه كذلك : « يرتدي التجار والصناع البسة من الجوخ ، سوداء خالصة السواد احيانا او زرقاء ، او من لون آخر ، وهم يلبسون صابات (Los sayos) بالغة الطول ، تنزل الى منتصف سيقانهم ، مطرزة من الباطن (Cosidos a girones) واكمافها نصف اكماف قصيرة لا تصل ابدا الى اعلى

المرافق الا قليلا . ويتحدث دابر ايضا في كتابه (رحلة الى اقاليم افريقيا الشمالية ، مج 1 ، ص 240) عن قفطان من الجوخ كان يرتديه احد السفراء الذين جاءوا الى امستردام عام 1659 . راجع كذلك ، حول ارتداء القفطان في مراکش (سانت اولون ، الحالة الراهنة للامبراطورية المراكشية ، ص 90) . وانظر كراير دي همسو في كتابه (مرآة ، ص 80 ، 81 الخ) . والقفطان في طرابلس الغرب رداء طويل مطرز من القبل ومن الكمين . راجع القتيب ليون ، في كتابه (اسفار في الشمال الافريقي ، ص 6) . وترتدي النساء القفطانين في مراکش وفي فاس . فنحن نقرا في كتاب هوست (اخبار من مراکش ، ص 119 ، الخ) : « ترتدي بعض النساء نوعا من قفطان فوق القميص ، شبيه كل الشبه بقفطان الرجال » . ويخبرنا لمبيرير في كتابه جولة في مراکش (ص 386) ، وقد اتحت له بوصفه جراحا فرصة مخالطة حريم امبراطور مراکش ، ان قفطان النساء ثوب واسع لا كمين له ، وهو يتدلى حتى يبلغ القدمين او يكاد ، ويصنع طورا من الحرير والقطن ، وتارة من الديباج .

اما القفطان المصري فيختلف كثيرا عن قفطان افريقيا الشمالية . فانظروا كيف يصفه لين في كتابه (المصريون المحذون ، ج 1 ، ص 39 - 41) : « انه سترة طويلة من القماش الحريري والقطني العامر بالخطوط . وهذه الخطوط قلما تكون خالصة بنفسها بل انها على العموم مزينة بالرسوم او بالازهار . وهذه السترة تتدلى حتى تبلغ كعب القدم ، ولها كمان طويلان ، يتعديان نهاية الاصابع ببعض العقود ، ولكنهما مشقوقان فوق المعصم قليلا ، او نحو منتصف الذراع ، بحيث ان اليد تبقى مكشوفة على العموم . ومع ذلك ، ففي حالات الضرورة ، يمكن تغطية اليد بالكم : ذلك لان التأدب يقضي ستر اليدين امام شخص من الطبقة العليا » .

وها انني اقرا في قصة هيلبيريتش (تقرير حقيقي موجز عن رحلات ، ص 393) ان رجال القاهرة يرتدون تحت اللباس الذي افترضه الجبة « سترة (Ein wammes) من القماش الحريري ، المتعدد الالوان المختلطة بعضها ببعض . اما كما هذا الرداء فطويلتان لغاية ، بغية استطاعة شبكهما على قبل الجسم » . ويبدو ان القفطان كان في ايام نيبور ارحلة الى البلاد العربية ، ج 1 ، ص 152) يتجاوز الاقدام . وقد وصف الكونت دي شابرول القفطان في كتابه (وصف مصر ، ج 18 ، ص 138) على هذا المنوال : « انه

توب مفتوح من الجهة الامامية ، وله كمان واسمان
بافراط ، وهو يلبس فوق المشد Le corset .

اما ثوب نساء مصر الذي يشبه كثيرا قفاطين
الرجال فلبس اسمه قفطانا بل يدعى يلكا Yelek .
واما قفطان مصوغ فيشبه كل الشبه قفطان افريقياسا
الشمالية ، ولا يشبه القفطان المرتدي في مصر الا
قليلا . فنحن نقرا في رحلة روبل (رحلة الى الحبشة،
ج 1 ، ص 119) : « والفرد هنا يرتدي فوق هذا
القميص قفطانا (Leibroek) من القطن المدبج
بالحرير ، وهو يتدلى حتى يبلغ ربله (او بطة) الساق،
ولا كم له ، ويشد حول الجسم بشريط دقيق من
الكتان . وتقع على القفطان في الساحل السوري ،
وهو في نظر دارفيو (مذكرات ، ج 1 ، ص 353)
كساء من الحرير الابيض الموشى » . ويرتدي بدو
سورية كذلك القفاطين ، او هم على الاقل كانوا
يلبسونها ايام زار المستشرق الذي ذكرته توا
ديار الشرق . ويقول في كتابه (رحلة من فلسطين
صوب الامير الاعظم ، ص 206) ان امراء وشيوخ البدو
يتخذون لباسهم الشتائي القفطان المصنوع من
الاطلس او من الحرير المنموج الموار Le moire
على هيئة قمباز الكاهن الذي يبلغ منتصف الساق ،
وله كمان واسمان » . وبعد ذلك (ص 210) يخبرنا
ان النساء البدويات لهن ايضا قفاطين مصنوعة
كالتوصلات يتزملن بها في الشتاء ويصل طولها الى
الارض . وهن يشمرن عن اقسامها الامامية ويدسسنها
في اطراف الحزام ، لتحقيق غرضين هما المشي
بحرية داخل المنزل وابرار التطريزات ، وهي على هيئة
الازهار انظاهرة على القمص والسراويل . ويقول
اخيرا في موضع آخر (ص 211) : « يلبس العرب
بصورة عامة قفطانا من النسيج القطني الفليظ » .
واذا آمننا بما يقوله علي بيك في كتابه (اسفار ، ج 2 ،
ص 106) فان نساء مكة يرتدين « قفطانا من القطن
الهندي » .

ويعلمنا كيروتر في كتابه (رحلات الى جورجيا
وبلاد فارس وارمينيا وبابل القديمة ، ج 2 ، ص 226)
ان شعب Kanaki (خاتنين ؟) على دبالسى ، في

الشمال الشرقي من بغداد يرتدي : « قفاطين واسمة
ذات اكمام عريضة » .

وبالرغم من ان المؤلفين القدامى قد رسموا هذه
الكلمة هكذا (خفتان) ، فان لفظة (قفطان) يبدو انها
هي الشائعة الاستعمال منذ عدة قرون : ولعل اسم هذه
الكلمة قد تحور بعد فتح الاتراك لمصر . وان كلمة
قفطان وجممها قفاطين ترد دائما في كتاب (تاريخ
اليمن ، مخ 477 ، ص 177 ، 298 ، 319) كما اننا
نصادفها كذلك في كتاب الف ليلة وليلة .

وقد راينا آنفا ان هوست والكونت دي شابرول
يكتبان هذه الكلمة على نفس الرسم ، ويكتبها دونباي
في كتابه (النحو المغربي العربي ، ص 82) هكذا
(قفطان) .

واخيرا فان لين في كتابه (المصريون المحدثون ،
ج 1 ، ص 40) يؤكد ان الكلمة تلفظ (قفطان) ولكن
الاشيع من ذلك لفظها (قفطان) .

الخفيفة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس - بوصفها اسم
لباس .

والرحالة كيروتر في كتابه (اسفار - الخ -
ج 2 ، ص 392) في معرض حديثه عن الزبيديين في
العراق العربي - قرب بغداد - يعرب عن افكاره بهذه
الكلمات : « يراهم الراؤون بصورة دائمة ولا غطاء لهم
الا الخفيفة Kaffia او الرداء المصنوع من قماش
مخطط بخطوط عريضة للغاية . وهذا الرداء هو اللباس
الاعتيادي (Domestic attire) الذي يبدو فيه
هؤلاء الاعراب قرب منازلهم » .

ولما كان فعل خفى - في الصيغة الثانية وفي الصيغة
الرابعة يعني - Abscondit, occultavit, celavit
وبمعنى في الصيغة الاولى Abscondit se وان كلمة
خفاء تعني Operimentum, tegimentum فانني
اعتقد ان حفية ربما تعني كساء واسما يغطي الجسم
كله (1)

Un grand manteau qui couvre tout le corps

- (1) ساحتكم على ملاحظة ان الصيغة الخامسة لفعل خفى لا وجود لها في القاموس - وانها تعني التنكر .
فنحن نقرا في كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناسكن - ج 2 - ص 292) : « تخفيت انا وغلامي » .
ويستعمل ابن الخطيب في كتابه (الاحاطة - مخ كابانكوس - ص 37) صيغة مماثلة للتعبير عن نفس
الفكرة - لانه يستعمل فعل خاف (يخيف) . واليكم كلماته : « فصار متخفيا الى مالقة ليركب منها
البحر الى جهة ابن مرديش » . ولكن ربما ينبغي احلال متخفيا مكان متخيفا .

الخلي

وانني غير واجدها كذلك في كتب الرحالين
الاوربيين الذين جاسوا خلال الشرق في مختلف
الحقب .

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

واذا آمننا بما يقوله النقيب ليون في كتابه (اسفار
في الشمال الافريقي) فان كلمة Kholi تشير لذي
اعراب طرابلس الى نوع من البركان ، الذي
يقف موقفا وسطا بين العبادة ، التي هي غاية في
الفلاحة ، وبين الجريد ، وهو غاية في النعمة .

الخمير

ويخيل الي ان هذا النقاب كان مستعملا في عهد
كوليوس ، لان هذا العالم يؤكد انه برقع امرأة ، وانه
يغطي مقدمة العنق ، ويستتر الذقن والفم ويتعلق بقمة
الراس . ولما كان كوليوس لم يذكر لا طول ولا نوع
قماش ولا لون هذا الستر ، فمن التطويح بالامانة
العلمية ان نطبق على وصفه - الذي تموزه اداقة -
اقوال الرحالين الذين زاروا الشرق وقت زيارة
كوليوس له (1) .

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ويعلمنا الرحالة بنكهام في كتابه (اسفار في بلاد
ما بين النهرين ، ج 1 ، ص 7) انه حمل سفتجه
وتقوده واوراقه « مخفية في حزام سري »
Inner girdle يسميه سكان البلاد Khummr
خمرا ، ويستعمل هذا الحزام بصورة عامة لهذا
الغرض ، ما دام لا يمكن اضعته ، ولا يمكن انتزاعه من
المسافر اللهم الا اذا جرد تجريدا تاما من ملابسه .
وستذكرون ان فعل خمير يعني (Operuit, textit, etc)

الخميسة

تشير هذه الكلمة ، حسب مذهب الجوهري ،
الى ثوب مربع اسود ، مزين بحاشيتين مختلفتي
اللون . ويرى مؤلف عيون الآثار 1 مخ 340 : ص
189) ان الرسول (ص) ترك فيما ترك حين وفاته
خميسة . وفي صحيح البخاري ج 2 مخ 356 ،
ص 168) تقرا الحديث التالي مرويا عن عائشة وبعد
الله بن عباس : « لما نزل برسول الله صلى الله عليه
وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه . فاذا اغتم (2)
كشفها عن وجهه . فقال وهو كذلك : لعنة الله على
اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد .
يحذر ما صنعوا .

الخمار

يبدو ان هذه الكلمة كانت معروفة معرفة وافية لدى
الجوهري والفيروزابادي ، وانها لم تكن بحاجة الى
الشرح والتفسير . ولكن يجب ان اعترف لنحس
طالعي انني لم اقع على هذه الكلمة لدى مؤلف بمقدوره
ان يشرحها لي شرحا صحيحا ، لذلك ليس في طاقتي
ان اخوض في اي حديث عن نوع البرقع او الستر او
الحجاب او القناع الذي تدل عليه هذه الكلمة . واذا لم
اكن متوهما ، فان كلمة خمار لم يتطرق اليها المؤرخون
العرب في عصر النويري والمقريري ومن لف لفهما .
واستطيع ان اتجرا فأقول مؤكدا عبث عملية التنقيب
عنها في كتاب الف ليلة وليلة .

وفي الكتاب نفسه نرى الحديث التالي مرفوعا
الى زوجة الرسول الحبيبة الى نفسه : قالت :
« صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) في
خميصة له لها اعلام . فنظر الى اعلامها نظرة . فلما
سلم ، قال : « اذهبوا بخميصتي (3) هذه الى ابي

(1) ان كلمة خمار تدل كذلك على : مندبل يغطي به الانسان عينه . فنحن نقرا في الكتاب المعنون مجمع
الانهر (ط . القسطنطينية ، ج 2 ، ص 259) : ولا بأس ان يشد خمار اسود من الحرير على العين
الرامدة او الناظرة الى الثلج .

(2) هكذا ، اذا لم اكن متوهما ، معنى الحالة الثامنة لفعل غم في عبارتنا . راجع الصيفة السابعة في
القاموس .

(3) من المعلوم ان المشرع الاعظم للجزيرة العربية قد نهى عن اداء اي عبادة لاي بشر هالك ، هذه العبادة
التي يجب ان تكون لله وحده .

أخضر أو أصفر . فقال : يا أم خالد هذا سناه « (2) (وسناه بالحشية حسن) ..

وأخيرا فان انس (المرجع نفسه) يقص ما يلي :
« لما ولدت أم سليم قالت : الي يا انس انظر هذا الغلام ولا يصيبين شيئا (3) حتى تغدو به الي النبي صلى الله عليه وسلم يحنكه (4) . فغدوت به فاذا هو في حائط وعاهيه خميصة حديثة . وهو يسم الظهر الذي قدم عليه في الفتح . فاذا عارضنا هذه النصوص ببعضها ، وهي نصوص قيمة لا ارتاب في انها تهتم المستشرقين من عدة وجوه ، فاننا سنحصل من

جهم فانها الهنتي آنفا عن صلاتي وايتوني بانبجانية .
أبي جهم بن حذيفة بن غانم من بني عدي بن كعب (1) .

ونقرأ كذلك الحديث التالي ترويه أم خالد بنت خالد (ص 169 ، والحديث نفسه ص 170) .
قالت أم خالد بنت خالد : « أتى النبي صلى الله عليه وسلم بثياب فيها خميصة سوداء . فقال : من ترون ان تكسو هذه ؟ فسكت القوم . فقال : ايتونسي بأم خالد . فاتي بها تحتل . فأخذ الخميصة بيده فآلبسها وقال : « ابلي واخلقي . وكان فيها علم

(1) ان النووي في كتاب (تهذيب الاسماء ، مخ 357 ، ص 241) يزودنا حول هذا النص بالتفصيلات التالية : « أبو الجهم ، ويقال له أبو جهم ، بحذف الالف واللام ، الصحابي رضي الله عنه بفتح الجيم واسكان الهاء مذكور في المختصر والمهذب في الخطبة في النكاح ان فاطمة بنت قيس قالت : خطبني معاوية وأبو الجهم . ومذكور في المهذب أيضا في باب ما يفسد الصلاة في حديث الخميصة ذات الاعلام وانبجانية واسمه عامر وقيل عبيد بضم العين بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بفتح العين وكسر الباء بن عويج بفتحها أيضا بن عدي بن كعب القرشي العدوي - اسام يوم الفتح وصحب النبي صلى الله عليه وسلم وكان معظما في قریش ومقدما فيهم . قال الزبير بن بكار : كان أبو الجهم عالما بالنسب . وكان من المعمرين . شهد بنيان الكعبة في الجاهلية . وشهد بنيانها في أيام الزبير وفي (لا يوجد عنوان) انه توفي في أيام معاوية . وهو أجد دافنسي عثمان بن عفان وهم أربعة : حكيم بن حزام الخ .. »
وانني اعترف بجهلي لماذا اضاف الرسول هذه الكلمات . فقد بحثت عبثا عن كلمة انبجانية في كتاب تهذيب الاسماء للنووي ، حيث كنت اؤمل ان اجد بعض الملاحظات الخاصة لانارة هذا النص .

(2) في الحكاية الاخرى لنفس الواقعة نجد سنا . وهي كلمة حشبية . وقد ولدت أم خالد في الحشبة ، حسب تقرير عيون الاثر (لدى هاكر ، حصار منفيس والاسكندرية ، ص 71) .

(3) معنى ذلك انه لن يمض ثدي حاضته .

(4) نقرأ لدى النووي (تهذيب الاسماء ، مخ 357 ، ص 334) : فصل حنك . قوله في المهذب في باب العقيقة : يستحب ان يحنك المولود بالتمر . واستدل بحديث انس رضي الله عنه في ذلك . وهو حديث صحيح . قال صاحب المطالع : التحنك هو ان تمضغ التمرة وتجعلها في فم الصبي وتحنك بها حنكة بسبابتك حتى تتخال في حلقه . والحنك اعلا داخل الفم . والله اعلم . قال الهروي : يقال : حنكه وحنكه يعني بتخفيف النون وتشديدها . والله اعلم . ويجب علي ان الفت الانظار هنا ، بمناسبة هذه العبارة ، الي ان كلمة مستحب لقيض كلمة فرض ، وان الكلمة الاولى تعني : ما اصبح عادة عامة ، ما تبناه الناس بصورة شاملة ، دون ان تأمر به شريعة . في حين ان كلمة فرض تعني ما امرت به الشريعة في الحقيقة والواقع . وهناك عبارة للتويري (نهاية الارب) ، مخ 373 ، ص 592) تبرهن بوضوح على هذا المعنى لكلمة مستحب ولكلمة فرض ، المعنى الذي سنبحث عنه في معاجمنا ولكن دون جدوى . (والاحظ بصورة عابرة ان هناك كلمات قد حركت عن مواضعها في مخطوطتنا التويرية من قبل الناسخ) . وان جملة : استدل بحديث تعني استخدام الحديث لاثبات ادعائه . وفي مخطوطة لكتاب ابن خلكان عائدة الي ويلمت ، هي الآن جزء من مكتبة معهد البلاد المنخفضة نجد في الصفحة 22 : استدل بحديث أبي لبابة . وقد بحثت عبثا عن كلمة حريثة التي هي اسم مكان ، في عدة كتب مطبوعة ومخطوطة . اما عن كلمة ظهر فراجع : كاترمير ، مذكرة حول الميداني ، ص 42) .

– او من الصوف – ومزود من جهته الخلفية بقمع كبوشي – ومزود بازرار . وهذا الرداء الفضفاض المسمى فى اللغة العربية شنيفة Chanyf او شنيفة Chanyfa يرتدى عادة فوق الحايك .

شنيفة أم خنيفة ؟ شنيف أم خنيف ؟ ..

ولكن تتخذ الحيطه فى الشتاء لتغطية الراس الذى يعمم بالقبع الكبوشي . وحين يرتدى هذا المعطف على هذه الشاكلة يدعى (مغنه « Mugannes » راجع شكل هذا اللباس فى كتاب دابر (ص 240 – الشخص الثاني الايسر) . اما عن كلمة Mugannes فيجب علي ان اعترف – شئت أم ابيت – بانني اجهل كيف تكتب الكلمة فى المغرب . فحسب النطق الهولندي ينبغي ان نكتبها (مغنس) – وهي كلمة لا وجود لها فى القواميس واقعيا – ولكنها مع ذلك يمكن ان تكون قد استعملت من قبل سكان الشمال الافريقي

الدرع

يفسر العرب كلمة درع بكلمة قميص Chemise وانني اجهل ما يميز الدرع من القميص ، ولكن كلمة درع لا تنطبق الا على قميص المرأة ، وكثيرا ما استعمل السفراء هذه الكلمة للاشارة الى المرأة نفسها . وهكذا نجد فى قصيدة للمعتمد فى كتاب (قلاند العقيان للفتح بن خاقان ، ج 1 ، مخ 306 ، ص 8) (الكامل) :

ان نشرت تلك الدرود خنادسا
ملات لنا هذي الكؤوس ضياء

لادراك معنى هذا البيت ، ينبغي ان نتذكر ان الشعراء يشبهون الفيد بالليل ، بسبب شعرهن الاسود ، ويشبهون الخمر بالنهار او بالشمس لبريقها ولالائها .

وعلى هذا الاساس اترجم هذا البيت :

« اذا كانت هذه الفتيات (حرفيا : هذه القمص) قد نشرت الظلمة ، فمقابل ذلك هذه الكؤوس قد ملئت لنا بالضياء » .

والشاعر نفسه يقول ايضا (المرجع السابق) (الكامل) :

كلمة خميصه على النتيجة التالية : انها نوع كساء اسود ، يلبسه الرجال كما تلبسه النساء ، وهو مطرز الاعلام او الحواشي بالالوان المختلفة ، وقد يكون ذا علم واحد او حاشية واحدة . وهناك موضع اسمه حريثة يبدو انه كان مشهورا بحياقة هذا النمط من اللباس . وها انكم ترون فى النصوص التى اوردناها عدم ذكر اي شيء عن النسيج الذى تصنع منه الخميصة ، والجوهري نفسه لم يعلمنا اكثر مما اعلمنا سواه . وانني على جهل مطبق بالمصدر الذى استقى منه فريتاك علمه بصنع هذا اللبوس من الصوف والحريز . ترى اين وجد هذه المعلومات ؟ وعلى كل حال فلم يكن بالتاكيد هذا الكساء حريزيا فى عهد محمد .

ويذكر الجوهري فى معجمه بيتا بوسمكم قراءته فى قاموس فريتاك يتضمن ان الشعر الاسود لفتاة يافعة يشبه خميصه .

الخنيف والخنيفة

كلمة خنيفة لا وجود لها فى القاموس . وتشير هاتان الكلمتان الى رداء من الصوف الغليظ – يرتدى فى بلاد البربر

يقول مارمول (وصف افريقيا – ج 2 ، ص 4 ، مج 1) فى معرض حديثه عن البربر فى ولاية حاحة Héha اشد ولايات المملكة المراكشية غربية: انهم يرتدون كذلك المعاطف Des capotes grossières الغليظة – المعمولة من بعض القماش الصوفي الخشن الاسمر – وهم يسمون هذه المعاطف « Hañyfas » وفى موضع آخر (ج 2 ، ص 23 ، مج 3) : ترى (سواد الرجال فى مراكش) يرتدون المعاطف الخشنة الغليظة السمراء – ويسمونها Hañyfas . واخيرا (ج 2 ، ص 102 ، مج 3) – يقول المؤلف نفسه – وهو يتحدث عن عامة رجال مدينة فاس : « يرتدون المعاطف الصوفية – الخشنة الغليظة السمراء – المسماة Hañifas ويقول دابر فى كتابه (وصف حقيقي دقيق لاقاليم افريقيا – ص 240 ، مج 1) ضمن التفصيلات التى يوردها حول زي سفراء ملك مراكش وفاس – الذين قدموا الى امستردام عام 1659 : « ان السفير ابراهيم دق Duque كان يرتدى هو ايضا الحيك – ولكنه كان لابسا فوق هذا الثوب رداء واسعا – قد وصل الى حزامه – وهو مصنوع من شعر المعزي الاسود

قد رمت يوم نزالهم
الا تحصنني الدروع

بلاط الى بلاط - حتى نصب وزيراً من قبل الامير
البويهي مشرف الدولة - ولكن ابن خلكان يضيف
انه لم يتلق لقب شرف ولا خلع - ولم ينقطع عن
ارتداء الدراعة (وقلد الوزارة من غير خلع ولا لقب
ولا مفارقة الدراعة) . ويقول البارون دي سلان في
كتابه عن ابن خلكان (ج 1 ، ص 455) : بأنه لا يفهم
لماذا كان المغربي مرغماً على ارتداء الدراعة بصورة
دائمة ... ينبغي ان نعترف بأن المسألة بالغة
الغموض بحيث يتعذر تأويلها - ما دنا غير واجدين
في اي مكان كان وصفا لزي وزراء السلالة البويهية .
ولما كانت الوقائع تموزنا - فأسمح لنفسي باخضاع
تخميني لحكم اصلان المستنير . اذن فاني مفترض
ان الدراعة لم يكن يرتديها وزراء السلالة البويهية
- وان مشرف الدولة - حين ارغم المغربي على ارتداء
هذا اللباس على الدوام - اراد أن يؤكد على اعتباره
اجنبيا بصورة مستمرة (بوصفه وزيراً مصرية) -
فلم يمنحه ثقته التامة - ولم يعتبره أحد رعاياه
المولودين في ولاياته .

وحسبما يقول مؤلف كتاب مسالك الابصار
(تعليقات ومقتبسات ، ج 13 ، ص 216) ان الدراعة
كانت ترتدي في الهند من قبل القضاة والادباء - كما
كانت ترتديها جماهير الشعب .

ويرد لدى النويري (تاريخ مصر ، مخ 2 ، ص
144) ذكر (دراعة بنفجي) - وكذلك يفصل
المقريزي (تاريخ السلاطين الماليك ، ج 1 ، ق 1 ،
ص 149) . وكانت الدراعة مستعملة في الاندلس .
فنحن نجد لدى المقري (تاريخ الاندلس - مخ دي
غوتا - ص 373) ان عرب الاندلس قد اتخذوا
(الدرايع التي لا بطائن لها) ازارا باشارة من
زرياب - كما نجد في موضع آخر لدى المؤلف نفسه
(مخ 86) ان لباس الشرف - الذي منحه الحاكم
الثاني الى اوردونيو الرابع - كان يتألف من (دراعة
منسوجة بالذهب) ومن برنس .

ونحن ما زلنا واجدين هذا الثوب في مدينة
الجزائر . فان دييكو دي هيدو يتحدث في كتابه
المعنون (خطط مدينة الجزائر -
ج 8 ، مخ 2) : « يرتدي كثير من الناس قميصا
آخر من الكتان المرسل - بدلا من هذه الغلالة - وهو

» لقد رغبت بحماسة متقدة منازلة الاعداء ،
ولكن النساء (حرفيا : القمص) منعتني من ذلك « .
وهكذا نرى من هذه العبارات أن كلمة الجمع (دروع)
وليس فقط كلمة ادرع ، كما تحاول ان تحفنا على
الاعتقاد معاجمنا، مستعملة للاشارة الى قمصان المرأة،
والواقع هو أن الشاعر ابن اللبانة (المرجع السابق ،
ص 38) يستعمل هو ايضا كلمة الجمع (دروع)
للدلالة على قمصان المرأة (1) .

الدراعة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .
واتباعا لرأي دابر في كتابه (وصف حقيقي
دقيق لاقليم افريقيا الشمالية - مخ 2 ، ص 241)
نرى ان كلمة Dhiraا دراعة تشير في المغرب -
الى هذا الرداء الواسع العظيم المسمى كذلك بالازار -
راجع هذه الكلمة .

الدراعة

لقد اورد سيلفستر دي ساسي بعض التفاصيل
عن هذه الكلمة في كتابه (طرائف عربية - ج 1 ، ص
125) ونستخلص من عبارة القاموس - التي استشهد
بها هذا العالم - ان الدراعة قديما لم تكن تعمل الا
من الصوف . ويعلمنا المقريزي (المرجع السابق) ان
اللباس هو الذي كان يميز الوزراء من بقية ضباط
القلم او المدالة . وهذا المؤلف يصف الدراعة بأنها
مفتوحة من الجهة الامامية حتى اعلى القلب ومزورة
بازرار وعري . ونحن نقرا لدى نفس المؤرخ في
كتاب سيلفستر دي ساسي (ج 1 ، ص 50 . النص
العربي) ان الخليفة الحاكم بأمر الله كان يلبس
الدراعة المصنوعة من قماش احادي اللون .

ونجد لدى ابن خلكان (وفيات الاعيان ، ج 1 ،
ص 231) عبارة رائعة للغاية - عن حياة الوزير
المغربي . فهذا الرجل - المصري المولد - كان قد
هجر وطنه - لانه كان يخشى الحاكم - الذي كان قد
أعدم اياه وعمه واخوته . فهام على وجهه منتقلا من

(1) لقد تمسف المستشرق الكبير حتى ضل السبيل (المترجم) .

تحدثنا عنهم آنفا - وهن يسمين هذا القميص
دراعة Dorat او الدراعة Adorat [1].

ويؤكد ابن بطوطة (الرحلة - مخ دي كايانكوس
- ص 106) ان سكان مقدشرا (راجع خرائطنا عن
الساحل الشرقي الافريقي) يرتدون : « دراعة من
المقطع المصري معلمة » (2) .

واخيرا فانني اود الفات نظركم مرة اخرى الى
وجود من كانوا يلبسون عدة دراعات بعضها فوق
بعض . فنحن واجدون في تاريخ العباسيين

طويل - مفرط في السعة - مفرق في البياض
ويحمل اسم الدراعة Adorra وفي موضع آخر
(ص 27 ، مج 2) يقول المؤلف نفسه ان النساء
العربيات في هذه المدينة يرتدين فوق اقمصتهن :
القميص المفرط في السعة والفضضة - الدقيق
للغاية - الابيض الى ما لا نهاية - الشبيه بذلك
القميص الذي يرتديه ازواج هؤلاء النسوة المسمون
بلدي Baladis او من يدعون بالحضر - والذين

(1) اغتنم هذه الفرصة لاناشد المستشرقين - ما اذا كانوا يعرفون كلمة عربية - لها جرس لفظة
Dorre وتدل في الوقت نفسه على الجوخ الاصفر . فانني اقرا في قصة رحلة ا فان خيستلا :
ص 31) ان المغاربة : « يرتدون عادة نيابا طويلة من النسيج الابيض - ذات اكمام واسعة -
وبصورة عامة لا احزمة لها - والكثيرون منهم يلبسونها ايضا على مختلف الطرز - ومتنوع
الالوان - كالاخضر الفاقع - والازرق وال Dorre اي الجوخ الاصفر » .

(2) تدل كلمة مقطع على الكتان - ذلك لان بيدرو دي الكالا في كتابه مفردات اسبانية عربية ، يفسر
هاتين الكلمتين Glenda lienco بأنهما تونسي ومقطع وجمعه مقاطع - ويفسر Avala (aube)
بقميص من مقطع . ويعتبر ابن الطيب في كتابه الاحاطة - مخ دي كايانكوس ، ص 14) ان
المقاطع التونسية من بين الالبسة التي يرتديها الفرناطيون . وينبغي احلال كلمة التونسية محل
كلمة التونسية - وترجمتها : « اقمشة اكتان التونسية » . وقد كانت مدينة تونس مشهورة
بالكتان الذي يصنع فيها - واليك ما نقرا حول هذا الموضوع في كتاب مارمول ا وصف افريقيا ،
ج 2 ، ص 241 ، مج 1) : « ان معظم سكان مدينة تونس هم من الحاكة - وينسج في هذه
المدينة افخر اكنان الموجود في افريقيا - لان نساء تونس يغزلن اكنان غزلا في غاية الدقة
والنعومة ويبرمنه برما لا مثيل له . ومن هذا اكنان تحاك هذه العمائم المترفة (Tocas) التي
تدعى Tunecis (de Tunis) (من تونس) - وهي مرغوب فيها بجنون لدى المغاربة » . وهذه
العمائم المنسوجة من كتان تونس - لم تبق مجهولة لدى شعراء اسبانيا المسيحيين . لاننا نقرا في
(مجموعة من اشعار المويكيين ، ص 35) : « طاوية غامقة الخضرة - مع عمامة من النسيج
التونسي » .

ونقرا في موضع آخر (ص 164) : « Tocas tunecies - الدراريح التونسية » .
واعتقد انني وقعت على كلمة مقطع وجمعها مقاطع - بمعنى قماش من الكتان - في كتاب مسالك
الابصار . اذ اننا نقرا في ترجمة كاتومير (ملاحظات ومقتبسات - ج 13 ، ص 200) ما يلي :
« تبعا لما رواه لي سراج الدين عمر الشبيلي ان الثياب التي تجلب من الاسكندرية ومن بلاد
الروم ترتدي بصورة خاصة من قبل اولئك الذين ينعم بها عليهم السلطان . اما الآخرون فان
اقبيتهم وارديتهم مصنوعة من القطن الناعم . وتصنع من هذه المادة الثياب التي تشبه مقاطع
بغداد » . واود ان الفت الانظار الى ان كلمة مقاطع لم تستعمل مطلقا بمعنى الوردية . ولعل النص
هذا يعنيها : وتصنع به ثياب تشبه المقاطع البغدادية . ويجب ان اترجم كلمة ثياب هنا بقطع
قمماش آنفا (ص 1 - 22) وارى ان معنى هذه العبارة هو تصنع من هذه المادة قطع من القماش
تشبه الاقمشة الكتانية البغدادية » . واود مرة اخرى ان الفت الانظار الى ورود كلمة (رفعة)
هذه (المقاطع) La finesse مباشرة بعد ذلك اذا قورنت برفعة الاقمشة الهندية - وان هذه
الاقمشة توازن بالوصلي (الموسلين) - وكل هذا ينطبق كل الانطباق على الاقمشة المصنوعة من
الكتان .

لتويري ، مخ ، ص 190) « وفي هذه السنة امر المتوكل بأخذ أهل الذمة بلبس دراعين (دراعتين) عسليين (عسليتين) على الدرايع والاقبية » . وذلك عام 239 .

المدرع والمدرعة

يخيل الي ان هاتين الكلمتين تشيران الى ما تشير اليه كلمة دراعة بالذات ، ويرى القاموس ان المدرع والمدرعة يكونان دائما من الصوف . والحقيقة ان هاتين الكلمتين تدلان على لباس من الصوف الغليظ الذي لم يكن يرتديه الا العبيد او فقراء عامة الناس . فنحن نقرا في كتاب القرطاس Le Kartas اط . تورنير ، ص 6) ان عبدا كان يرتدي ا مدرعة صوف . ونجد في سراج الملوك للطروثسي (مخ 70 ، ص 43) ان شخصا كان يرتدي شملة ومدرعة من الصوف ، دخل على الخليفة معاوية ، وانه زجر على انتهاكه للآداب المرعية . ويتحدث Al-Bikaī (الذي كوزكارتن ، طرائف عربية . ص 58) عن نساء كن يرتدين المدارع الشعرية ، فيقول : (عليهن مدارع الشعر) .

الدروزة ، الدروزة

لا وجود لهذه الكلمة الفارسية الاصل في القاموس .

ولكننا نقرا للمقريزي او بالاحرى لابن سعيد (لدى فريثاك . طرائف عربية ، نحو ، تاريخ ، ص 145) : « وطريقة الفقر على مذهب أهل الشرق في الدروزة التي تكسل عن الكدر » .

يعني فقراء الأندلس الذين لا يجرؤ احد على لس دروزاتهم لقدارتها (1) .

راجع دي كايانكوس في كتابه تاريخ السلاط المحمدية في الأندلس . ص 114 وتعليق ص 404 .

الدفاء ، الدفاء ، الدفينة

لا وجود للصفة الاخيرة في القاموس . ان كلمتي دفاء ودفاء تشيران الى لباس من

الصوف او من الشعر - او من الفرو - يستعمل للوقاية من البرد . اراجع القاموس - ط كلكتنا - ص 27) . اما في ايماننا هذه فان كلمة دفية مستعملة في مصر . فنحن نقرا في وصف مصر ا ج 18 ، ص 110) : « الدفية هي قميص كبير من البركان الاسود - الذي يستعمله اعيان السكان في قرية من القرى » . ويقول لين في كتابه المصريين المحدثون ، ج 1 ص 45) : هناك افراد عديدون من الشعب يرتدون نوعا من الابدية - واحدها اوسع من العباية - وهو مصنوع من نسيج صوفي ملون بالسواد او بالزرقة الفامقة - ويسمونه دفية » .

الدقار ، الدقارة

يرى الجوهري والقاموس ان هذه الكلمة تشير الى ما يدعى بالتبان . راجع هذه الكلمة .

الدلق

يرسم سيلفستر دي ساسي في كتابه اطرائف عربية - ج ، ص 269 وفريثاك) هذه الكلمة هكذا : دلق . ويقول لين في كتابه المصريين المحدثون ، ج 1 ، ص 346) ان الكلمة تكتب كذلك على هذه الصورة (دلق) . ولكن الناس يلفظونها بصورة عامة كما يلي (دلوق) . ويعتقد ان كلمة دلق تستحق الاصطفاء . ولم اتبين العلة في الموضوع . انها دلق الكلمة الفارسية - وهناك وزن لقصيدة وردت في كتاب سيلفستر دي ساسي المذكور آنفا ، ج 2 ، ص 45 . سط 4 من النص العربي تبرهن بوضوح وقوة على ان كلمة دلق كانت تلفظ في قديم الزمان هكذا (دلق) بمقطمين ، وليس بثلاثة مقاطع .

والدلق هو لباس الفقراء والدجانيين من الاولياء - ويرى السيوطي في الطرائف ، ج 2 ، ص 317) ان القضاة والعلماء كانوا يرتدون دلقا واسعا لم يكن مشقوقا - بل كانت فتحته من فوق الكتف - ويلبس الخطباء دلقا مستدير الشكل اسود اللون - وهو اللون الخاص بسلالة العباسيين » . ويرى لين في كتابه (المصريين المحدثون . ج 1 ، ص 346 - 373) وفي (الف ليلة وليلة . ج 1 ، ص 139) ان الدلق هو ضرب من الرداء الطويل - المؤلف من خرق

(1) اذا لم يكن ثمة خطأ في هذه الكلمة ، فينبغي ان تنطق هذا النطق (تكسل) .

المدجاة

يفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 233) هذه الكلمة بأنها العمامة .

الندنية

الندنية - كما ترى المعاجم - هي طاقة القاضي - لان لها شكل الدن - اي شكل برمبل كبير للخمر . وتقرأ في رسالة موجهة من قبل حمزة الى القاضي (لدي ساسي ، طرائف عربية ، ج 2 ص 92 من النص) ان حمزة امر - في كثرة ما امر - بان يلبس هذا الاخير دنية طويئة سوداء - لها عذبات صفر تتدلى على الصدر .

المدواج

انني اجهل حتى الان ما اذا كانت هذه الكلمة تعني على العموم رداء او انها تعني ضربا خاصا من الاردية ويفسرها القاموس (ط . كلكتا ، ص 234) بأنها (اللحاف الذي يلبس) .

راجع القريزي (لدي كوزكارتن ، طرائف عربية ص 116) .

الدائرة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وهي على رأي هوست (اخبار من مراكش ، ص 102 الذي يكتبها ديرة Déira تشير الى رداء ازرق يرتديه الخاطب فوق الحيك ، وانني افترض ان هذه الكلمة هي الاسم المؤنث المشتق من فعل دار (ملابس تحيط الجسم Vestis ambiens (corpus))

المداس

استعمل النويري (تاريخ مصر ، مخ 2 ص 21) في عبارة له كلمة نعل وكلمة مداس بدون تمييز او تفريق . فنستخلص من ذلك ان كلمة مداس تشير الى الكلمة الفرنسية صندل Sandale ، كما تشير اليه كلمة نعل . والواقع ان النقيب ليون (اسفار في الشمال الافريقي ، ص 156) يؤكد ان المعنى بكلمة مداس هي الصنادل المزركشة الجميلة المنظر البارعة

الجوخ المختلفة الالوان . وقد سبق ان قطعت على نفسي وعدا - حول كلمة خرقة - بالدخول هنا في التفاصيل عن ثوب التاملين - او عن اشباههم - وهم مجاذيب الشرق وبهاليله . واليك ما وعدت به . فاننا نقرأ في قصة روجيه (الارض المقدسة ، ص 247) : « هناك نوع آخر من العباد يدعون قولي ؟ Quoueli بعضهم حليق الراس -

وهم يرتدون اردية مؤلفة من الف نوع من الخرق والاسمال ومن مختلف الالوان - ولكنها نظيفة للغاية » (راجع الصورة 240 . وفي قصة ستوكوف المعنونة (رحلة الى المشرق ، ص 433 - 434) لدى وصفه القاهرة : « والخلاصة لا يوجد في اية ولاية من ولايات تركية شعب مؤمن بالخرافات مثل شعب القاهرة ، القاهرة التي لا مثيل لها في حشد هذا العدد الهائل من مشعوذي الاولياء والدرأويش . فهناك تجد منهم من يتكلمون في الدروب عراة كما ولدتهم امهاتهم - وهناك آخرون يرتدون جلود الاسود او النمر . . وانك واجد اولياء آخرين يلبسون الف نوع من الالبسة المختلفة المضحكة . وها انسي اصادف شخصا لابس اعجب ملبوس لا تستطيع ان تضحك من شيء اكثر مما تضحك منه - وهو يمشي على عكازتين يعلو بهما نحو قدمين - وقد الصق بجسمه رداء يضل الى ركبتيه نصفه مصنوع من كل أنواع الجلود - والنصف الآخر من كل انواع الاقمشة المختلفة الالوان - وقد شد على وسطه حزاما من جلود الافاعي - وهذا الحزام لم يمنع ثوبه من الافتتاح لدى كل خطوة يخطوها وابانة عورته للسائل والمحروم - وقد شد عضوه التناسلي بحلقة ضخمة من الحديد » .

ونقرأ لدى دارفيو في كتابه (المذكرات ، ج 1 ، ص 209) : « يرتدي درأويش مصر ملابس غاية في الغرابة : فملابس بعضهم حافلة بالخرق والاسمال البالية الملونة بكل انواع الالوان - وملابس الآخرين اردية مجللة بالريش الكثير - وهناك عراة كل العربي - ولهم لحى وشعور شبيهة بأشواك القناذل . ويقول المؤلف في موضع آخر (ج 1 ، ص 324) عن درويش في الصعيد انه كان يرتدي : « سترة مؤلفة من الخرق الكثيرة المختلفة الالوان - وان هذا الدرأويش بذاته مسخرة قائمة بذاتها . فسعة حزامه قدم وهو يعج بعدد كبير من الحلقات النحاسية » .

التي يسميها رياس Reyas كما يدعوها جاكسون في كتابه (تقرير عن مراكش ، ص 138) عن الرياحات Bayahat او البانتوفلات الحمراء Pantouffles rouges اناء مراكش .

الرسوة ، الارسوسة

يفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 764) هاتين الكلمتين بكلمة قطنسوة . راجع هذه الكلمة .

الرسية

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس . واعتقد انها تشير الى نفس النوع من عمرة الراس المسمى رسة ، ومعنى ذلك القطنسوة ، وانني ازعم عدا ذلك ان الكلمات رسة وارسوسة ورسية مشتقات من كلمة راس ، وفي العبرية روش : وقرر اخيرا لفظها رسية . وقد وصف الشاعر الصقلي ابن حمديس احد القصور ، لدى (النوري ، نهاية الارب ، مخ 273 ، ص 106) فقال : (الكامل) :

خلعت عليه غلائلا ورسية (شمس البيت) . وترجمتها : « خلعت عليه الشمس تكريما له البسة ، وهي الفلائل (الملابس الصفراء) وجبته كذلك رسية » . امام الشاعر هنا بريق الذهب ولااؤه النذان يسطع بهما هذا القصر ، وقد زادته اشعة الشمس توهجا على توهج . فيخيل الي اذن ان بوسعنا ان نستخلص من هذا البيت ان عمرة الراس المسماة رسية كانت ذات لون اصفر (1) .

الرصافية

يدور البحث في عبارة لابن خلكان (ط دي سلان ، ج 1 ، ص 155) عن هذا النوع من العمرة ، وبعد هذا الكلام بقليل سميت سترة الراس هذه قطنسوة . وقد سبق للبارون دي سلان (راجع الترجمة الانجليزية لكتاب ابن خلكان ، ج 1 ، ص 115) ان لفت الانتظار الى ان الرصافية كانت على هيئة طاقية ومن نوعها ، وهذه الهيئة لم نعد نعرفها اليوم على وجه الدقة والتحديد ، وانني اجعل ما اذا

الضنعة ، التي يلبسها الرجال والنساء على حد سواء » . وبوسعنا قراءة حكاية لاذة للغاية بخصوص المداس لدى م. ج. همبر في كتابه (حوليات عربية لم يسبق نشرها ، ص 41 - 45) . Arabica Inedita (pag. 41-45) de M. J. Humbert

الذيل

تشير هذه الكلمة ، كما نعلم ، الى ذيل رداء او ذيل ثوب النخ . ولكنها تدل كذلك في مالطة على : تنورة من النسيج الابيض . (راجع فاسيلي في كتابه قويميس مالطي ، مجموعة 157) ويكتبها فيسكيه في كتابه (رحلة الى الشرق ، ص 6) هكذا (ايديل I-deil . ويقول عن الذيل : « تنورة من التيل او القطن الابيض ، ترتديه القرويات في جزيرة مالطة » .

الترجيل

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس بمعنى مركوب .

وان النصوص التي نحن واجدوها في كتاب الف ليلة وليلة (تجدون هذه الكلمة ، بهذا المعنى ثلاث مرات في الصفحة 87 من الجزء الاول من طبعة مكناكتن) لا تدع مجالا للشك حول هذا المعنى لكلمة ترجيل . والحقيقة ان كلمة ترجيل في انصفحة المذكورة مستعملة للدلالة على نفس ما تمنيه كلمة مركوب سولييه Soulier فتورنسي اذن مصيب كل الاصابة حين يترجم في كتابه (انس الليالي العربية ، ج 1 ، ص 114 الكلمة الى شوز Shoes وارجو ان يعذرني لين ، كما اوام ، اذا كنت لست مستحسنا ترجمته ، حينما يترجم كلمة ترجيل بكلمة صندل Sandales (الف ليلة وليلة ، ج 1 ، ص 163) .

الرخاية وجمها الرخايات

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس . ويترجم بيدرو دي الكالا (مفردات اسبانية عربية) الكلمتين الاسبانييتين على هذه الشاكلة : Escarpins et peal عن (الاسكاربينات) الخفاف

(1) توهم المستشرق الكبير فحسب ان الواو في كلمة ورسية هي حرف عطف فآخطأ . وبني افتراضه على خطأ ، فوصل الى نتيجة خاطئة خطأ مركبا ! (المترجم) .

(ط مكناتن ج 2 - ص 238) : « ولبت مرقعة
ووضعت على رأسها ازارا عمليا ». والحديث جار حول
احدى المجازز .

المركوب وجمعه المراكيب

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وهي تشير الى مداس - وتوجد احيانا فى كتاب
الف ليلة وليلة . راجع مثلا ط مكناتن - ج 1 ،
ص 86 - 87) وانظر كذلك : طها بيخت - ج 1 ،
ص 319 - 220 - 222) . فنحن نقرا فى وصف مصر
(ج 18 - ص 110) : « هناك زوجان من المركوب او
فردتان من المداس حمراوان » . ويركد لين فى كتابه
(المصريون المحدثون - ج 1 ، ص 42) : « ان المراكيب
تصنع من الجلد المراكشي الاحمر السميك - وهي
مدبية وانونها شامخة الى العلاء » . ويرد فى رحلة
ستيفنس (حوادث رحلة الى مصر وسيطرا العربية
والارض المقدسة - ص 225 ، ج 1) ذكر المراكيب
الواسعة الحمراء - لاجد تجار القاهرة - التي يلبسها
فوق المز الاصفر (Yellow slippers) .

وهذه الكلمة - حسبما اعلم - لا تستعمل الا
فى مصر .

الرويزي

يرى القاموس ان الرويزي هو الطيلسان .
راجع هذه الكلمة .

الريطة - الرانطة

نقرا لدى الجوهرى (ج 1 ، ص 85 ، ص 507)
ان الريطة هي : « الملاء اذا كانت قطعة واحدة ولم
تكن لفتين » .

وجاء فى القاموس (ط كلكتا - ص 941) :
« الريطة كل ملاء غير ذات لفتين كلها نسيج واحد
وقطعة واحدة او كل ثوب لين رقيق كالرانطة » .
وكلمة ريطة لها المعنى نفسه فى شروح مقامات
الحريري (المقامات - ص 255) : « الريطة الملاء اذا
كانت قطعة واحدة » . قال النشيشي : « الريطة عند

كانت الرصافية التي كانت تلبس فى بلاط بغداد هي
من نوع المرقية Calotte والمساء فى مصر
(كلوتة) ام من نوع الطاقية Bonnet ام هي
قلنسوة (1) .

الرففل

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

اما فى الاندلس فيطلق اسم رطفل على نوع
عصابة رأس لها شكل الشبكة - وهي شبيهة بالشبكة
التي تدعى بناقة .

راجع بيدرو دى الكالا فى كتابه (مفردات
اسبانية عربية) حول هذه الكلمات :

« Alvanega de red y capillejo de muger »

ويرى هذا المؤلف ان جمع كلمة رطفل هو
رطفلات وكذلك رطافل .

المرقعة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس - بالمعنى المراد .

وهذه الكلمة تشير الى نوع دلق او خرقة وهي
الثوب المرقع - الذي يستعمله الاولياء والفقراء
الادعياء .

ويقول ابن بطوطة (الرحلة - مخ دى كابانكوس ،
ص 102) فى معرض حديثه عن احد النساك :
« لباسه مرقعة وقلنسوة لبد » . ويقول فى موضع
آخر - متحدثا عن قديس او ولي من جبل لمعان :
« وعلية مرقعة وقلنسوة لبد - وليس معه ركوة ولا
ابريق ولا عكاز ولا نمل » . ونقرا لدى ابن اياس
(تاريخ مصر - مخ 397 - ص 133) : « فلما قرا
مراسيم السلطان اخذ على راسه المصحف وتشفع
بانه ما بقى يلبس الولاية ولا وضع على راسه كلوته .
وقد لبس مرقعة وصار من جملة الناس » . ونقرا فى
(رحلة ابن بطوطة - مخ - ص 89) : « وامره فى
الكرم غريب . وربما جاد بكل ما عنده . وبالثياب التي
عليه ويلبس مرقعة . فيدخل عليه كبراء المدينة .
فيجدونه على تلك الحالة فيكونه » .

هذا النوع من اللباس المرقع ترتديه النساء
ايضا . فنحن قارئون فى كتاب الف ليلة وليلة

(1) ام هي الجراوية البغدادية بمختصر العبارة ؟ (المترجم)

والزبون اسم نوع من الصديري او السترة
القصيرة - وكل منهما له كمان واسمان - مطرزان .
والزبون معروف غاية المعرفة في طرابلس الغرب .
راجع (رحلة النقيب ليون) اسفار في الشمال
الافريقي - ص 6) حيث تجد كلمة زبون .

زربول - زربون

احيل القارئ الى الكلمة الاخيرة - اعتقاداً مني
بأن هاتين الكلمتين ليستا سوى تحريف لكلمة شربيل .

الزمانة

لعدم وقوعي البتة على هذه الكلمة - ليس
بطوقتي ان اضيف شيئاً الى التفصيلات المعطاة من
قبل فريتاك .

اذن تشير هذه الكلمة الى نوع جبة صوفية .
ويرى بعضهم ان هذه الكلمة ان هي الا تحريف للكلمة
الفارسية اشترباه - ويقولون ان هذا اللباس قد
اكتسب هذا الاسم لانه كان يطلق بصورة خاصة على
حداة الابل . (من اشتر وهو الجمل - ومن بان وهو
الحارس ومن الحرف الملحق الهاء المربوطة) . ويقدر
آخرون ان هذه الكلمة هي عبرية (أ) .

الزلحم

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ولكننا نقرا في كتاب هوست (اخبار من مراکش-
ص 116 و 117) : « ويرتدي بعضهم فوق الحيك
زلحما - وهو من نفس قماش الحيك . ومزود بقبع
كبوشي لتغطية الرأس في اوقات سوء المناخ - ويطلق
بهذا القبع لوزة من الحرير او الصوف تتدلى على
الظهر . ويحلى- قبل هذا اللباس من الجهة الامامية
احيانا بلوزات على الطريقة التركية . وهذه تكون مطرزة
الحواشي من الاسفل وذات هدبات صغيرة وحواش
بديمة . راجع اللوحة الخامسة عشرة - الصورة
الثالثة والصورة الرابعة » . ويكتبها لمبرير في كتابه
(سياحة في مراکش - ص 229 - 295) هكذا Sulam

المرب ثوب رقيق شبه المنحفة » . ويقول التبريزي
في اشرح الحماسة - ص 492) : « الربطة هي
الملاءة » . ويقول بعد ذلك (ص 504) : « هي الملاءة
اذا لم تكن ذات لفقين » .

والحقيقة اننا سنرى لدى كلمة ملاءة ان هذا
الثوب يتألف من لفقين مخيطين معاً - اما الجبرة
المحدثة فتألف هي كذلك من لفقين مخيطين معاً .
واما الرداء الواسع المسمى ربطة فتلبسه النساء (كتاب
الاغاني لدى كوزكارتن - طرائف عربية - ص 137) .
راجع البقية في كلمة ملاءة . وكانت ربط الشام على
الاخص مشهورة للغاية . (راجع النويري - نهاية
الارب - مخ 273 - ص 92) .

ولكن كلمة ربطة - كما وردت في عبارة من
مقامات الحريري - ص 254 - لا يمكنها ان تشير الى
رداء واسع . فنحن نقرا : « فاذا شيخ عاري الجلدة -
وقد اعتم بربطة » . ويلاحظ الشارح (ص 255)
- والحق معه - ان كلمة ربطة ليس لها هنا المعنى
الذي تشير اليه عادة . فلو كانت كلمة ربطة تدل هنا
على رداء - لما استطاع المؤلف ان يقول : « فاذا
شيخ عاري الجلدة » . وعلاوة على ذلك فاني سأجيز
لنفسى ملاحظة ، ان هذه الجملة قد تلتها جملة اخرى
مباشرة هي : « واستشر بفويطة » . وعلى ذلك فلو
كانت الكلمة هنا قد اشارت الى رداء كبير لما استطعنا
ان نرى الخرقعة التي كانت تستر عورة الشيخ . ولذلك
قال الشارح ان الربطة تدل على كرزبة (حقيقة قوله :
شبه الكرازي) ومعنى ذلك خرقعة من الصوف تلف
الرأس . وان الكلمة قد اخرجت عن معناها الاصلي
(مغير عن اصله) - وكذلك كلمة فوطة - التي لم تكن
في الاصل تشير الا الى قطعة قماش غليظة مستوردة
من الهند - ولكنها بعد ذلك اصبحت تشير الى (ضرب
مما يعتم به) . وهكذا نرى ان الشارح لا هو ولا مؤلف
هذا الكتاب قد اتفق احدهما مع فريتاك حول المعنى
الذي يشار به الى كلمة ربطة في هذا النص . (1) .

الزبون

لا وجود لهذه الكلمة التركية الاصل في القاموس .

(1) جاء في المستدرك على المعاجم العربية للمؤلف - تحت كلمة « ربطة » البيت التالي - الوارد لدى
النويري في تاريخ افريقيا - ص 50 - المشير الى المرابطين ولثامهم :
اذا الثموا بالربط خلت وجوههم ازاهر تبدو من فتوق الكمام (المرجم)

كانت (كابوت) Capote فلفظ الحرف & كالسين
لاحاق علامة السيدى Cédille بقاعدته فاصبح
Capote (سابوت) (زعبوط) . ومع ذلك فلا
تاخذوا قولي على انه اكثر من تخمين .

الزنجب - الزنجبان

يفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 58) هاتين
الكلمتين بأنهما المنطقه ، اى الحزام الذهبى او الفضى .

الزنجبة

تشير هذه الكلمة الى ما تشير اليه الكلمة
الفرنسية تورنير : (tourneure) لفافة ، ويفسرها
القاموس (ط كلكتا ، ص 98) كلمة العظامة .

الزناار

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس بالمعنى المراد .
ونحن نعلم ان كلمة زناار تدل على حزام ، ولكن
هذا النوع من الحزام لم يكن يلبسه المسيحيون ، كما
يؤكد ذلك الزمخشري : مقدمة الادب :

(Lexicon Arab. Pers., part. I, pag. 51 :

وبهذا المعنى تقع على هذه الكلمة لدى الكتاب
الشرقيين . وليس من واجب مجهودي هذا التحدث
عن الملابس التي يرتديها النصارى فى الشرق ، ولو لم
يكن لكلمة زناار حتى الان معنى آخر لما سمحت بقبولها
فى قاموسى . ولكن هذه الكلمة كانت تشير فى اسبانيا
كذلك الى : مئزر غليظ يلبسه الفلاحون .

ويفسر بيدرو دى الكالا فى كتابه (مفردات
اسبانية عربية) هذه الكلمات :

Capote vestidura rustica وكذلك

Vestidura para el campo

بكلمة زناار وجمعه زنائير . ونجد فى الاحاطة لابن
الخطيب (مخ دى كايانكوس - ص 187) النص التالي :
« فرجعت الى دارى وقلت اخرج الى الوادى الى باب
القنطرة اغسل ثيابى من درن السجن وافر الى العدو .
فقلت لامرأة تفسل الثياب : « اغسلى ما علي .
وجردتها . ودفعت لى زناارا ابيسه . فيينا انا كذلك
واذا بالخصى قائد ابن مرذيش (كذا) يسوق سنين
(ستين) رجلا من اهل الجبل لابسين الزنائير .

- ويقول ان الزلحم رداء فضفاض هههاف - معمول
من الصوف الاوربى الازرق او الابيض - وهو يتدلى
حتى القدمين وقد زود بقبع كبوشي لوقاية الرأس .
ويكتب ريلى Riley فى كتابه (بوار تجارة السفن
الشراعية الامريكية - ص 196 و 198 و 431) هذه
الكلمة على نفس الشاكلة - ويعرض علينا هذا الرحالة
التفصيلات التالية : « ان المعطف او الـ Sulam
مؤلف من جوخ اسود غليظ ازب اشعر - والطريقة
المعمول بها تماثل طريقة عمل المعطف الاوربى - وهو
مزود بقبع كبوشي . ومع ذلك فهو مقفل من منتصف
الصدر - وهكذا فلاجل ان يرتديه صاحبه يتحتم عليه
ان يدخل رأسه من الفتحة انعليا - وهو يغطي من
لبسه الذراع - هكذا يرتديه المرتدون » .

ويكتبه همسو دى كراير فى كتابه (مرآة
جغرافية واحصائية للامبراطورية المراكشية - ص 81)
هكذا (سلهام) Sulham ويقول انه معطف يصنع عادة
من الكشمير الابيض . وهو اوسع من البرنس -
ويلبس بدله . ويقول جاكسون فى كتابه (تقرير عن
مراكش - ص 138) ان هذه الكلمة تلفظ وتكتب هكذا
(Silham) - وهو كما يرى هذا الرحالة معطف من
الجوخ الازرق العاتك - ومرتدوه هم البربر » . وبعد
ذلك (المرجع نفسه) يعلمنا المؤلف نفسه ان رجال
البلاط لا يرتدون الحيك مطلقا اثناء مثولهم بين يدي
الامبراطور - ولكنهم يلبسون انزلحم دائما - او يرتدون
معظفا مشغولا من الصوف الابيض .

الزعبوط

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويرى لين فى كتابه (المصريون المحدثون - ج 1 ،
ص 44) ان الزعبوط يرتدى فى مصر من قبل الذكور
من سواد الشعب - وهو معمول من قماش اسمر -
وتفتح فيه فتحة من العنق الى حدود الحزام وله كمان
واسمان . ويلبس عادة فى الشتاء . ويقول بارثى فى
كتابه (جولة خلال صقلية والمشرق - ج 2 - ص 275)
« لا يرتدي الفلاحون فى مصر الا دراعة (جلبابا ؟)
سمراء غليظة » .

ولا مرية ان هذه الكلمة ليست عربية . وسنرى
فى قابل الصفحات ان الكلمة الاسبانية Capote
قد تسلبت الى اللغة العربية التي يتكلمها الافارقة -
فهي لديهم (كبوط) . ومن المحتمل ان كلمة زعبوط

فرآني على شكلهم فأمر بحملني الى السخرة والخدمة(1)
بحصن مشقوط عشرة ايام . فقامت اخدم واحفر مدة
عشرة ايام .

الناسخ . وعلى كل حال ، فانني اعترف بجهلي التام
حول نوع اللباس الذي تشير اليه هذه الكلمة .

السبجة - السبيج - السبيجة

يقول الجوهري (ج 1 ، ص 142) عن سبجة
انها (كساء اسود) ، ويقول القاموس (ط كلكتا ، ص
236) المقالة نفسها ، ولكنه يضيف ان هذه الكلمة
تشير كذلك الى البقيرة . اما سبيج وسبيجه ،
فالجوهري يقول : البقير واصله بالفارسية شبي وهو
القميص . والمعروف ان الكلمة الفارسية سبي تدل
على قميص النوم (اي شميز دي نوي
Une chemise de nuit) ، كما يقول العرب .

السيلة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وهي الثوب الاول من الثياب التي تتألف منها
التزيرة ، اي الزى الذي تلبسه النساء في مصر فوق

الزنت وجمه الزنوط

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ولكننا نقرا لدى ابن اياس (تاريخ مصر ، مخ
367 ، ص 390 ، حوادث سنة 840) - اشهر السلطان
المنادي في القاهرة بان لا فلاح ولا غلام يلبس (زنت)
(كذا) احمر فامثلوا ذلك . ونقرا بعد ذلك (ص 401) :
ثم انه نادى (بان ؟) لا فلاحا ولا عبدا يلبس زنتا (كذا)
احمر . وكانت الفاسلة اذا طلبت الى مبة تفعل كما
تقدم (2) . وقيل انه رأى في المنام عربا بزنوط (كذا)
حمر شاء حثينه (خثينه ؟) .

ان السبب الوحيد الذي حملني على وضع هذه
الكلمة في باب الزاي وليس في باب حرف الراء هو
اعتقادي بان احتمال اغفال وضع النقطة فوق الراء
اكثر سهولة من اضافتها الى حرف الراء من قبل

(1) لقد لاحظت في موضع آخر في (الصحيفة الآسيوية - 4 - ج 3 - ص 400) من المحتمل كثيرا ان
كلمة خديم تشير الى جندي . والواقع ان مويست Mouette يؤكد في كتابه (نهاية غزوات
مولاي Archy

ان رماة السهام في مراكنس يسمون Le Codem الخديم . فمن السهولة اذن ان نرى ان كلمة Le Codem
ليست سوى الكلمة العربية الخدام - وهي جمع خادم - والكلمة لها معنى كلمة خديم . وكلمة خدمة
الموجودة في نصنا - تؤخذ بمعنى خدمة عسكرية . وابن الخطيب (مخ دي كايانكوس - ص 110)
حين يتحدث عن احد القواد البارزين - يعرب عن فكرته بهذه الكلمات : « كان له في الخدمة مكان
كبير وجاه عريض » . ولعل هذا يجعلنا نفكر بوجوب ترجمة الجملة هكذا : في الخدمة بوصفه جنديا .
وبعد ذلك يجب ترجمة الكلمتين المربيتين (فقامت اخدم - هكذا : فقامت اخدم في هذه القلمة
بوصفي جنديا . ومع ذلك فلا اعتقد بلزوم ترجمة هذه الجملة على هذا المنوال . والصفة الثانية
لفعل خدم تؤخذ على ان لها عدة مفاهيم عبثا يبحث عنها الباحثون في قواميسنا . وتستعمل بمعنى
اشتغل وعمل . فنحن نقرا في رحلة ابن بطوطة (مخ دي كايانكوس - ص 196) : وكان يخدم اصحابه
ومماليكه في خدمة البستان وبنائه ويقول : لا ارضى ان ياكلوا طعامي وهم لا يخدمون .
وكلمة خدمة تؤخذ كذلك بمعنى اشتغل وعمل - فنحن نقرا لابن سعيد لدى فريثاك : (فادرا على
الخدمة) . ونطالع لدى ابن بطوطة (مخ - ص 201) : كان عبده يخدمون تلك الارض نهارا . وقد
راينا في نص ابن بطوطة المتقدم ان كلمة خدمة قد استعملت بمعنى الفلاحة في بستان . واخيرا فان
هذه الكلمة تستعمل بصورة خاصة في معرض الحديث عن اعمال البنائين وانفلة الآخرين . ويقدم لنا
ابن بطوطة (مخ . ص 86) النص التالي : « ولما بنى اساسه رفع عن اهل المدينة التخديم فيسه .
وصارت الفعلة تخدم فيه (فيها) بالاجرة . وكلمة تخديم الموجودة في هذا النص الاخير ستبرر
لفظي خدم بالصفة الثانية في الامثلة المتقدمة وفي نصنا المقتبس من ابن الخطيب - الذي له في
الحقيقة شبه كبير بنص ابن بطوطة الاخير .

(2) راجع كلمة عصابة .

وهذه الكلمة تدل في مذهب اللغويين العرب ، على طيلسان اخضر .

وهناك بيت لابي عبيدة ، يرويه ابن الخطيب .

راجع (هامكر في كتابه القيم) . وارجع الى الجوهرى احول كنمة سندس ، ج 1 ، مخ 85 ، ص 42 ، وانظر شارح ابن خاقان لدى فيرس ، كتابه القيم ، (ص 37 و 126) ، وهذه كلمات البيت (الطويل) :

وداويتها (2) حتى شتت حبشية

كان عليها سندسا وسدوسا

« لقد عالجتها بحيث انها الان تستطيع قضاء الشتاء كامرأة حبشية (اي : تكاد تكون عارية) ، وبوسعها القيام بهذه العملية بكل امان واطمئنان ، كما لو كانت مكتسية بالحريز او بالسدوس » .

ويخيل اليانا ان بوسعنا ان نستخلص من هذا البيت ان السدوس كانت ترتديه النساء في الشتاء بصورة خاصة ، ليقيهن من البرد .

السيدارة

اننا نقرا في القاموس (ط كلكتا - ص 549) ان السيدارة هي الوقاية تحت المقنعة والعصابة . اذن فهي نوع من الطاقية .

السربال

انني لا اجروُ على التأكيد - كما صنع فريتاك - بان هذه الكلمة هي تحريف للكلمة الفارسية شلوار - فهي على اقل تقدير لها معنى آخر مغاير كل المغايرة . ويرى القاموس (طكلكتا - ص 1470) ان السربال هو : القميص او الدرع او كل ما لبس . ونجد كلمة سربال مفسرة في شرح اشعار جريسر (مخ 633 ، ص 311) بكلمة قميص . ويرى كانييس في كتابه

اوابهن الاخرى : حين يبرزن من منازلهن . ونحن نقرا في وصف مصر ا ج 18 ، ص 113 : « السبلبة قميص كبير من التفتا يغطي كافة الملابس » . الا الحبرة والبرقع ، فهو يغطي جميع الملابس التي ترتديها النساء في البيوت (« وتتدلى حتى الارض . والنساء يلبسن السبلبة عند خروجهن من دورهن ، سواء رحن الى الحمام او قمن بزيارة . وهن لا يخلعنها الا اذا رجتهن خلعها من ادين الزيارة لها ، لا سيما اذا كانت من علية القوم » . ويؤكد لين في كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 61) ان هذا اللباس كساء واسع هههاف ، وانه يسمى بالثوب فيساوي على وجه التقريب طوله بتمامه ، وهو مصنوع من الحرير ، ويكون عادة قرنفلي اللون ، وقد يكون ذا لون وردي او بلون البنفسج . وليس هناك ادنى ريب بان هذه الكلمة مشتقة من فعل اسبل .

السبينية

ان هذه الكلمة هي بالتخصيص اسم جنس جمعي مؤنث من كلمة سبني ، وهي تشير الى اقمشة مصنوعة في سبين Saban (مدينة قرب بغداد) . ولكن كلمة سبينية في المغرب تدل على حزام او منطقة (Strophium) . . هكذا يرى دونباي في كتابه (النحو المغربي العربي ، ص 82) (1) .

التساخين

يرى اللغويون العرب ان هذه الكلمة تدل على نوع من الخفاف وعلى ضرب من الطيلسان .

السدوس او السدوس

حول النطق بهذه الكلمة بوسعكم مراجعة تعليقة للعلامة الجليل هامكر المثبتة في كتاب فيرس المعنون ا ابن زيدون ، لدى الفتح بن خاقان ، ص 128) .

(1) ان كلمة سبينية تدل كذلك على قطعة قماش او على منشفة . ويفسرها المطرزي في كتابه (الاقناع ، مخ معهد البلاد المنخفضة ، رقم 73 ، ص 64) بكلمة شقة . ويقول ابن بطوطة (مخ دي كايانكوس) « ثم جاء احد الفتيان ببقشة . والبقشة بضم الباء الموحدة وسكون القاف وفتح الشين هي السبينية (المعجم) . وبوسعكم مراجعة تعليقات كاترمير حول كلمة بقشة . وقد سبق لي في الصفحة 95 ان الممت الى هذه الكلمات .

(2) في مخطوطة ابن قتيبة نجد (وداريتها) ، و Hamaker يفضل هذه الكلمة ، ومع ذلك فان الجوهرى وشارح ابن خاقان متفقان على كلمة النص ، وهي تعطي معنى افضل .

مخ 372 ، ص 347) ان العواهر كن يلبس السراويل
الحر في ارجلهم (وفي ارجلهم سراويل حمر) .
وان المخطوطة التي تحمل اشارة الباء (B) تذهب
المذهب نفسه .

السروال ، الشروال ، السروال ، السراويل

اننا نقرا في صحيح البخاري (ج 2 ، مخ 356 ،
ص 167) ان النبي صلى الله عليه وسلم قد حرم على
من يحج الى مكة ارتداء السراويل . ويجب ان نحل
محل كلمة السراويل الازار ، فاذا لم يستطع الحاج
ايجاد الازار فيجوز له ارتداء السراويل . وهكذا نرى
ان كلمة سراويل مشتقة من الكلمة الفارسية شلوار ،
وكانت مستعملة منذ العهد الاسلامي الاولى .

والسراويل كانت شائعة الاستعمال في الاندلس .
فهناك عدة مؤلفين عرب من شبه الجزيرة هذه قد
تحدثوا عنها ، والاسبانيون قد صاغوا كلمتهم
zaraguelles paraguelles من الكلمة العربية .

وفي المغرب كذلك يستعمل هذا اللباس . فنحن
نقرا في كتاب ديكيو دي هيدو (خطط مدينة الجزائر ،
مج 2 ، ص 28) : « ان النساء يرتدين جميعا لدى
خروجهن من منازلهن تلك السراويل الكتانية ، التي
يجعلنها ناصعة البياض للغاية بمغفول الصابون ، وهي
تتدلى حتى تصل الى مواضع اقدامهن » . ويتحدث
دارفيو في كتابه (المذكرات ، ج 5 ، ص 289) عن
رجال مدينة الجزائر فيقول : « ان لبعضهم قمصانا
وتبايين (سراويل) ومعظمهم لا يملكونها قط ، وخصوصا
في فصل الصيف ، فان حرارة الطقس تعفيهم من هذه
التفقات . اما مغاربة الريف ، الذين هم علماء القوم
وقهائؤهم فان لهم على الدوام اقمصة وسراويل تكريما
لهم واعترافا بفضلهم ، وهم يلبسونها احتشاما » .
وبعد ذلك (ص 285) : « ولبعض النساء من عليّة
القوم سراويل » . ويذكر ديكيو دي هيدو كذلك
(ص 8 ، مج 2) سراويل القنب لسكان مدينة الجزائر .
ويقول مارمول في كتابه (وصف افريقيا ، ج 2 ، ص
102 ، مج 2) في معرض حديثه عن الرجال في فاس :
« يرتدي كل منهم سروالا من القنب يتدلى حتى كعبي
قدميه ، وهو ضيق للغاية من اسفله » .

والسروال القديم (او دي شوس
Le haut-de-chausse) الذي يلبسه الرجال في

(النحو العربي الاسباني - ص 171) ان كلمة سربال
تشير الى قميص او الى قباء ابيض يرتديه الجنود
والحوذيون لوقاية ملابسهم من الادران .

السرموز - السرموزة - السرموج - الزرموزة - الجرموق

ان هذه الكلمات جميعا ان هي الا تحريفات
للكلمة الفارسية سرموزه - وهي نوع من طماق - اى
من غطاء من لباد للساق يلبس فوق الخف . وكانت
كلمة جرموق تلفظ قديما (جرموق) - وهي الكلمة
التي يشرحها الجوهري (ج 2 ، مخ 85 ، ص 111)
بانها الخف الواسع الذي يلبس فوق الخف . ولكن
يبدو ان كلمة سرموز قد استعملت في العصور الحديثة
للاشارة الى ضرب صندل - نعل Sandale
او ربما لتدل على شبشب تلبسه النساء فوق اخفافهن .
وفي ايامنا هذه يستعمل البابوش او البابوج نفس
الاستعمال . فنحن نقرا لدى المقرئزي (وصف مصر ،
ج 2 ، مخ 372 ، ص 360) : « وبه الى الان سكن
بياعي اخفاف النساء ونعالهن التي يقال للنعل منها
سرموزة . هو لفظ فارسي معناه رأس الخف . فان
سر رأس وموزه خف . وارى اننا ميالون الى الاعتقاد
- تحت طائلة نص المقرئزي هذا - الى ان السرموزة
لم تكن تلبسها الا النساء - ولكنها كانت تلبس ايضا
من قبل الرجال - خلال القرن السادس عشر على
الاقبل - عندما كتب كتاب الف ليلة وليلة . اراجع
ط مكناتن - ج 2 ، ص 65 ، - وطها بيخت - ج 2 ،
ص 34 » .

ويبدو ان هذه الكلمة لم تعد تستعمل في مصر
ومع ذلك ينبغي ملاحظة ان الكونت دي شابرول في
كتابه (وصف مصر - ج 18 ، ص 109) قد ذكر
البابوج والسرمه - وهما من الاحذية المصنوعة من
الجلد المراكشي التي توضع فيها القدم مغطاة بالمز
Mest (اراجع كلمة مز) . فحين يدخل الداخلون
الى احدى القاعات المفروشة بالسجاجيد
يخلعون بوابيجهم والسرمه : هذا ما تقتضيه الآداب .
فهل يحق لنا ان نستنتج بان كلمة سرمه اختصار
لكلمة سرموزه ؟

السراويل

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ولا ادري معنى هذه الكلمة بأي وجه من الوجوه .
ولكننا نقرا لدى المقرئزي (وصف مصر - ج 2 ،

مدينة فاس و ارد ذكره كذلك لدى ديكيو دي تورييس في كتابه (قصة الشرفاء ، ص 85) . كما نجد لدى غليوم ليتغوف (ص 17 ، ج 2 ، رحلات بريسة في القرن التاسع عشر (Guillaume Lithgouve) ان « الرجال والنساء في مدينة فاس يرتدون السراويل (Lange broecken) في حين ان كعب القدم مكشوف » . ويؤكد مارمول (ج 2 ، ص 103 ، مج 1) : « ان النساء في فاس ، لا سيما الاسبانيات الاصل يلبسن لدى خروجهن من بيوتهن ، سراويل مفرطة في الطول ، يطويها طيات متعددة ليظهرن جمال السيقان حسب احوالهن

(Para proporcionar la pierna)

ما دامت هذه الثياب (Las marlotas) لا تصل الا الى منتصف الساق » . واذا آمننا بما يقوله ديكيو دي تورييس (ص 86) فان النساء في مراكش يرتدين السراويل التي هي واسعة من الجهة العليا وتضيق من الجهة السفلى ، وتندلى حتى ربة الساق » . ومع ذلك فان مارمول (ج 2 ، ص 33 ، مج) يلاحظ بنفاذ بصيرة ان نساء مراكش لا يرتدين مطلقا هذا الثوب : « No acostumbra trar çaragueles como las de Fez » وحتى الرجال في فاس لم يكونوا يرتدون هذا اللباس ، اذا كان ليون الافريقي يقرر الحقيقة في كتابه (وصف افريقيا ، ص 319) . واخيرا فاننا نطالع في كتاب هوست (اخبار من مراكش ص 117) : « اما الاغنياء فيرتدون سروالا من القنب الابيض ، الذي يدعى سرولا Serual والذي هو في معظم الاحوال واسع فضفاض باسراف . واما البحارة فيرتدوناه عادة من الجوخ . راجع اللوحة الخامسة عشرة ، الشكل الثاني » .

وكل ما اعلمه ان المغاربة ليست لهم كلمة اخرى للدلالة على هذا اللباس ، وليست الحالة على هذه الشاكلة مطلقا في مصر ، كما سنبرهن على ذلك بعد قليل ، اذ تستعمل كلمة لباس للإشارة الى ما تشير اليه السراويل بالذات ، وحتى في أيامنا هذه ، فان كلمة لباس شائعة الاستعمال للدلالة على السروال او التبان فقط . (راجع كلمة لباس) . ويقرر الكونت دي شربول ان كلمة سروال (كذا) تشير الى سروال مملوك ، وهذا السروال احمر ومصنوع من الحرير البندقي » . (وصف مصر ، ج 81 ، ص 107) . وفي هذه العبارة يجب اطلاق كلمة بنطلون Pantalon - محل كلمة كيلوت Culotte . راجع الصورة في كتاب وجمان (رحلات الى تركيا الاسيوية وسورية ومصر ، ص 242) .

ويبدو ان بدو مصر لا يرتدون التبان ولا السروال ولا البنطلون ، لا رجالهم ولا نسائهم .

ولنمض الان من مصر الى سورية .

يقول بلون في كتابه (ملاحظات ، ص 327) في الفصل الذي عقده حول مدينة الناصرة . « لا يلبس اهلها الذكور التباين مطلقا ولا يستعملون الجوارب ولا يرتدون السراويل ، ولكن نساءها يرتدين هذه الملابس جميعها ، تماما كما يصنع الاتراك » .

ويؤكد روولف في كتابه (وصف حقيقي للرحلات ص 49) : « ان سكان طرابلس الشرق يلبسون وبصورة خاصة في موسم الصيف ، سراويل من القطن واسعة فضفاضة بيضاء بياض الثلج ، وهي تندلى حتى كعب القدم ، وانها محكمة الضيق من الاسفل وليست كذلك من الاعلى . وهي كذلك محرومة من الرافعات الخافضات ، لاستطاعة غسل الاعضاء الطبيعية (العورة) والاقدام بدون عائق ، اثناء التطهرات الشرعية اليومية ، التي يغسل القوم خلالها سواعدهم وايديهم فيما يفسلون » . وبعد ذلك (ص 50 ، 51) يقول هذا الرحالة عن نساء هذه المدينة ، انهن يرتدين سراويل واسعة شبيهة بسراويل الرجال . وهن يجعلنها طويلة بحيث انهن يدرجن ثيابهن في هذه السراويل من الاسفل احيانا . وتصنع عادة من النسيج الرقيق اللين . وتتألف بحلاوة واناقة من عدة ألوان ، وقد طرزت اذيالها الجانبية بتطريزات بدعة » . ويذكر المؤلف نفسه اخيرا بعد ذلك (ص 133) وهو يصف زيه الذي تزييا به للسفر من حلب الى بغداد ، فيقول ان « بنطلونه من القطن الابيض الهابط الى كعب قدمه » .

ويقول دانديني (رحلة من جبل لبنان ، ص 46) عن رجال طرابلس : « انهم يسترون سيقانهم بالسراويل العريضة المصنوعة من القنب او من نسيج آخر ، وهي تندلى حتى الاقدام » . وبعد ذلك (ص 48) : « وتستعمل النساء كذلك السراويل » . ويذكر دي برين ايضا (الرحلات ، ص 362 ، الخ) : « سراويل نساء حلب التيلية » . ولكنه يضيف قائلا : « على انهن يرتدين السراويل المصنوعة من اقمشة اخرى ، حسب متطلبات الموسم » . انظر هيئة هذا اللباس في الشكل المرقم 189 . ويقول دارفيو في مذكراته (ج 6 ، ص 425) بان « نساء حلب يرتدين السراويل الطويلة كما يرتديها الرجال » . ويصف لابت في كتابه (رحلات الى مصر والنوبيا والارض المقدسة وجبل لبنان وقبرص ، ص) متحدثا عن

رحلته من يافا الى الرملة والى اورشليم ، ازياء البغالة المسمى واحدهم (مكاريا) (1) فيقول : « ان الشراويل Le sharweel او السروال ، الـ كيلوت La culotte واسع فضفاض ، وهو يتدلى حتى الركبتين ، وقد صنع من الجوخ الأخضر » .

ويقرر دارفيو فى كتابه (رحلة من فلسطين صوب الامير الاعظم ، ص 206) : « ان امراء وشيوخ البدو فى سورية يرتدون فى موسم الشتاء السراويل من التيل ، كما يرتدونها فى الصيف » . (المرجع السابق ص 208 ، انظر المرجع السالف ، ص 174) . « وللسيدات سراويل من الموصلى وهى مطرزة بالحريز من اطرافها وفى مواضع الخياطة » . (المرجع السابق ايضا) « ويرتدي سواد العرب سراويل من التيل » . (ص 211) .

اما عرب الطبقة الوسطى فى اليمن فيرتدون ، حسب رواية نيبور فى كتابه (وصف الجزيرة العربية ، ص 58) ، سراويل واسعة . واما عرب الطبقة العليا فيرتدون السراويل ايضا (المرجع السابق ، ص 60) . ويرتدي بعض سواد العرب السراويل كذلك . وتستعمل النساء فى المناطق الجبلية هذه السراويل كذلك (المرجع السابق ، ص 61) وسراويلهن مصنوعة من التيل الأزرق ببعض التطريزات الملونة .

ويخبرنا علي بيك فى كتابه (اسفار ، ج 2 ، ص 106) ان نساء مكة يرتدين « سراويلات هائلة ، تتدلى حتى يوايجهن بل تدخل فيها ، او قد تندس فى خفافهن ، وهى مصنوعة من القطن المخطط المجلوب من الهند » . ويقول بر كهارت فى كتابه (اسفار فى الجزيرة العربية ، ج 2 ، ص 339) : « ان لهن سراويل زرقاء ومخططة واسعة بافراط تصل حتى

كموب اقدامهن ، وهى من الاسفل مطرزة بالفضة » . وقد شاع استعمالها بصورة عامة حتى بين رجال مكة . (راجع علي بيك ، ج 2 ، ص 108 مع بر كهارت ، ج 1 ، ص 336) .

واننا واجدون هذا اللباس فى الاقطار الشرقية فقد ذكر بكنكهام فى كتابه (رحلة الى بلاد الرافدين ، ج 1 ، ص 6) الشروال المصنوع من الجوخ الأزرق ، Sherwal . (وتجدون ان هذا الرحالة يلفظ كلمة شروال بالشين كما يلفظها الكونت دى شابروول) . راجع بيترو دلا فاله (رحلة الى تركيا وفارس ، ج 1 ، ص 161) .

وقد انتشر استعمال هذا اللباس بصورة عامة فى الجزيرة وفى العراق العربى . اذ يعرض لنا رويول فى كتابه (وصف حقيقي للرحلات ، ص 190) وصفا رائعا يبعث على التأمل حول رحلته الى مناطق الفرات . وبعد ان يتحدث عن مدينة Schara الصغيرة وقبل ان يتكلم عن عنه ، يصور لنا من يسميه Moren الذين يقارنهم بمن يدعون Zigeuner (الفجر) . ولعلمهم البدو ممن يعرفون ببني سعيد ، ما دام فريزر فى كتابه (رحلات الى كردستان وبلاد ما بين النهرين الخ ، ج 1 ، ص 366) يسميهم قبيلة بني سعيد Beni Saeed ، وهم العرب الذين يوجدون اكثر ما يوجدون فى الشمال على الفرات ، فى شيرين Shereen . ويقول رويول بهذا الصدد : « ان الرجال لا يرتدون السراويل ، ولكن نساءهم وحدهم يرتدينها ، وسراويل هؤلاء النسوان معظمها من اللون الأزرق ، وهى تصل الى كموب اقدامهن ، مثلهن مثل النساء التركيات » .

(1) تتواجد هذه الكلمة كثيرا لدى الرحالين . ونجدها محرفة الى Mucrelli فى قصة بومكارتن فى كتابه (الزيارة ، ص 57) . وللمؤلف جان زوالار فى كتابه (الرحلة المثلى الى اورشليم ، ص 72 - 74) فصل تام عنوانه المكارون : Des Mouqueres ، حيث يقص علينا كيف يتحتم على زوار بيت المقدس التصرف مع هؤلاء الرجال . ويبدأ الفصل على هذا المنوال : « ان المكارين هم اولئك الذين يلففون ويواجرون الحمير التى يمتطيها النصارى للتجول فى الحقول ، من مكان الى آخر ، وهم يقومون بخدمة ومتابعة هؤلاء الزوار ، كما يقوم بنفس العملية من نسيهم الفيتورين فى ايطاليا Vetturins . . . ولكن المكارين اشد بربرية من اولئك الايطاليين ، اذ انهم رجال قساة ضعفاء المروءة : ومعظمهم يدعون انهم نصارى : ولكنهم من اولئك المارونيين المسيحيين ذوي الانطقة . وهم ليسوا اللطف ولا ارق من العرب ، ولا تستطيع تمييزهم من العرب الا بقماتهم السوداء الموضوعة على رؤوسهم ، وهذه القبعات غير مغطاة بقماش ابيض كقبعات المغاربة المحمدين ولا كقبعات العرب » . ومن كلمة المكارى وضع البرتغاليون والاسبان كلمتهم المكرف : Almocreve .

وسأتحدث في قابل الصفحات عن تعبير سراويل الفتوة . (انظر كلمة لباس) .

السقمان

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ويحدثنا المقريري في كتابه (وصف مصر ، ج 2 مخ 372 ، ص 350) ان الامراء والجنود والسلطان نفسه كانوا يلبسون ، ايام حكم السلافة التركية (الحركسية) فوق الخف ، السقمان (وفي ارجلهم من فوق الخف سقمان وهو خف ثان)

السلارى

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وكان السلارى او القباء السلارى (قباء الامير سلار) هو اللباس الذي كان يسمى في غابر السنين (بفلطاق) . راجع هذه الكلمة .

السلطة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ويرى لين في كتابه ; المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 58) ان هذه الكلمة تشير الى سترة Jaquette تصنع عادة من الجوخ او من القטיפه ، وهي مطرزة على طراز تطريز الجبة ، ان النساء في القاهرة يرتدينها في غالب الاحيان بدل الجبة . ويكتبها فيسكيه (سله) في كتابه (رحلة الى الشرق ، ص 41) ، ويشرح هذه الكلمة بأنها سترة فوقانية للرجال والنساء .

السليفة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ويقر هوست في كتابه (اخبار من مراکش ، ص 119) انها نوع زينة او اكليل للرأس يشبه العذبة وتستعمله النساء في مراکش . ويكتب كرابردى همسو الكلمة (سيفنه : Stiffs) في كتابه (المرأة الخ - ص 80) . ولكن ربما كانت هذه الكلمة خطأ مطبعيا .

(1) قال المؤلف في ترجمة هذا النص : الاخضر او الاسود (المترجم) .

المسماة

هل تكون المسماة طماقا اى غطاء من لباد للساق والحذاء ؟ لاننا نقرا في القاموس (طلككتنا ، ص 1895) : « واستمى الضائد لبس المسماة للجورب او استمارها لصيد الطباء في الحر وطلبها في غيرانها عند مطلع سهيل » .

الستبير

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ويحدثنا دابر في كتابه (وصف حقيقي لاقاليم افريقيا ، مج 1 ، ص 341) ان احد الخدام الذين رافقوا سفراء ملك فارس ومراكش ، والذين وجدوا عام 1659 في امستردام ، كان يرتدي « ثوبا مبطننا بالفرو ، مفتوحا من الجهة الامامية ومزودا بقبع كبوشي يتدلى على الظهر ، وله كمان مسدلان . ومن هذين الكمين تدخل الذراعان احيانا . ومن الاعلى الى الاسفل من الجانبين الامامين توجد قطع حمراء صغيرة ومستديرة مع شرائط مبرومة او قياطين في الوسط تصلح لربط هذا الثوب ، وهم يشدون الاقسام العليا منها بصورة خاصة . وهذا الثوب يدعى لديهم sant à barre (سانتابار) كما يسمى كيوطا kabbout (راجع كلمة كيوط) ، وهو يرتدى في اغلب الاحيان من قبل البحارة وخصوصا في الشتاء . والحقيقة انه لباس مريح ملائم لاولئك الذين بنحتم عليهم ان يعملوا ، ذلك لانهم يخلمونه ويلبسونه بيسر وبسهولة » .

وانني اعتقد ان هذه الكلمة اسبانية الاصل ، ولكن حتى يومنا هذا لم استطع اكتشاف الكلمة الاسبانية التي شملها الانسداد والتحريف فتحولت الى (سانتابار sant à barre) .

الساج

هذه الكلمة حسب مذهب القاموس (طلككتنا ، ص 240) هي الطيلسان الاخضر او الاسود (الطيلسان الاخضر والاسود) (1) .

السيقان

الاسبانية سايا وسايو (اعتبرهما المؤلف كلمة واحدة فجاريناه - المترجم) .

التي هي كما تعلمون ، مشتقة بدورها من الكلمة اللاتينية ساكوم Sagum . ويترجم بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات اسبانية - عربية) كلمات Sayo de muger بكلمة شاية ، وجمعها شايات ، ويترجم على نفس النمط كلمات Sayo de paron ونحن نعلم ان كلمة Sayo تشير الى عباءة واسعة لا ازرار لها ، ويرتديها القرريون الاسبان . اما Saya فهي تنورة امرأة (1) .

ونحن نقرا في الاحاطة لابن الخطيب (مخ دي كايانكوس ، ص 178) ، عن حياة محمد الاول ، ملك غرناطة : « وحدث ابو محمد البسطي . قال : « عاينته يوم دخوله وعليه شاية ملف مضلعة اكتافها مخرقة » . وان كلمة مضلع ، الواردة في هذا النص ، تؤخذ على ان لها معاني متعددة ، كما بمقدورنا ان نرى مصداق ذلك في القاموس ، لدى كلمة مضلع . راجع حول كلمة ملف الصفحة 112 من هذا الكتاب ، موضوع الجبنة .

وقد دخلت كلمة Sayo كذلك الى لغة المندكوك . وهذا الشعب يلفظها Saio . (راجع مكبرير في كتابه (قواعد اللغة المندكوكية ، ص 42) (2) .

الشد وجمعه الشدود

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس - بالمعاني المنشودة .

ويرى دابر (وصف حقيقي دقيق لاقليم افريقيال - مج 1 ، ص 240) ان كلمة Sjed او Sied تشير الى قطعة قماش من القطن الرقيق التي يلف بها الرأس والتي تستعمل لتأليف العمامة . ويؤكد هوست في كتابه (اخبار من مراکش - ص 114) كذلك ان كلمة شد تدل على ما يشير الى العمامة - ومعنى ذلك قطعة من الموصلي - او من قماش ابيض رقيق آخر - يسطح ويرقق فيتخذ منه الناس عدة لفات فنية تسوى فوق العرقية الحمراء (شاشية) . ويبلغ سعرها خمسة ماركات وقد يصل احيانا الى خمسة دوكات » . ويقول هوست ان هذا التاج لا يرتدى الا

ان هذه الكلمة ، وهي جمع ساق ، تشير بصورة خاصة الى (السيقان) ، ولكن يجب اضافة الى القاموس ان تؤخذ كذلك بمعنى السروال الواسع بافراط . ويترجم بيدرو دي الكالا (Pedro de Alcala) في كتابه (مفردات اسبانية - عربية) (vocabulario Español-Arabiso) كلمة ساهون (çahon) بكلمة سيقان ، واعتقد ان الكلمة الاسبانية ساهون ليست سوى تحريف للكلمة العربية سيقان ، ويبدو ان العلماء الاسبان في عهد كوبرارو فياس (Cobarru vias) قد حكموا نفس هذا الحكم ، وعلى كل حال ، فان هذا اللغوي يؤكد ان كلمة ساهون هي عربية الاصل .

الشامي

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس ، بالمعنى المراد .

في كتابه (اسفار Lyon) ويقرر القبطان ليون في افريقيا الشمالية ، ص 117) .

(Travels in Northern Africa)

« ان النساء في مرزوق يرتدين اقمصة من الحرير المخطط الذي يطلق عليه اسم الشامي . ويضيف هذا الرحالة ان الناس في هذه المدينة يرتدون هذه الاقمصة المصرية ، ولكن ، لما كانت كلمة شامي تعبر عما هو وارد من سورية ، فأنني اعتقد ان هذه الانواع من القمصان مصنوعة في سورية ، وانها تعبر هذا القطر الى مصر ، وان سكان مرزوق يظنونها صناعة مصرية ، ذلك لانهم يتتبعونها من تجار مصر . ويخيل الي ان الناس قديما كانوا يقولون (قميص شامي) ، ولكن غبرت ازمان فغير معها اسم قميص وظل اسم شامي باقيا ليعرب عن القميص الحريري المخطط .

الشاية وجمعها الشيات

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وقد استعار عرب الاندلس هذه الكلمة من جيرانهم المسيحيين . استعاروها من الكلمة

- (1) كلمة صاية دارجة في اللغة العراقية الدارجة .
- (2) لغة شعب مالي ؟ (المترجم) .

ويقول بوكوك في كتابه (وصف الشرق - ج 1 ، ص 327) : « ان شعب مصر يلف حول رقبته قطعة قماش زرقاء اللون تكون مفرطة في السعة احيانا . وهو يغطي بها الراس ايضا - وقاية من البرد ومن اشعة الشمس » .

ونجد في كتاب لين (المصريون المحدثون - ج 1 ، ص 41) : « وفي الشتاء يضع كثير من الناس حول رؤوسهم واكتافهم شالات من الموصلى او من قماش آخر - شبيه بالنسيج الذي يستعملونه لتكوير العمائم » .

المشدة

ذكر فريثاك (المشدة هي التاج - اذا صحت قراءة نص « تحفة الاخوان ») . ولعل كلمة مشد تشير كل الاشارة الى تكويرة راس شبيهة بالعمامة او بالاحرى شبيهة بالشد . وعلى اقل تقدير فان الكلمة موجودة في اللغة العربية للدلالة على : طرحة مشدودة حول رقبة الحصان . (المقريري - تاريخ السلاطين الماليك - ج 1 - ق 1 - ص 150 .

الشوذر

اننا نقرا لدى الجوهري (ج : - مخ 85 - ص 309) : « الشوذر الملحفة . وهو مرعب : واصله بالفارسية جاذر » (كذا) . كما نطالع في القاموس (طكنكتنا - ص 562) : « الملحفة مرعب » . والحقيقة ان الشوذر هو الكلمة الفارسية جاذر - وهذا اللباس يماثل كل المائلة - من حيث الهيئة - الرداء الواسع او خمار المرأة - وهو ما نسميه بالملحفة . والشوذر او الجاذر مستعمل في العراق العربي وفي فارس . فنحن نقرا في القصة المكتوبة باللغة الاسبانية - لمؤلفها البرتغالي الرحالة Teixeira تيخييرا (رحلات من الهند الشرقية الى ايطاليا - ص 121) : « ان جميع النساء الدارجات في الدروب والازقة (جميع نساء بغداد) مستورات بقطع من القماش تشابه الارز (Como mantos) وبدعى احدها Chaudel

من قبل الاشراف والحجاج (زوار مكة) والقضاة والرؤساء وطلاب العلم والفقهاء (1) . ويقول مارمول في كتابه (وصف افريقيا - ج 2 ، ص 102 ، مج 3) عن سكان فاس : « لبعضهم عادة الاعتماد بالقلانس (Tocas) الرقيقة البيضاء - وهي مقدره لديهم كل التقدير - وهم يسمونها (تونسي Tunecis) ويلفونها ست او سبع لفات حول الراس (2) .

وكلمة شد لها نفس المعنى في مصر - كما اثبت ذلك كاترمير بالاستناد الى نص لابن اياس (تاريخ السلاطين الماليك - ج 1 - ق 1 - ص 150) . والشد يشير كذلك في هذا القطر الى : حزام من القطن الابيض البلبكي (الشد البلبكي - المرجع السابق) . ولكلمة شد معنى آخر ايضا - فهي تشير الى قطعة قماش تلف بها الرقبة وقاية لها من البرد او الحر - فهي بمثابة رباط Cravate فنحن نقرا في كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناتن ، ج 1 ص 409) : « البسه قميصا رفيعا وثوبا من ثيابه وعمامة لطيفة وحزاما رفيعا ولف له شدا على رقبته » . ونلاحظ هنا بسهولة ان المسألة ليست مسألة عمامة: ذلك لان العمامة قد ذكرت باسمها - ثم ان العمامة لا تلف حول العنق - الا لظهار الخضوع والطاعة والاستسلام - وعلى ذلك فان هذا الشاب اليافع موضوع بحث نصنا لم يكن ليحمله اى شئ على اظهار هذه الحالة . واخيرا فان هذا المعنى الذي اعزوه في هذا الموضع الى كلمة شد قد ثبت بالبرهان - كما يبدو لي - وذلك بتوافر العدد الكبير من نصوص الرحالين الاوربيين . فنحن نقرا لدى كوتو فيك في قصته (رحلة - ص 485) : « كانوا اثناء السفر يحيطون رقابهم بقطع من القماش او بالمناديل (Linteola vel sudario) . حماية لانفسهم من لفع الشمس » . ونقرا في الكتاب المعنون (قصة رحلة في مطلع عام 1210 - ص 209) : « يلفون مناشف من التيل حول اعناقهم » . ويعبر روجيه عن الموضوع في كتابه (الارض المقدسة - ص 204) بهذه الكلمات: « يضعون تحت العمامة وفوق رؤوسهم خمارا واسعا من الحرير الاسود - ويلفون به العنق عدة لفات فيتدلى حتى الاكتاف » . (راجع الشكل 1 - ص 206) .

- (1) تشير كلمة رئيس الى ربان السفينة . راجع كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناتن - ج 1 ، ص 93 - 95 - الخ . ونحن نصادف هذه الكلمة بهذا المعنى في كافة قصص الرحالين تقريبا - هؤلاء الرحالة الذين زاروا الشرق في مختلف العهود - ومع هذا فان هذا المعنى لم يرد له ذكر في القاموس .
- (2) تونسي (نسبة الى تونس . راجع كلمة دراعة - التعليق 2) .

ولكن نصفه يعصب جبين المرأة حتى عينيها - ويدور فوق الرأس - ويصل حتى أخصيها - أما النصف الآخر فيعصب وجه المرأة - تحت العينين ويرتبط بدبوس على الجهة اليسرى من الرأس - ويسقط حتى يصل الى نعليها - ويغطي حتى يديها اللتين تمسك بهما جانبي هذا الشراع - بحيث ان المرأة تتكىس فيه بتمامها حاشا عينيها » .

ونقرا في كتاب اوليفيه (رحلة الى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس - ص 262 و ج 5) : « تدفن العزاة الفارسية نفسها لدى خروجها من بيتها في ازار واسع من النسيج الموصلى او من قماش قطني اقل رقة ونعومة . اما ساء الشعب فيستعملن قماشاً من القطن الملون » .

ويؤكد كيربوتر في كتابه (رحلات الى جورجيا وفارس وارمينيا وبابل القديمة - ج 1 - ص 132 - الخ) « نرى النساء (الفارسيات) حين يبرزن من مكائهن - انهن يمشين مترنحات الخطى - ملفوفات من رؤوسهن الى اقدامهن في شراع آسيوي واسع يدعى بالجادر Chadro . » .

ويقول المرجع نفسه بعد ذلك : « لدى ذهابي الى القلعة وعند ولوجي في السوق - شهدت بضع نسوة من مختلف الطبقات يمشين لاستنشاق الهواء في كنف الجادر الذي لا يستطيع اختراقه مخترق - ولم يكن سهلا على احد اكتشاف ما اذا كان هذا الكن قد حجب ثروة باذخة ام فقرا مدقما » . راجع (امرأة فارسية مغلقة بجادرها - ج 1 - ص 354) . وفي موضع آخر (ج 1 - ص 208) في معرض وصف ينكشاه (بين اريفان ونكشيفان) : « انهن يلففن اجسامهن بالجادر الذي هو غطاء من القطن الابيض - او من المربعات الزرق والبيض الذي يحيط بهن كما يحيط الكفن بالميت » . واخيرا (ج 2 - ص 368) : « ان الجنس اللطيف كله في مدينة بغداد - النساء الغنيات والنساء الفقيرات - يخرجن من منازلهن مرتديات الجادر ذا المربعات الزرق والبيض : في حين ان هذا النسيج باحاطته للجسم لا يترك مجالا للدلالة على اصل المرأة العريق التي ترتديه - اللهم الا قطعة من الذهب - مكفنة في احدى حواشيه تومئ ايماء الى نبل محتدها » .

ونطالع في كتاب بكنكهام (رحلات الى بلاد ما بين النهرين - ص 195 - ج 2) : « ان ازياء نساء مدينة بغداد هي كذلك بسيطة بساطة الازياء التي تستعملها

ومع ذلك فان لون هذا الازار ليس اسود » . (كما هو في اسبانيا والبرتغال) . وفي قصة بيترو دلا فاله - ص 752) نقرا عن بغداد : « وختاما فان الازر التي تستتر بها النساء لدى خروجهن من منازلهن تختلف كل الاختلاف عن بقية اجزاء الملابس الاخرى وعن الازر التي رايتها حتى الان : ذلك لان هذه ليست ثيابا من الجوخ - كما هي في القسطنطينية (فراجته) - ولا هي قطع من التيل الابيض - كتلك الموجودة في سورية ومصر (ازار) : ولكن النساء يرتدين بعض القطع المنسوجة من التيل الحاوي على مربعات بيض وزرق - كتلك الملاحف التي ترتديها نفس الطبقة في القاهرة (ملابة - ملابة) - اما نساء الطبقة الاعلى فيرتدين الاقمشة الحريرية من نفس اللون . وهذه الملابس غاية في الرقة والنعومة والسمعة والفضفة - نظرا للحرارة الالهية التي تخيم على هذا القطر . واخيرا فان نساء الطبقة العليا يلبسن - كما تلبس زوجتي الحناء معاني (Maāni) نفس الاقمشة التي هي احادية اللون - فهي اما بنفسجية خالصة - او زرقاء عاتكة - مع بعض الشرائط حول الحواشي التي تكون من لون مغاير . وهذا اللون داكن ايضا . وهي تشبه كل الشبه الازار الذي ترسم به سيدتنا مريم العذراء Notre Dame » . ونحن نطالع في قصة الاب باسيفيك (رحلة من فارس - ص 412) قوله : « اما اللباس فهو متماثل من الجهة المظهرانية لدى جميع النساء الفارسيات) فهن لا يملكن الا كفنا واسعا ابيض اللون يسترهن سترا شاملا - من الرأس الى اخصص القدمين » . ونجد في رحلة اولياريوس (رحلة الى موسكويا وبلاد التتر وفارس - ص 819) : « ان النساء (في فارس) لا يفسرن مطلقا عن وجوههن لدى سيرهن في الدروب والازقة - ولكنهن يكن مستورات تحت ازرق بيض تصل الى سيقانهن - وهن لا يفتحن منها الا ثقبوا صغيرة في مواضع العيون - وذلك بنية القدرة على المشي . وطالما تغنى شعراء الفرس بهذا الازار قائلين بان اجساما لدنة غضة بضة كثيرا ما اخفت نفوسا خبيثة شريرة وان تحت مظهر الحياة الصالحة طالما قبع عدد هائل من امهات الرذائل - وقد يستر هذا الازار الابيض في احيان كثيرة - تحت ازياء هي غاية في الروعة والبهاء - امرأة هي غاية في القباحة والدمامة » . ونقرا في كتاب تيفنو (تنمة رحلة من المشرق - ص 177) : « اذا طوفت النساء الفارسيات في دروب المدينة فانهن غنيات كن او فقيرات يرتدين ازارا هائلا بل كفنا من التيل الابيض - هو غاية في الرقة والنعومة -

وهي كما يذهب اليه دونباى فى كتابه (النحو
المغربى - ص 82) عصابة تشدها النساء فى المغرب
حول الراس . Strophium capitis .

الشربوش وجمعه الشرايش والشرايش

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وقد سبق لكاترمير فى كتابه (تاريخ السلاطين
الماليك ، ج 1 ، ص 245) ان استعار ، من نص
للمقريزي ، الكلمات الجوهرية ، التي تميننا بصورة
خاصة على فهم هذه الكلمة . واؤمل الا تضايقوا من
ادراج هذا النص بتمامه هنا . فدوتكم النص (مخ
372 ، ج 2 ، ص 351) : « واما الخلع فان السلطان
كان اذا امر احدا من الأتراك البسه الشربوش . وهو
شيء يشبه التاج كانه شكل مثلث يجعل على الراس
بغير عمامة ويلبس معه على قدر رتبته اما ثوب
نخ (1) او طرد وحش او غيره . فعرف هذا السوق
بالشرايشيين نسبة الى الشرايش المذكورة . وقد
بطل الشربوش فى الدولة الجركسية . وكان بهذا
السوق عدة تجار لشراء التشاريف والخلع (2)
وبيعها على السلطان فى ديوان الخاص وعلى الامراء .
وينال الناس من ذلك ويقتنون بالمتجر فى هذا
الصف سعادات طائلة (3) . فلما كانت هذه الحوادث

افقر نساء قرى بلاد ما بين النهرين - ذلك لان نساء
مختلف الطبقات يشتملن بقطع من التيل تحتوي على
مربعات زرق وبيض تشبه تلك القطع التي ترتديها
نساء افقر الطبقات فى مصر (ملابية - ملابة) . ويؤكد
فريزر (رحلات الى كردستان وبلاد ما بين النهرين -
ج 1 - ص 119) انه لم يكن فى مقدوره رؤية النساء
الكرديات لانهن - كما يقول : « لا يظهرن الا على هيئة
اكوام من الجوادى او الاغطية الزرق ذات المربعات
البيض والزرق » . ويقول المؤلف نفسه فى موضع
آخر من كتابه (ج 1 - ص 378) فى معرض وصفه
لبغداد : « ان اغطية النساء الهائلة المصنوعة من التيل
الازرق الفامق او من اللونين الازرق والابيض - التي
تغطي الجسم من الراس الى القدمين - تخفى فى
الحقيقة الخصر والقامة والحلة » .

والشعراء والكتاب الفرس يذكرون الجادر فى
مجازاتهم واستعاراتهم وامثالهم - ويسرفون فى
التعريض به ويرى القاموس (ص 562) ان كلمة
شوذر تشير كذلك الى اللباس المشار اليه بكلمة اتب .

الشريسة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

- (1) تشير كلمة نخ الى نسيج من الحرير المذهب . فنحن نقرا فى رحلة ابن بطوطة (مخدى كايانكوس ،
ص 129) : ولم يبعث الى الاثوبا واحدا من الحرير المذهب يسمونه النخ بفتح النون وخاء معجم .
وفى موضع آخر (مخ . ص 141) يقول هذا المؤلف ، متحدثا عن جوارى الخاتون لدى بلغار
القولفا : وعلى كل واحدة ثوب حرير مذهب يسمى النخ . ونقرا بعد ذلك (ص 149) : على
الخاتون حلة يقال لها النخ ويقال لها ايضا الشيخ مرصعة بالجواهر . وعلى رأسها تاج مرصع .
وتصنع هذه الثياب فى مدينة نيسابور ، لان ابن بطوطة يؤكد (مخ . ص 167) ما يلى :
« ويصنع بنيسابور ثياب الحرير من النخ والكمخا وغيرها وتحمل منها الى الهند » .
- (2) وفى المخطوطة ب (مخ 276 ، ص 566) يرد هذا الكلام : وكان بهذا السوق عدة تجار لشراء
الشرايش وقيل لشراء التشاريف والخلع .
- (3) لا وجود لكلمة طائل بهذا المعنى فى القاموس . ونحن نقرا لدى ابن بطوطة (الرحالة ، مخدى كايانكوس
ص 194) : اعطاه اموالا طائلة . ونطالع فى مكان آخر (ص 237) : صاحب الاموال الطائلة . ونجد
لدى المراكشي (المعجب ، مخ 546 ، ص 258) : ما يعدل اموالا طائلة . واعتقد ان كلمة سعادة
موجودة بنفس المعنى فى هذا النص من كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناتن ، ص 246 ، ج 1)
ونقرا فى تاريخ اليمن (مخ 477 ، ص 3) : شماته سعادات الدولة العثمانية . وفى كتاب سير
الاعيان للذهبي (مخ 320 (2) ص 257) : ونال سلا من سعادة الدنيا ما لا يوصف .
وينبغي ان يعنى تعبير اهل السعادة لدى المسلمين (اهل السعادة) : ونجد فى كتاب الف ليلة
وليلة (ط مكناتن ، ج 2 ص 35) هذا التعبير : صارت من اهل السعادة - والحديث يخص امرأة
اعتنقت الاسلام .
وقد رأيتم ورود (دار السعادة) فى مدخل الكتاب .

سربوش (حسب علمي ، لا تشير الى عمرة رأس رجل ، وانما تدل فقط على اكليل رأس امرأة .

وكانت هذه العمرة Coiffure معروفة الإستعمال في القسطنطينية ، وفي ازмир وفي مدن اخرى ، أيام بـرين Bruyn فهذا الرحالة يكتب الكلمة هكذا Carpous (كربوس) ، واعتقد بوجوب لفظها بعد اضافة السي cédille و الى الحرف (ç) فيلفظ هذا الحرف بصوت السين ، وليس بصوت الكاف ، فتنتطق الكلمة على هذا المنوال (شربوس) çarpous . راجع (الرحلات ص 35 ، 58 ، 59 ، الخ ، الرسم المرقم 18) .

الشربيل- ، الزربول ، الزربون

لا وجود لكلمة شربيل وكلمة زربون في القاموس . وانني لاجهل تمام الجهل اين وجد سيلفستر دي ساي - راجع كتابه الموسوم : (طرائف عربية ، ج : ، ص 146) ان كلمة زربول ، تعني في الشرق : انعلة ومداسات قديمة ، الامر الذي هو غير مقبول على الاطلاق .

يقول ديبيكو دي هيدو في كتابه (خطط مدينة الجزائر ، مج 4 ص 27) وهو يتحدث عن نساء مدينة الجزائر : « بعضهم (لا سيما النساء المغريات) يلبسن نوعا من المداسات Pantoufles (Unas servillas) على الطريقة المغربية ، وهي مصنوعة من الجند الملون بلطافة واناقة ، وهن يسميها Xerecuilla ونحن نقرا في كتاب هوست (اخبار من مراكش ، ص 117) « جميعهم يلبسون احذية مصنوعة من الجلد المراكشي تدعى باسم Scherbil شربيل . وتكون احذية الرجال صفراء ، واما احذية النساء فحمراء . كما نعلم ان مداسات هؤلاء واولئك لا كعوب لها » . وفي قائمة الكلمات العربية التي انشأها برينيباك في كتابه (وصف رحلات وزيارات ، ص 115) وهو الرحالة الذي زار الشرق عام 1483 ، نجد ان كلمة Serbul مفسرة بكلمة Schuh (مداس) .

ويقول : (D. Germano de Silesia pag. 905) الذي سبق لهايخت ان ذكره في مسرد الجزء الثالث من طبعته لكتاب الف ليلة وليلة ، ان كلمة زربول وجمعها زرابيل ، هي مداس مزود يكعب : « scarpa con tallone ; calceus cum talo »

مع الناس من بيع هذا الصنف الا للسلطان . وصار يجس به قوم من عمال ناظر الخاص لشراء سائر ما يحتاج اليه . ومن اشترى من ذلك شيئا سوى عمال السلطان فله من العقاب ما قدر عليه . والامر على هذا في يومنا الذي نحن فيه .

وكان الشربوش العمرة المميزة للامراء ، ولم يكن يلبس من قبل الفقهاء (راجع نص جمال الدين بن واصل ، الذي ذكره كاترمير . (الكتاب القيم ، ص 244 وق 1 وج 1 الخ ...

ويذكر مؤرخو مصر بصورة متصلة هذا النوع من عمرة الرأس . فنحن نقرا مثالا لدى النويري (تاريخ مصر ، مخ 19 ب ، ص 132) : « وركب الامراء - بالتشريف والشرايش على عادة امثالهم » . وفي موضع آخر (مخ 2 م ، ص 215) : انعم على الامير سيف الدين قلاوون بتشريف كامل بشربوش كان قد لبسه ثم خلعه عليه » .

وهذه العمرة كانت كذلك شائعة الاستعمال في البلاد الشرقية الاناي ، في بغداد مثلا ، ذلك لاننا نقرا لدى النويري (تاريخ مصر ، مخ 2 م ، ص 49) : « ان الملك الناصر داود ، يوم كان في بغداد عام 633 شمله التشريف ف اخلع عليه قباء اطلس وشربوش » .

وقد استعارت احدي مدارس دمشق كما يظهر اسمها من هذا التاج ، لانني على اقل تقدير اطالع لدى ابن بطوطة (الرحلة ، مخ دي كايانكوس ، ص 39) : فنزلت منها بحدسة المالكية المعروفة بالشرايشية .

وقد عبرت كلمة شربوش الى اللغة السريانية (راجع الحوليات لابن العبري ، ص 313 و ج 1 : Bar-Hebraeus, Chronicon Syriacum, tom. I, pag. 313).

وان نستطيع العثور على هذه الكلمة في القواميس السريانية ، كما اننا لن نعثر على كلمة شربوش في المعاجم العربية .

والخلاصة ان كلمة شربوش ادنى كثيرا اني كلمة شربوش الفارسية من كلمة شربوش اليها ، التي يقول عنها كاترمير : « ان هذه الكلمة العربية تحريف للكلمة الفارسية » .

ولست مرتابا من صحة هذا المذهب ، ولكن يجب علي ان الفت الانظار الى ان الكلمة الفارسية

الشعرية

نرى من قاموس فريتاك ان ريسكه قد علق على هامش كوليوس بان هذه الكلمة تشير الى : « Vitta, quā caput tegit » وهذا التفسير خاطيء . فان كلمة شعرية تدل على خمار قصير مصنوع من شعر الخيل - كما يدل عليه اشتقاق الكلمة - فان الشعرية مشتقة من الشعر Crines . ونحن نقرا في قصة روجيه (الارض المقدسة - ص 260) : « وهن يغطين عيونهن بنقاب من شعر الخيل الاسود - ويسمين هذا البرقع شعرية Chaarie . ومن خلال هذا الحجاب ينظرون ليستطعن ان يدرجن - ولا يجروُن على كشف وجوههن اذا اردن التحدث الى رجل كائنا من كان . » وفي قصة بلون (ملاحظات ، ص 233 - 234) : « ولكن نساء المدن الكبرى (في مصر) يتبعن الطريقة التي تعلمنها من النساء التركيات - اللواتي يضعن على وجوههن برقا صغيرا معمولا من نسيج شعر ذبول الخيل » .

وليس هناك من علة تدعوني الى الشك في حقيقة ما يرويه بلون هنا - بل انني ميال كل الميل الى الاعتقاد بان استعمال الشعرية في مصر لا يرقى تاريخه الا الى تاريخ غزو هذا القطر من جانب السلطان سليم - لانني لم اجد كلمة شعرية لدى مؤلف عربي قد كتب في فترة ابعد من الفترة التي نشر خلالها كتاب الف ليلة وليلة . وهذه المناسبة دليل اضافي آخر - اذا كانت ما تزال هناك حاجة للابيات بعد التنقيبات الحديثة - للبرهنة على ان كتاب الف ليلة وليلة قد دبح بعد اجتياح الاتراك لمصر .

وكانت الشعرية في مصر برقا صغيرا قصيرا لم يكن ليستر الا العينين - وكان يلبس فوق النقاب . وهو حجاب اكبر اكبر يغطي الوجه - محدثة فيه ثقبوا لدى موضع العينين . ونقرا في كتاب الف ليلة وليلة (ط . هايخت - ج 2 - ص 146) : « فشالت الشعرية فنظرت الى احداق سود عظيمة . » ونطالع بعد ذلك في نفس القصة (ج 2 ، ص 149) : « وشالت النقاب فنظرت نظرة اعقتني حسرة » . ويقول بعض الرحالين - وهم اقل دقة من روجيه -

وما لم يثبت مثبت العكس، فاني اشعر بكوني مرغبا على الاعتقاد بان الزربول وكذلك الشربيل لا كمبوب لهما . وقد نعثر احيانا على صيغة زربون في كتاب الف ليلة وليلة ، اذ نجد هذه الكلمة مرتين في الجزء الاول من طبعة مكناتن . وقد تفضل اماري فأعلمني ان كلمة سربون Sarbon وجمعها سرايين Sraben ما زالت مستعملة حتى ايامنا هذه في مالطة .

واعتقد ان كلمة شربيل معادلة للتعبير الاسباني Servilla الذي يشير الى مداس مصنوع من الجلد المراكشي ليس له سوى نعل واحد ، والكلمة مشتقة من Serva (Sierva) ذلك لان الخوادم والجواري كن يلبسن هذا النوع من المداسات . ومن كلمة شربيل تألفت ، حسب رأيي ، كلمة زربول ، فان حاول الزاي محل الشين ليس فيه ما يدعو الى الدهشة والعجب ، وستذكرون ان (و) و (ي) في الشعر العربي يجيئان في قافية واحدة ، كما هو الامر في الشعر الالماني . فمن كلمة زربول تألفت كلمة زربون بابدال اللام بالتون ، وهما حرفان من نفس الصنف . وقد قلت ان كلمة Servilla مشتقة من كلمة : Servante Serva (خادمة - امة - جارية) .

وهناك مسألة تدعو الى الملاحظة وامعان النظر وهي اننا نقرا في كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناتن ، ج 2 ، ص 25) : جعله في رجليه زربونا على عادة المماليك (Siervos) بالاضافة الى اننا نطالع في هذا النص ان كلمة زربون مستعملة استعمال اسم جنس جمعي في كتاب الف ليلة وليلة للاشارة الى فرتين من الزربون . وقد لاحظت انفا نفس الملاحظة حول كلمة خف (I) .

الشطفة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ويقرر بركهارت في كتابه (ملاحظات على البدو والوهابيين - ص 27) ان « بعض ابناء عنزه يشدون حول رؤوسهم طرحات يسمونها شطفات ومفردها : شطفة » . Shutfe .

(1) يقول كوباروفياس (الكنز ، مدريد ، 1611) حول كلمة Servillas «مداس مريح ، له نعل يصلح للبنات والخدم ، وقد تسمى باسم الخوادم ، لانهن يلبسن هذا المداس الخفيف لسهولة المشي به ، مثل القباقيب .

واظن وجوب احلال برقع من شعر الخيل بدل شف
أسود غليظ . وعدا ذلك فان وصف بكنكهام يطابق
كل المطابقة هيئة هذا البرقع - كما نستطيع رؤية
الحقيقة فى لوحة بوكوك . ويقول كير بوتر فى
كتابه (رحلات الى جورجيا وفارس وارمينيا وبابل
القديمة - الخ - ج 2 ، ص 269) فى معرض حديثه
عن نساء بغداد : « ان هؤلاء السيدات يخفين وجوههن
وراء اقنعة اكثر بشاعة وشناعة من براقع الفارسيات
البيضا التي تشابه المناشف والمناديل والقفوط -
اعني بذلك هذه الحجب السود المصنوعة من شعر
الخيال المرزوءة بها وجوه نساء بغداد » .

ويقول كذلك فريزر فى كتابه (رحلة الى
كردستان وبلاد ما بين النهرين - الخ . ج 1 ، ص
278) وهو يتحدث عن نساء بغداد : « ان البراقع
المعمولة من شعر الخيل الاسود - المنسوجة نسجا
ناعما رقيقا - تحمي كل الحماية وجود النساء
اللواتي يلبسها من نظرات السابلة - وفى الوقت
نفسه بوسع هؤلاء النسوة ان يرين بصورة عجيبة
كل ما يخطر امام عيونهن » . لهذا كله اميل الى
الاعتقاد بان بكنكهام (ج 2 ، ص 195) قد توهم
كذلك حين قال عن نساء بغداد انهن يغطين وجوههن
بقطع من الشف الاسود الغليظ » . وهو يضيف الى
ذلك قائلا : « لا تلبس نساء الريف المحيط ببغداد
هذه الشفوف مطلقا » .

المشلىخ

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويقول بركهارت فى كتابه (تعليقات على البدو
والوهابيين - ص 27) : « فى شمال سورية - كل
معطف صوفي - سواء كان ابيض او اسود او مخططا
بخطوط بيض وسمر او بخطوط بيض وزرق - بدعى
مشلخا Meshlakh » وكلمة مشلخ موجودة
كذلك بهذه الصيغة فى قائمة الكلمات العربية - فى
ختم الجزء . ولكننا فى موضع آخر (ص 131)
نجد كلمة Meshlab مشلح .

المشمد

يفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 441) هذه
الكلمة بكلمة عمامة Turban .

ان هذا البرقع يغطي الوجه . ونقرأ فى قصة هيلفريش
(تقرير مختصر واقعي للرحلات - ص 393) :
« وهن (نساء القاهرة) يغطين وجوههن
(Jr Angesicht) بقطعة من النسيج الاسود المخرم
« Mit einem schwarzen gewirckten Thuchlein
المصنوع من وبر البعير (Camelszhaaren) الذي
من خلاله يستطعن رؤية كل الناس » . ونقرأ فى كتاب
مارمول (وصف افريقيا - ج 3 ، ص 112 ، مج 3) :
ويضمن على وجوههن (Delante del rostro)
(نساء القاهرة) براقع سودا - معمولة من شعر
الخيال » . ويقول كوتوفيك فى رحلته (ص 488)
وهو اذق من سلفه - بان « النساء يغطين عيونهن
(Oculi) ببرقع صغير - على هيئة شبكة مشفولة
من شعر ذبول الخيل الدقيق الناعم » . وكانت
الشعرية ما تزال مستعملة فى القاهرة فى زمان
بوكوك (وصف الشرق - تع 4 ، ص 330 - ج 1)
وبوسعنا رؤية شكل هذا الحجاب فى اللوحة (59 -
الصورة 1) . ويقول بوكوك ان هذا الحجاب معمول
من شعر الخيل الاسود ومحبوك حبكا فنيا . ولكن
منذ تلك الفترة حل البرقع محل الشعرية والنقاب -
وفى ايامنا هذه يكاد الناس فى مصر يجهلون جهلا
تاما الشعرية والنقاب ... وقد رأينا آنفا
عن طريق نص روجيه بان الشعرية كانت مستعملة فى
سورية . وهذه الحقيقة قد تأيدت بشهادة رولف
فى كتابه (وصف حقيقي للرحلات - ص 51) اذ
يؤكد بان النساء فى طرابلس الشرق يغطين اوجهن
بقطع نسيج سوداء « Schwarzen gewürcken »
بعضها فى غاية الرقة والنعومة - وبعضها مشغول
من الحرير - ولكن بعض النساء يلبسن البراقع
المعمولة من شعر الخيل - وهذه البراقع تلبسها نساء
الطبقات الدنيا » . ولم تعد الشعرية فى يومنا هذا
تلبس فى سورية - اذ هجرت هنا كما هجرت فى
مصر . ومع ذلك فان الشعرية ما زالت شائعة
الاستعمال فى الاقطار الشرقية النائية - كالجزيرة
والعراق العربي . ويقول اوليفيه فى كتابه (رحلة
الى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس ، ج 4 ،
ص 220) فى معرض حديثه عن نساء اورفه :
« ويلبسن علاوة على ذلك قطعة مربعة من شعر الخيل
الاسود تنساب على الوجه فتسمح لهن بان يرين
دون ان يراهن احد » . واننى اعتقد والحالة هذه
بتوهم بكنكهام (رحلة الى بلاد ما بين النهرين - ج 1 ،
ص 152) حين قال عن نساء اورفه : « انهن يلبسن
للتبرقع شفا اسود غليظا ناتا عن الوجه بعقدتين » .

. Taming of the Shrew de Shakspeare

وشبه ب : Langendjik Krelis Louwen للانكنديك

اقول ، اننا نجد النص التالي ، الذي سبق لغريثاك ان ذكره : « فقدم له المئوك شمشكا مطبوعا بالابريسم والحرير الاخضر مرصع بالذهب الاحمر فأخذه ابو الحسن ووضعه في كفه وصاح المملوك وقال : يا الله يا الله يا سيدي هذا شمشك مداس لرجلك حتى تدخل المسترفق (1) . (ج 4 ، ص 357) .

ويترجمه لين هنا (ج 2 ، ص 357) : انه فردتا مداس ... ولما كان المؤرخ الاسحاقي يقص علينا قصة مماثلة ، كما يقول لين ، فيكون من الاهمية بمكان ان نعلم ما اذا كان يستعمل هنا نفس الكلمة ام كلمة اخرى تفسر لنا كلمة شمشك .

لقد علمنا من

(«M. Fleischer» de glossis Habichtianis, pag. 92) انه وجد في مسرد لمعاني كلمات قبطية عربية كلمة (كسكن) ترجمة لكلمة شمشك . وهذه الكلمة ليست الا الكلمة الفارسية موزه ، التي تعني نعلا او مداسا او جزمة او خفا ، وهي في اللغة العربية موزج (2) ولم اقع على كلمة شمشك في موضع آخر .

الشملة ، الشملة ، المشملة

ينبغي اضافة كلمة شملة وجمعها شمل الى القاموس .

وقد راينا آنفا - حول كلمة برد - ان الشملة هي البردة - وان ما يميز الشملة من البردة هو حياكة شيء اضافي (بعض الزينة) في حاشية البردة - وليست الحالة هي بالنسبة للشملة . وقد لاحظنا (سابقا في هذا الباب) ان هذا الكساء كان شائع الاستعمال في عهد الرسول (ص) اذ ان احد الرحالين العرب من القرن السابع الميلادي - وهو ابن جبير (راجع كلمة خرقة) يعد الشملة من بين

التشير وجمعها التشير

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ويترجم بيدرو دي الكالا هذه الكلمة بالكلمة الاسبانية بالتوك Paletoque في كتابه (مفردات اسبانية عربية) . وهذه الكلمة مفسرة في كتاب (كنز اللغات الثلاث ، جنيف 1609) ب : Une casaque ou saye, un palletoc, une iacquette بوصفها : « ستر ، او صاية ، او جاكته » .

والحقيقة ان مؤلف كتاب

L'Histoire des Abdolwadites

يقول في معرض حديثه عن طحان : « وهو لابس تشامير » .

الشمير

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ونحن نعلم ان القبعة (البرنيطة ، الخوذة : Chapeau) لم تكن معروفة قديما لدى المسلمين ، لذلك كانوا مرغمين على استعارة احدى الكلمات ، للاشارة الى هذا الشيء ، والمستعار منه احدى اللغات الاوروبية ، فاتخذت المفارقة الكلمة الاسبانية Sombrero . وهذا ما يؤكد هوست في كتابه (اخبار من مراكش ، ص 114) . ولكن يبدو من قائمة الملابس التي انشأها دونباي في كتابه (النحو المغربي العربي ، ص 82) ان الشعب قد مسخ كلمة Sombrero فاستحالت الى شمير .

الشمشك

اننا نجد في احدثة ابي الحسن المهرج ، وهي الاحدثة التي لا توجد الا في طبعة هايبخت لكتاب الف ليلة وليلة (راجع لين ، الف ليلة وليلة ، ج 2 ، ص 356) والتي لموضوعها شبه كبير بموضوع المدخل الى ترويض الشرسة لشكبير .

(1) النص بالعامية فلا يطالب كاتبها بالترام النحو .

(2) تذكروا ان المصريين يلفظون الجيم لفظ الفرنسيين لحف (G) أمام A و O و U

ملابس البدو . وفي هذا النص ذاته نجد جمع كلمة شملة وهو شمل (1) .

وهذه الكلمة تذكرنا بالكلمة العبرية شملا التي كانت تشير الى رداء كان الفقراء يستعملونه كذلك بنشابة غطاء ودثار اثناء الليل . وقد سبق لنا ان عرفنا - في مجال الحديث عن كلمة بردة - ان هذا الكساء كان وما يزال يستعمل نفس الاستعمال .

الشمال

يرى القاموس ان هذه الكلمة تدل على الملحفة .
راجع هذه الكلمة .

الشتتيان

لا وجود لهذه الكلمة - التي لا ريب في اصلها الاجنبي - في القاموس .

وهي تشير في مصر الى سراويل امرأة يلبس لبسة التبان . اما في ايام الحملة الفرنسية - فان كلمة شنتيان لم تكن تدل الا على « سراويل شتائي »

للمرأة - في حين ان التبان او السروال الصيفي كان له اسم لباس . راجع (الكونت دي شابرول في كتابه « وصف مصر ، ج 18 ، ص 112 » . ولكن في ايماننا هذه لا توجد الا كلمة شنتيان للاشارة الى التبان او السروال النسائي - في حين ان كلمة لباس مخصصة لتبان الرجال - كما يمكننا رؤية ذلك برجوعنا الى كتاب لين (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 39 - 56 - 57 - 58) حيث تقع على الوصف التالي للشتتيان : « هناك تبان مسرف في الفضفضة والسعة اسمه شنتيان - وهو مصنوع من القماش الملون المخطط - من الحرير او من القطن - او من الشاش الثمين الملون او المطرز او الموشى او المفوف - الابيض اللون - الاملس الملمس - وهو يشد حول الخصر تحت القميص بدكة (راجع كلمة دكة) - ولكنه على درجة كافية من الطول - بحيث انه ينساب حتى القدمين - او يكاد يصل الى الارض - عندما يشد على هذا المنوال » .
ويقرر المقدم نابيه في كتابه (ذكريات عن سورية ، ج 1 ، ص 144) ان هذا الكساء تلبسه نساء بيروت ايضا . وهذا الرحالة يكتسب الكلمة Shintien ويفسرهما بهذه الجملة : تبان حريري

(1) يرى اللغويون العرب ان الشملة والمشملة تدلان على نوع من القطيفة - ولكنهما تختلفان عنها بقلبة الفضفضة والانتاع . وكلمة قطيفة تدل على غطاء فراش . اذ يقول مارمول في كتابه (وصف افريقيا ج 2 ، ص 4 ، مج 2) في وصفه لحاحة Héha - وهي ولاية في اقصى الغرب من مملكة مراکش : « ان السرر الاعتيادية للرؤساء والاعيان تتكون من القطن المزابرة التي تراها تجلب من افريقيا - وهم يبطونها بعدة بطانات ويستعملون احداها - وهي طويلة - بمشابة غطاء فوقاني » . ونجد في رحلة ابن جبير ، مج 177 : « القطن الجياد يفترشونها عند رقادهم . والقطيفة تشير كذلك الى نوع بساط او سجادة - ذلك لان مؤلف كتاب (مهمة تاريخية في مراکش - ص 5 ، مج 2) يقول ان الملك يجلس في مجلس الشورى « على بساط او قطيفة من الصوف » . ويترجم بيدرو دي الكالا كلمة Alhonbra (بساط) (سجادة) بكلمة قطيفة .
وتقرأ في رحلة ابن بطوطة (مج - ص 259) : « واتوا بنا الى بستان عليه حائط خشب في وسطه دار بناؤها بالخشب مفروشة بقطن قطن . ولكنني ساجعلكم تلاحظون - بهذه المناسبة - ان كلمة قطيفة تشير ايضا الى المخمل . فنحن نقرأ في كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناتن - ج 2 ، ص 199) : رزمة قطيفة - وهذا ما يترجمه لين (ج 2 ، ص 304) بما يلي رزمة قطيفة A bale of velvet . ويترجم بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات اسبانية عربية) كلمة Terziopelo (المخمل) بكلمة قطيفة . ونجد في كتاب تاريخ اليمن (مج 477 ، ص 62) : « امر له بجملة من الكساء النفيس من ملايبسه من القطن ونحوها . وتقرأ بعد ذلك (ص 65) : « امر له بجملة كساء من الشاش الغالي والقطن النفيس » .
ولكلمة شملة ايضا معنى آخر لا وجود له في القاموس . فهي تشير - حسبما يقول بركهزت في كتابه (تعليقات على البدو والواهييين ، ص 39) وهو يكتب الكلمة شمله Shemle - انها كبر مصنوع من وبر ابل - ويستعمله البدو لحجب ضرع الناقة عن حوارها لكيلا يرضعه » .

فضفاض Loose silken drawers ويتوهم فيسكيه
قليلاً في كتابه (رحلة الى الشرق ، ص 41) فيكتب
الكلمة شكسيان . Chakseiann .

الشوير

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ونحن نقرا في احد كتب بركهارت (ملاحظات
حول البدو والوهابين ، ص 28) ان النساء لدى
البدو يضعن على رؤوسهن طرحة تدعى Shauber
(شوير) او Mekroune مقرونة ، وترتدي
الفتيات اليافعات هذه الشواير من اللون الوردى ،
اما النساء الطاعنات في السن فيتخذنها من اللون
« الاسود » . وهذه الكلمة مكتوبة على هذه الصورة
(شوير) في قائمة الكلمات العربية في نهاية الكتاب .

المشود ، المشواذ

يفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 441) هاتين
الكلمتين بأنهما العمامة . فهل يا ترى تشير هاتان
الكلمتان الى نفس عمارة الرأس Coiffure
كوافير التي تشير اليها كلمة مشوش ؟

الشاش وجمعه الشاشات

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وقد اورد عالمان من الطراز الاول بعض التفصيلات
عن كلمة شاش - الا وهما سيلفستر دي ساسي
(طرائف عربية ، ج 1 ، ص 199) وكاترمير (تاريخ
السلطين الممالك - ج 1 ، ق 1 ، ص 137) . وكما
هو ديدني - لن اورد أي نص - سبق لهذين العالمين
ان ذكراه - دون تنبه القاريء لمن انا مدين له بالشكر .

تشير كلمة شاش الى : قطعة من البز تلف حول
طاقية او عرقية او كلوتة العمامة . فنحن نقرا لدى
النويري (تاريخ مصر ، مخ 2 ص 192) : « تعمم
بشاش دخاني عتيق » . ونجد نفس الكلمات لدى
المقرئزي (تاريخ السلطين الممالك - ج 1 ، ق 2 ،
ص 63) . وفي موضع آخر (مخ 19 ، ص 135) :
فأكرمه السلطان واحسن اليه وانعم عليه بتشريف
أطلس معدني زركش وشاش رقم وحياسة ذهب
مجوهرة على عادة اكابر نواب السلطنة الشريفة » .

وفي مكان آخر مخ 19 ، ص 135) : « ركب في
الموكب بالاقبية الاسلامية والكلوتة والشاش على عادة
العساكر المصرية » . ونطالع في كتاب الف ليلة
وليلة (ط مكناتن ، ج 1 ، ص 159) : « فأخذ
بدر الدين حسن الرقعة وطواها وخطها بين البطانة
والظاهرة ولف عليها شاشة » . (في هذا النص
يتحتم اضافة (في شاشيته) بعد (وخطها) - وهذا
التصحيح يصبح اكثر احتمالا لدى حكاية نفس
الواقعة في (طبعة هايخت - ج 2 ، ص 29 ، سطر
3) وفي موضع آخر (طبعة مكناتن - ج 1 ، ص
165) : « وكان عليه الطربوش والشاش . وفي (طبعة
هايخت - ج 2 ، ص 44) : « وعليه شاش بطرفين » .
واخيرا (ط مكناتن - ج 1 ، ص 171) : « وقلع
شاشه وعلقها على الكرسي » . (الكرسي المخصص
لوضع العمامة عليه - راجع كلمة عمامة) . ونقرا
في حكاية عربية (لدى كوسان دي برسفال - النحو
العامي - ص 9 من النص العربي) : « اشترى قرطاس
حلاوة وجعله في عمامته ... فرأى في شاش الحكم
حلاوة » . والحديث عن حاكم اشترى وخليفة رأى .
ونجد في الكتاب الممنون (قصة رحلة في مطبخ عام
1610 - 63) ان الشاشيات Shashes هي
مناديل من البز تلف حول الرأس » . ويقول داندني
(رحلة من جبل لبنان) - ص 44 ، - 45) عن
طراباس الشرق : « ويلفون لفا محكما حول الطاقية
قطعة من القماش القطني الابيض يسمونه Sessa
فيكورون عمامة كبيرة او صغيرة حسب منازل
الاشخاص واقدرهم . فهؤلاء الذين يعلون على
الآخرين - بمولدهم او بوجاهتهم - يلبسون العمام
الضخمة - وبينهم من يبالغ في تضخيم عمامته الى
حد الافراط والاسراف » . ونجد في كتاب ايوميات
رحلات مونكوني - ص 381 ، ج 1 : « ان الشرفاء
يلبسون الشاش الاخضر » . ونقرا في رحلة م . ج .
ب الى الاراضي المقدسة : « ان القلائس المخميمة
الحمراء والشاشات البيضاء التي لا يجوز التعمم بها
الا من قبل المسامين وحدهم - محرمة على النصراني
اذا لم تكن مشوبة بلون آخر » . ويقول تافرنبيه
(الرحلات - ج 1 ، ص 630) عن الفرس : « ان
شاشهم الذي نسميه نحن عمامة مصنوع من نسيج
حريري غاية في النعومة والرقة ومرصع بالذهب
والفضة ويكاد يشبه شكل يقطينة مكورة من يقطينا .
وهو مسطح قليلا من اعلاه حيث ينتهي طرف من
القماش الزين بازهار ذهبية او فضية بشرائط تشبه
طاقة ورد . وهذه القلائس ثقيلة الوزن كثيرا

تشبه سنام البعير . وهي تبدأ فوق جبين المرأة وتنتهي قرب الظهر . ولبعض هذه العصابات طول يقارب الذراع - ولها ارتفاع يبلغ أقل من ربع الذراع » .

والواقع انني اطالع في تاريخ مصر لابن اياس امخ 367 - ص 16 - حوادث سنة 787) « وفي رجب جرت حديثة وهي ان امرأة سالحة رات النبي صلى الله عليه وسلم في منام وهو يقول لها : قولي للنساء ان ينتهوا عن لباس الشاش . وكان شيئاً قد اقترحته النساء يلبسهن على (روسهم) مثل صنم (ستم) (يلبسهن على رؤوسهن ؟) .. (سنام ؟) الجمل . وطوله نحو ذراع وارتفاعه ربع ذراع ويزخرفونه بالذهب واللاؤلؤ . وبالفقوا في ذلك . وكان بدعة سيئة من السيئات ..

وكلمة شاش - بمعنى قطعة القماش التي تحيط بالكلوة او الطاقية او العرقية - كانت معروفة الاستعمال في الجزيرة العربية وفي سورية ومصر وفارس - كما رأينا . ومن هذه الكلمة كون الانجليز كلمتهم Sash التي يستعملونها اشارة الى طرحة او حزام او نطاق او زنار .

الشاشية

بالرغم من اضطراري مرارا الى اتهام القاموس بكونه ناقصا - فان من العدل كل العدل ان اقول ان كلمة شاشية قد وجدت في هذا القاموس مرتين . المرة الاولى يوم وضعها فريتاك (ج 2 ، ص 419 ، مج 2 ، بمعنى كلوة - عرقية - طاقية - في الحديث عن كلمة ششاء - والمرة الثانية (ج 2 ، ص 464 ، مج 2) في موضعها الاصلي - في معرض الكلام عن كلمة شوش - بوصفها تشير الى الشاش الموصل . في الموضوع الاول لم يكن يكلف احد نفسه عناء البحث عن هذه الكلمة - فالحقيقة ان الكلمة قد وجدت في موضعها هذا عن طريق الخطأ - ذلك لان لعبا بالكلمات قد حدث في بيت نقله السيوطي (دي ساسي - طرائف عربية - ج 1 ، ص 145) - حول كلمتي شوش وشاشات يضاف اليهما كلمة مشوش - وهذا اللعب يؤكد بصورة لا تقبل الشك ان عريبا صميما لو كان في محل هذا الدخيل لوضع كلمتي شاش وشاشية في باب كلمة شوش . وقد سبق

- لاسيما تلك التي يقل فيها الحرير - والتي تكاد تتألف من الذهب والفضة وحدهما . وهذه غالبية الثمن بحيث ان اهورنا يكلف مائتين من الايكوات Ecus ونجد من هذا النوع على رأس الملك وعلى رؤوس الكبراء والاعيان بحيث يبلغ سعر القلنسوة الواحدة اربعمائة او خمسمائة قطعة من العملة المذكورة . ومن النادر رؤية ضابط كبير لا يضع في قلنسوته بعض الاحجار الكريمة » .

وتقرا في كتاب دي لا موتري (رحلات الى اوروبا وآسيا وافريقيا - ج 1 ، ص 11) : « ان الشاش هو قطعة من الموصل او من نسج القطن الذي يحيط به الشرقيون طاقيتهم - فاذا طوقت الطاقية على هذه الصورة سميت (دلبند : Tulbend) - او طربان Turban عمامة - حسب نطقنا بالكلمة » . وتقرا في كتاب نيبور (وصف الجزيرة العربية - ص 59 (1) : « وهم يحيطون هذا الحشد من الطاقات بقطعة كبيرة من القماش الموصل المسمى بالشاش - وهو مزدان من الجانبين بحواش وهدايات حريرية بل وحتى ذهبية - ويدعها حاملوها تنساب على الظهر بين الاكتاف » . والحقيقة ان كلمة شاش موجودة بهذا المعنى في تاريخ اليمن (راجع رتجر - ص 159) . ولما كانت كلمة الشاش تستعمل للدلالة على قطعة من البز تطوق الطاقية او العرقية او الكاوتة او الكلوات - فلن ياخذنا العجب اذا قرانا ان هذا الشيء يستعمل استعمالا اخرى ايضا . يستعمل استعمال العمامة ويقوم مقامها احيانا) . وفي تاريخ مصر للتويري (مخ 2 ، ص 87) نجد : « فخنقوه يشاش عليه وقيل بوتر وعلقوه بعمامته واظهروه انه شتى نفسه » . ففي هذا النص - كما ترون - هي معادلة لكلمة عمامة .

وجمع شاش شاشات - والكلمة موجودة في بيت ذكره السيوطي (راجع سيلفستر دي ساسي - طرائف عربية - ج 1 ، ص 145) - وانني اقرأ لدى المقرئزي (وصف مصر - ج 2 ، مخ 372 ، ص 351) : « ايسوا الشاشات » .

ولكن كلمة شاش كانت تشير كذلك في العهد القديمة الى شيء آخر - فهي - كما برهن على ذلك كاترمير (كتابه القيم) مستندا الى كتاب السلوك للمقرئزي « عصابة ابتكرتها النساء عام 780 - وكانت

(1) ذكر هذا النص سابقا كل من دي ساسي وكاترمير .

لكل من سيلفستر دي ساسي اطراف عربية ، ج 1 ،
ص 199) وكاترمير (تاريخ السلاطين الماليك ، ج 1
ق 1 ، ص 137) ان تحدث عن هذه الكلمة - في
تفسيره بكلمة شاش .

وتشير كلمة شاش في المغرب - كما كانت
تشير في مصر - الى الكلوة التي توضع على
الراس - والتي تلف حولها قطعة قماش لتتكون
العمامة على هذا المنوال . ونحن نقرا في كتاب
الرحالة المغربي ابن بطوطة (مخ دي كايانكوس - ص
35) : « ضربوه بالايدي والنعال ضربا كثيرا حتى
سقطت عمامته وظهر على راسه شاشية حريسر
فانكروا عليه لباسه . وفي موضع آخر (ص 189) :
« والتقاء بين يديه على راس كل واحد منهم شاشية
مذهبة وفي وسطه منطقة (والحديث يجري عن
التقاء وتقيب النقباء في Dehli) وبعد ذلك (ص 191) :
« ويمشي بين يديه عبيده ومماليكه وكل واحد منهم
تكون على راسه شاشية ذهب وعلى وسطه منطقة
ذهب وبعضهم يرصعها بالجواهر . واخيرا (ص 224) :
« عشر شواشي من لباسه احداها مرصعة بالجواهر .
ويقول دابر في كتابه (وصف حقيقي دقيق لاقليم
افريقيا - ص 241 ، مج 1) ان احد خدام سفراء
ملك مراکش « كان على راسه طاقية من الصوف
الاحمر - مرتفعة قليلا - وهي تسمى شاشية
Hieissya وكان رفيق هذا الخادم يلبس نفس
النوع من الطاقية (المرجع السالف) .

ويقول ديبكو دي تويرس (تاريخ الشرفاء ،
ص 86) عن سكان مراکش : يلبسون الطواقى
الحمراء من ارجوان طليطلة بدل القبعات - ويلبس
كذلك كل منهم عمامة او شدا .

ويذكر مارمول (وصف افريقيا - ج 2 ،
ص 102 - مج 3) . ان فلانس سكان فاس هي
الطاقيات الارجوانية الشبيهة بالطاقيات التي يحملها
التجار الاسبان للبيع .

ويضيف مارمول الى ذلك قائلا : « ان هناك قلة
من الاشخاص تلف قطعة قماش حول هذه الطاقية » .
وهذا الزعم مؤيد بشهادة هوست (راجع كلمة شد) .
والحقيقة ان الناس في المغرب يكتفون على انعموم
بالطاقية وحدها - شأنهم في ذلك شأن الناس في
اسبانيا - حيث كانت الشاشية تسمى غفارة .
(راجع هذه الكلمة) . ويقرر هوست في كتابه
(اخبار من مراکش ، ص 114) ان قسما من الرجال

المتزوجين لا يلبسون الا طاقية من الصوف الاحمر
تدعى ساسية : Sesia ولهذا الطاقية وقع خاص
لدى المغاربة - بحيث اذا وضعها احد من النصارى او
اليهود على راسه ولم ينزعها امام لابسها من
المغاربة - فانهم في هذه الحالة يعتبرون هذا العمل
تصريحا باعتناق الديانة الاسلامية - ولن يستطيع
هذا المسيحي او ذاك اليهودي اذلاتا من هذا الاعتبار! «
اما بالنسبة لمصر - فاننا واجدون هذه الكلمة في
الاغلب لدى مؤلفي هذا القطر - امثال القريزي -
ونعثر على هذه الكلمة مستعملة كذلك بكثرة في كتاب
الف ليلة وليلة . ولكنني لا اهتم على الاطلاق كيف
وسع سيلفستر دي ساسي (كتابه القيم) ان يقول :
« اعتقد ان الشاشية في نصنا تعني قطعة من الشاش
الموصلي - ولها نفس الاستعمال في مصر - هذه
الكلمة هي الاسم الذي يطلق على الشاش الموصلي » .

انني محرج غاية الحرج ان اكون في حالة حتمية
القول بوجود اخطاء كثيرة هنا بقدر وجود كلمات .
فان العبارة هي (ج 1 ، ص 67 من النص العربي) :
« وصار الحاكم يركب حمارا بشاشية مكشوفة بغير
عمامة . وهذا ما يترجمه دي ساسي ترجمة حسنة
للغاية (ص 109) . والخلاصة ان كلمة شاشية لا
تعني الشاش الموصلي البتة - كما يؤكد ذلك دي
ساسى - دون الركون الى اي دليل - وكما تقبل
هذا المذهب فريتاك بجرأة وتهور ، وانما كلمتا شاش
وشاشات هما اللتان تحملان هذا المعنى - كما اثبت
ذلك كاترمير (كتابه القيم) . ولكن ما يضيفه دي
ساسى وهو : « ان الطاقيات التونسية الحمراء -
التي يقدونها في فرنسا - وخصوصا في مدينة
اورليان - معروفة في مصر باسم طربوش وجمعه
طرايش « مطابق كل المطابقة للحقيقة - ذلك لانه
يبدو ان كلمة شاشية مجهولة في مصر في ايامنا
هذه - وهم يسمونها اليوم بالطربوش .

ويظهر ان هذه الكلمة تلفظ في سيوه شاشة -
ذلك لان هورنمان في كتابه (مذكرات حول رحلة من
القاهرة الى مرزوق ص 22 - 24) يكتبها تشاشت
Tschatschet - ويقول انها طاقية من الصوف
الاحمر ومن القطن الابيض . وكان لهذه الكلمة
معنى آخر في مدينة الجزائر - فقد كانت تدل على :
طاقية امرأة . اذ يخبرنا ديبكو دي هيدو في كتابه
(خطط مدينة الجزائر - ص 27 ، مج 4) ان نساء
هذه المدينة يلبسن فوق البنائة ثلاثة انواع من عمارات
الراس حين يحضرن الحفلات والاعراس - وهن

العتية

يذهب القاموس (ط كلكتا - ص 185) الى ان العتية هي الملحفة - او بالاحرى هي نوع من القماش (او اللباس) الوارد من اليمن - الملحفة او ثوب يماني) . واعتقد ان هذا الكساء كان مخططا .

الصدود (1)

توجد هذه الكلمة في طبعة كلكتا للقاموس (ص 380) مفسرة بكلمة المحول . واجد كذلك هذه الكلمة بحرف ح في مخطوطات ليدن رقم 375 . ورقم 37 . ولكن مخطوطة المرحوم فان در بالم Van der Palm التي تملكها حديثا مكتبة ليدن والتي تحمل الان رقم 1581 - تعرض المحول بحرف ج . فاذا كان هذا هو الرسم الحقيقي للكلمة فان الصدود يشير الى : قميص قصير للمرأة .
Une courte chemise de femme

الصدار

اليكم ما تقرا في سفر الجواهري (ج 1 و ص 316) : « قميص صغير يلي الجسد » . وفي المثل : « كل ذات صدار خالة » (2) . اي من حقت الرجل ان يغار على كل امرأة كما يغار على حرمه . وهذا المثل موجود ايضا لدى الميداني (ط فريثاك ، ج 2 ص 310) ، حيث ان الصدار كان كساء قديما قد تبنته النساء كافة دون استثناء . ويفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 576) كلمة صدار على هذه الشاكلة : « ثوب راسه كالمقنعة واسفله يفضى الصدر » . ويتفق التبريزي (شرح الحماسة) ص 801) - وقد سبق لفريثاك ان ذكره - مع القاموس اكثر من اتفاهه مع الجوهري ، اذ يقول ان الصدار هو : « الثوب الذي يبلغ الصدر » .

يضمن على رؤوسهن - لا سيما اذا كن موسرات - بيريه مستديرة مصنوعة من الخز او من نسيج الاطلس او الدمقس المرصع بالذهب بعذوبة وحلاوة وروعة . وهن يسمين هذه البيريه Xixia - وبعضهن يزين هذه العضارة بعدد كبير من الجواهر والاحجار الكريمة - ما استطمن الى ذلك سبيلا .

المشوش

لقد لاحظ كوليوس Golius معتمدا على Maroufi ان هذه الكلمة تدل على عمامة صغيرة . اذن يبدو - والحالة هذه - ان المشوش هو شاشية قصيرة لا تدور الا عدة دورات حول الرأس .

الشال

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

والشال هو الكلمة الفارسية شال Châle - التي تسربت الى عدة لغات اوروبية - فنحن نقرا في بحث الكونت دي شابرول (وصف مصر - ج 18 ص 108) : الشال هو قطعة طويلة من الشاش الموصلي او من النسيج الصوفي الذي يطوى ويلف عدة لغات حول الطربوش . ويتخذ الاثرياء هذا الشال من الكشمير » .

ونجد في كتاب بركهارت (ملاحظات على البدو والواهييين - ص 28) ان جميع نساء رواله يضمن على رؤوسهن طرحا من الحرير الاسود - تبلغ مساحة كل طرحة مترين مربعين - وهن يسمين هذه الطرحة Shâle kâs (شال قز - خز ؟ - المترجم) - وهي تصنع في دمشق » . واعتقد ان جملة Shâle kâs تعني شال قاسح اي الشال الكثيف او الكثاف .

- (1) لا اعني كلمة الصدار ، التي ذكرها القاموس (ط كلكتا ، ص 380) . قائلا : « ما اصطدت به المرأة وهو الستر » .
- (2) كل ذات صدار خالة : الصدار كالصدره تلبسها المرأة . ومعناه ان الفيور اذا رأى امرأة عدها في جملة خالاته لفرط غيرته . وهذا المثل من قول همام بن مرة الشيباني وكان اغار على بني اسد ، وكانت امه منهم . فقالت له النساء : « اتفعل هذا بخالاتك ؟ » . فقال : « كل ذات صدار خالة » فارسلها مثلا . قلت ويجوز ان تكون الخالة بمعنى المختالة . يقال رجل خال اي مختال . يعني ان كل امرأة وجدت صدارا تلبسه اختالت . (مجمع الامثال للميداني ، 1353 هـ ، ج 2 ، ص 78 ، المترجم) .

الصدر

ان تفسيرات الجوهري (ج 1 ، ص 316)
والفيروزآبادي (القاموس ، ط كلكتا ، ص 576)
عقيمة الجدوى . اذ يقول الاول : « الصدر - التسي
تلبس » ، ويفسرهما الثاني بكلمة الثوب . وارى انها
تشير الى ما تشير اليه الكلمة الفرنسية Veste
قيست ، مثل كلمتي الصدرية والصديري اللتين
سنتحدث عنهما بالتفصيل .

الصدرية او الصدرية

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

واننا نجد فى مذكرات دارفيو (ج 5 ص 282 ،
283) : « بقية ثياب الاتراك فى مدينة الجزائر
تتخصر فى قمص لا اكمام لها ، والقوم يسمونها
صدرية Sadderie . وهي محرومة من تقوية امامية
ومن فتحة خلفية ، ولكن لها ثلاث فتحات ، الفتحة
الاولى لامرار الراس ، والفتحتان الاخرتان لادخال
الذراعين . وهم يدخلون الايدي بايدي الامر من
الفتحتين ، ويرفعون الذراعين بلطف وهواده ،
فتنساب القمصلة دون ان يشمر بها شاعر ، اما
الرأس فيمر من التقوية الوسطية ، وهذه الصدرية
تصافح الجسم مباشرة » . وتقرأ فى رحلة النقيب
ليون (اسفار فى الشمال الافريقي ، ص 6) كلمة
« صدرية » ، Sidrea ويعرفها بانها صدارى
يلائم الجسم تماما ، وهو محروم من فتحة امامية ،
وليس له سوى تقويرتين لامرار الراس والذراعين .
وهذا الثوب يلبسه معظم سكان طرابلس الغرب .
ويتحدث الرائد دنهام (رحلات فى شمال افريقيا ،
ج 1 ، ص 27) عن صدرية من الحرير « Sidiria »
تلبس تحت البنس ، راجع كائين (القاموس ، ج 2 ،
ص 340 ، حول كلمة جوستيللو Justillo
اذ يقول ان الصدرية لباس تحتاني يلامس الجسد ،
ولا اكمام له . وترجم دونباي (النحو المغربى
العربى ، ص 82) كلمة انتريلولا Interula
بكلمة صدرية او صدرية .

وهذا الثوب كان يرتدى ايضا فى مالطة ، وما
تزال القرويات حتى ايامنا هذه يرتدين صدريات لا
اكمام لها فى هذه الجزيرة ، وهن يسمين واحدها
صدرية Sidria . (راجع فيسكيه ، رحلات الى
الشرق ، ص 6 ، وانظر فاسالي ، اللغة المالطية
مج 610) .

الصديري

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ولكننا نقرأ فى بحث الكونت دي شابرول (وصف
مصر ج 18 ، ص 108) : « الصديري مشد
صغير Petit corset لا اكمام له » . ونطالع
فى كتاب لين (لين ، المصربون المحدثون ، ج 1 ،
ص 39) : « ويرتدى بعض الناس فى الشتاء ، او
بصورة عامة لدى حلول البرد ، صديريا ، اي سترة
صغيرة لا اكمام لها ، مصنوعة من الجوخ ، او من
الحرير والقطن ، ذات خطوط ملونة » . ولا ارتاب
مطلقا فى كون هذا الكساء هو الذي يتحدث
عنه بوكوك Pocoke فى كتابه (وصف الشرق ،
ص 327 ، ج 1 ، وصف الشرق Beschijving van
hat Oosten) فيقول : « ان الحلة التركية
تتألف قبل كل شيء ، من نوع كساء قصير لا اكمام
له ، منسوج من القطن او من التيل ، ويكون هذا
الثوب احيانا مقفلا من الجهة الامامية ، ولكنه مثبت
باحدى الجهات » . راجع هيئة الكساء هذا فى
كتاب بوكوك السالف الذكر ، ج 1 اللوحة 68 .

الصقاع ، الصوقمة

يفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 1051) كلمة
صقاع « بخرقة تقي الخمار من الدهن » والبرقع
كالصوقمة . اما ابن جنى (شرح ديوان المتنبي ، مخ
126 ، ص 103) فيميل الى كلمة صقاع بمفهومها
الثاني من المفهومين المذكورين فى القاموس . اذن
فالكلمة تشير الى ما يسمى ببرقع ، وكلمة صقاع
تشير ايضا ، كما تشير كلمة صوقمة ، الى قطعة من
القماش تقي الخمار الدهن الذي تدهن به المرأة راسها او
تغطره . وعلى هذا فالمسألة هي مسألة طاقية .

الصولق (1)

يخبرنا المقرئ (وصف مصر ، مخ 372 ،
ص 350 ، 351) ان السلطان والامراء والجنود كانوا
يلبسون الصوالق على الاقبية ايام حكم السلالة
التركية (الجركية) : صوالق بلغاري كبار يسع
الواحد منهم اكثر من نصف وبة (2) غلة مفروز فيه
مندبل طوله ثلاث اذرع . وهذا النص الذى سبق
لكتاتمير ان ذكره (تاريخ السلاطين الماليك ، ج 2 ،
ق 1 ، ص 152) يزودنا بجمع كلمة صولق وهي
صوالق التى ينبغى اضافتها الى القاموس .

وبالرغم من ان هذا التخمين يبدو احتماليا ،
فانني لن اسكت عن دونباي (النحو المغربي العربي
ص 82) وهو يكتب الكلمة (مضمه) (كذا) وينطقها
مضمه . وهو يفسرها بأنها حزام من الجلد :
« Cingulum ex corio, une ceinture de cuir.

الطربوش

ينبغي التمييز بين الطربوش الذي يلبس في
مصر والطربوش الشائع الاستعمال في سورية
والاقطار الشرقية الاخرى .

ويرى لين (المصريون المحدثون - ج 1 - ص
41 - 42) ان « العمامة تتألف حاليا في مصر من
ثلاث مواد المادة الاولى الكلوتة الصغيرة المسماة
طاقية - والمادة الثانية الطربوش الذي هو طاقية
(او كلوتة) من الجوخ الاحمر - الملامس للرأس كل
اللامسة والمزود بقنطرة من الحرير الازرق العاتك -
اما المادة الثالثة والاخيرة فهي القطعة القماشية الطويلة
التي تلف حول الطربوش » .

ويقول فيسكيه (رحلة الى المشرق - ص 182
- 182) : « ان طربوش مصر هو الكلوتة المستديرة
المصنوعة من الصوف الاحمر اللبد المنتهية بخيوط
حريرية قلت او كثرت » . والنساء ايضا يلبسن
الطربوش (لين - المصدر نفسه - ص 58) . ونطالع
في كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناتن - ج 1 - ص
165) : وكان عليه كما ذكرنا الطربوش والشاش
(العمامة) . (راجع لين ، الف ليلة وليلة ، ج 1 ،
ص 324) .

وجاء في رحلة فنسان نبلان الشهيرة (ج 2 ،
ص 139) : ان نساء القاهرة يلبسن « طاقية صغيرة

راجع كذلك تعليقه كاترمير التي يستخلص منها
ان كلمة صولق كانت تشير الى جيب جلدي كان
يضم الى الحزام او المنطقة من الجهة اليمنى .
ويظهر من عدة نصوص من كتاب الف ليلة وليلة ان
حافطة النقود كانت تشد ايضا الى الصولق .

المضامة

لا وجود لهذه الكلمة في انقاموس .

ويقرر هوست في كتابه (اخبار من مراكش ،
ص 115) : ان الفرد المراكشي يلبس فوق القفطان
اما حزاما من الحرير واما مضمة Modhéma
اي حزاما جلديا بابزيم ، ويلبسه رجال البلاط
وجلساء الملوك بمشابة زينة ، راجع اللوحة 15 ،
الصورة 3 ، ولكن بعض الناس لا يستفنون عن
المضامة ، لانهم يلمون اثوابهم بواسطة هذا الحزام ،
ويدونه تربكهم ثيابهم اثناء العمل » . ونرى من
اللوحة ان القوم يحملون مندبلا في هذا الحزام .

ولا ريب ان هذه الكلمة عربية الاصل ، واعتقد
انها الكلمة المؤنثة من الصيغة الثالثة من فعل ضم » .

وافترض كذلك ان هوست ضل في كتابتها
مضمة ، في حين انها تلفظ جيدا Modhéma
وذلك لان « تلفظ في المغرب بـ ايه » .

اذن فالمضامة تعني تماما :

« Res unam rem cum alià coniungens »

اي انها حزام يجعل شطري الجهة الامامية يتلامسان ،
او ، اذا صادفت هوى في نفوسنا ، هي الحزام الذي
يجعل الثوب الواسع يلاصق الجسم .

(1) يرى هوست (رحلة الى مراكش ، ص 119 Hôst, Nachrichten von Marokos)

ان كلمة صوالف Sualf التي لا وجود لها في القاموس تشير الى نوع زينة رأس ، نوع عمارة
شبية بما يدعى عزابة . ولكيلا يظن بان هذه الكلمة تدل حقيقة على نوع عمارة فانني ساورد النص
التالي لدييكو دي هيدو (خطط مدينة الجزائر ص 27 ، مج 4) التي تثبت لنا ان معلومات هوست
خاطئة . فنحن نقرأ فيه : « جميعهن ، بصورة عامة ، لهن عادة قص كل شعورهن بالموسى ،
الشعور الموجودة حول العنق وحول قفا الرأس ، حيث البناقة لا تصل ، وهن يقصصن ايضا جزءا
من شعر الجبين : بحيث تبقى لهن من جانبي الرأس خصل من الشعر ممشطة بعناية تناسب على
الصدر : وهن يسميها صوالف .

ويكتبها بيدرو دي الكالا (مفردات اسبانية عربية) (صالف و صوالف) . ولكن كانيس Canès
يكتبها (سالف والجمع صوالف) ويفسرها بأنها خصل الشعر .

(2) الوبية هي مكيال حنطة وهو يبلغ اليوم سدس الوردب (راجع لين المصريون المحدثون ، ج 2 ،
ص 417) .

كعمرة للرأس طاوية حمراء تتدلى الى الجانب - وتثبت في الرأس بقطعتين من القماش مرقتين». وفي موضع آخر (ص 82) يقول عن سكان بعلبك : « يلبسون على رؤوسهم الطاوية الحمراء التي تتدلى الى الجانب ». ويقول بكنكهام (رحلة الى بلاد ما بين النهرين ، ج 1 ص 151) عن رجال اورفه : « يلبسون الطربوش الواسع الذي يتدلى الى الخلف بصورة عامة ». ولعل اوليفيه يتحدث عن الطربوش ايضا في كتابه (رحلة الى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس - ج 4 ، ص 327) حين يقول عن نساء بغداد : « ان زينتهن الاعتيادية الطربوش المخملي الاسود الكبير الذي يتدلى الى انوراء - المنتهى بقنزعة من الحرير الاسود او الذهب : فاذا كانت القنزعة من الذهب فان المغارز تكون مغطاة بالحرير او القصب . وهذه الطاوية مثبتة بالرأس بشال كشمير (اللوحة 27) . ولكنني لا اريد ان اؤكد ان القنضية هنا هي قضية طربوش - لانني لم اقع في موضع آخر على ان الطاوية تكون من المخمل الاسود . وسأجعلكم تلاحظون ايضا ان الطربوش في الساحل السوري لا يبدو انه يختلف دائما عن الطربوش المصري - ذلك لان ريشتر في كتابه (الرحلة - ص 123 - الخ) يذكر في وصف الحلة التي اشتراها من بيروت - للولوج الى داخل سورية : « هناك فيس احمر يدعى هنا طربوشا اي طاوية صغيرة مدورة » .

ولعل هذه الكلمة حين استعملت لم تصل الى العرب الا في مطلع القرن السادس عشر - ولم تكن الا تحريفا لكلمة سربوش الفارسية - وهي في العربية شربوش ... حقيقة ان هذه الكلمات تشير الى نوع من عمرة الرأس مختلف - ولكن كلمة سربوش الفارسية في غاية الغموض اصلا - ما دامت لا تشير الا الى زينة رأس على وجه العموم . فمن الممكن كل الممكن - كما اعتقد - ان هذه الكلمة قد طبقت على انواع من عمارات الرأس .

وتسمى هذه الطاوية في الجزيرة العربية ب (فس) وكذلك تدعى في القسطنطينية . وكان الناس يسمونها قديما في مصر شاشية - وهو الاسم الذي ما تزال تحمله في المغرب . ومع ذلك فان كلمة طربوش ليست مجهولة في المغرب - ذلك لان دونباي في كتابه (النحو المغربي العربي - ص 83) يترجم كلمة طربوش بكلمتي Galericus nautarum وتسمى هذه الطاوية في اسبانيا غفارة .

على الرأس من قماش غالي الثمن يعلوها قيطان مبروم في نهايته ندفة او قنزعة » . ونجد في بوكوك (وصف الشرق ، ج 1 ، ص 328) ان سواد الشعب يلبس بدل العمامة الطاوية الحمراء التي تثتصق بالرأس كل الالتصاق . وهي تلبس ايضا من قبل الاعراب (البدو) ويلبسها كذلك المولدون في مصر - ولكن التجار وحاشية الامراء العرب والقسس الأقباط يستعملون الطاوية الاخرى » . وجاء في كتاب الكونت دي شابرول (وصف مصر ، ج 18 ، ص 108) : الطربوش هو الطاوية او الكلوتة الكبيرة الملبدة - التي تغطي الرأس حتى الاذنين » . وبعد ذلك في وصف ازياء النساء (ص 113) : « الطربوش هو الغطاء الذي يوضع فوق الطاوية » . ويخص ستيفنس في كتابه (حوادث سفر في مصر - ص 225) بالذكر « الطربوش الاحمر » من بين ملابس احد تجار القاهرة . انظر هيئة هذه الطاوية في كتاب بوكوك - اللوحة 58 - وراجع كتاب ج فيسكيه .

وها قد رأينا بفضل نص اورده بوكوك ان هذه الطاوية هي ايضا يلبسها بدو مصر . والواقع ان منتكازه يقرر في كتابه (قصة رحلة الى اورشليم - ص 112) : « ان فرسان البدو يلبسون طاوية صغيرة من التيل » . ونجد في كتاب كوبان (درع أوروبا) ما يلي : اما العوام فيستترون بقطعة طويلة من القماش الصوفي يلفونها في كتاب كوبان (درع أوروبا) ما يلي : « اما العوام فيستترون بقطعة من القماش الصوفي يلفونها حول الجسم (بردة) مع طاوية حمراء مزودة بقطعة من التيل الابيض والاسود » . ونقرا في كتاب ستيفنس (حوادث السفر ، الخ ، ج 1 ، ص 224) : « وسرعان ما ارتدى بول الحلة العربية البدوية الاعتيادية : القميص القطني الازرق والطربوش والنعلين البدويين » . ويؤكد بارثي في كتابه (جولة عبر صقلية والشرق ، ج 2 ، ص 77) : ان البدو المجاورين للأسكندرية كانوا يلبسون « الطاقيات الحمراء الصغيرة » . وان ما يميز الطربوش المصري عن الطربوش السوري وطرابيش البلاد الشرقية الاخرى - هو ان الطربوش السوري لا يلامس الرأس تماما - ولكن له نهاية متدلية الى الوراء او الى الجانب . ونحن نقرا في احد كتب بكنكهام (رحلة الى بلاد ما بين النهرين ، ج 1 ، ص 6) : « هناك طربوش واسع - او طاوية حمراء - تتدلى الى الوراء - على الرقبة والكتفين » . ويقول ريشتر في كتابه (رحلة الى الشرق الاوسط ، ص 68) عن سكان عكا : « يستعملون

الطرحة

سبق لكاترمير ان زودنا في كتابه (تاريخ السلاطين المماليك - ج 1 - ق 2 ص 21 - 22) بتفاصيل حول نوع الخمار المسمى طرحة . ونلاحظ في تعليق هذا العلامة التعمق العلمي الذي يميز كل كتاباته . وقد تحدث كذلك سيلفستر دي ساسي في كتابه طرائف غريبة - ج 2 ص 269) عن الطرحة - واستشهد به فريتاك . وسأحرص على اعطاء هذه المعلومات التي استصفاها هؤلاء العلماء شكلا - ان يكن باهتا من الناحية التاريخية فانه خلاف ذلك من جهة اضافة ثمرة قراءاتي الخاصة اليه .

ولنشرع بوصف طرحة الرجال . فانها خمار Voile empesé مصنوع من الشاش الموصل الذي يلائ على العمامة - او يطرح على الكتفين فقط . فيتدلى على الظهر (والطرحة تشبه الطيلسان - وان التباين الذي ظن دي ساسي انه قد عثر عليه بين الطرحة والطيلسان هو ظن وهمي . اذ يرى هذا العالم ان ما يميز الطرحة من الطيلسان ان الطيلسان يوضع على العمامة وان الطرحة تطرح على الاكتاف . وان كلمات المقريري (لدى كاترمير) « فوق عمامته طرحة سوداء » و « البس طرحة على عمامته » تؤكد ان هذا الافتراض افتراض لا يقوم على اساس . ونحن نقرا كذلك في تاريخ مصر (مع كاترمير) : « حضر القاضي وعلى راسه طرحة » . وقدما كان الناس يلبسون الطرحة مع العمامة (عمامة - شاش) كما بوسنا ان نشهد ذلك في عدة نصوص للمقريري وفي مسالك الابصار ولدى النويري - وقد استشهد بها كلها كاترمير .

ويظهر ان الطرحة نفسها قد استعملت استعمال العمامة في المصور الحديثة - لاننا نجد في وصف مصر (ج 18 - ص 109) : « الطرحة قطعة من الشاش الموصل او جزء من الشال الذي ينساب الى قفا الراس بعد ان يكون قد التث عدة لوثات حول الطربوش - وهذا النوع من الخمار يقف بارتفاع الكتفين ويحدث تأثيرا في غاية الحلاوة : ويكون احبانا مطرزا او مرصعا بالذهب في حواشيه » .

وكانت الطرحة لباس القضاة الخاص - بل شعار قاضي القضاة . وقدما كان لا يحملها الا القاضي الشافعي . (السيوطي لدى دي ساسي - ص 267 -

مالك الابصار لدى كاترمير) . وفي عام 263 من ايام حكم املك الظاهر بيبرس - تلقى قضاة القضاة الأربعة السماح لهم باتخاذ الطرح . (المقريري - السلو - ترجمة كاترمير) . وهذا ما يؤيده النص التالي الذي استعيره من النويري (تاريخ مصر - ج 2 - ص 88) . اذ يقول هذا المؤرخ وهو يقص علينا اخبار حوادث سنة 716) : « فوض قضاء القضاة الحنفية بمصر للقاضي سراج الدين عمر بن شهاب الدين بن محمود وخلع عليه بطرحة على عادة القضاة » . ولكنني اجد من المحتم على ان احملكم على ملاحظة ان هذا الامر لا يطابق البتة احد نصوص السيوطي (حسن المحاضر - مخ 113 - ص 346 - حوادث عام 773) حيث نقرا : « وفي هذه السنة اراد السراج الهندي . قاضي الحنفية ان يساوي قاضي الشافعية في لبس الطرحة وتقرير القضاة في البلاد وتقرير مودع الايتام - فاجيب الي ذلك . فاتفق انه توعدك (1) عقب ذلك وطال مرضه الى ان مات ولم يتم الذي اراده » . وعلى هذا نرى ان شهادة ابن حبيب (دوة الاسلاك مخ 425 - ص 579) لا تدع اي مجال للشك بوفاء قاضي القضاة الحنفي سراج الدين الهندي حقيقة في عام 773 . فهل في المقدور حل هذه المعضلة بافتراض ان القاضي الشافعي كان هو وحده يلبس الطرحة بصورة اعتيادية - ان القضاة الثلاثة الآخرين لم يكونوا يلبسونها الا في المناسبات الرسمية ؟ والواقع ان القاضي الشافعي هو الذي كان يتمتع في مصر باحتلال مركز الصدارة - واليه كان يعهد الحكم على قضاة الطوائف الاخرى . (ليون الافريقي - وصف افريقيا - ص 706) وان الخطباء كذلك ا خطباء الجوامع والمساجد كانوا يلبسون الطرحة . (السيوطي لدى دي ساسي) .

واول من خلع الطرحة كلباس تشريف يكرم به عظماء الدولة وكبراء ضباطها كان الملك السعيد خان 676 (النويري لدى كاترمير) . ونقرا لدى النويري (تاريخ مصر - مخ 2 - ص 32) : « خلع عليه خلعة الوزارة . وكانت الخلعة جبة عتابي حمراء وفوقه فرجية زرقاء منسوجة (مقنذزة) وطرحة (مقايسة مع كلمة فرجية) . ويخيل الي ان طرحة القضاة كانت سوداء على الدوام .

وقد قلت آنفا ان الطرحة كانت مماثلة للطيلسان -

(1) ان التصريف الخامس لفعل وعك لا وجود له في القاموس . ويوسعكم رؤية مثال آخر في كتاب الف ليلة ويلة . (ط مكناتن - ج 1 - ص 43) .

(693 - 741) فاذا آمنا بما يقوله هذا المؤرخ فان هذا النوع من الخمار كان يكلف كثيرا - ما دامت كل طرحة كانت تساوي من خمسة الاف الى عشرة الاف دينار . على اني لا اصدق ان هذه الطرح الثمينة كانت تلبس من قبل العموم - لاننا نرى من النص التالي للمقريزي ان الطرحة كانت تلبس ايضا من قبل طبقة واطئة من طبقات المجتمع - وان هذه الطبقة في الاغلب الاعم كانت فقيرة - ومن هذه الطبقة كانت المومسات تلبس الطرح . فنحن نقرا في كتاب (وصف مصر - ج 2 - مخ 372 - ص 347) : وادركت سوق الشماعين عن الجانبين معمور الحوانيت بالشموع الموكية والفانوسية والطوافات (1) لا تزال حوانيتها

وهذه الملاحظة تحتاج الى بعض التحوير - لاننا نقرا للنويري (لدى كاترمير) : « لبس الطرحة والتي الطيلسان » . فهل الفرق بين الطرحة والطيلسان ينحصر في ان الكلمة الاولى تشير الى الطيلسان المقرر Voile émpesé ؟ فان ما يدعوني الى هذه العقيدة هو اننا نقرا للنويري (لدى كاترمير) : « يلبس الطيلسان المقور ويسمى اليوم بالطرحة » . ويتحتم علينا الان التحدث عن طرحة النساء . وهي كذلك خمار يوضع على الراس ويتدلى الى الوراء - ولكن هذا الخمار اطول من الخمار الذي يحمله الرجال . ويخبرنا ابو المحاسن (لدى دى ساسي) ان النساء في مصر قد لبسته ايام حكم الملك الناصر محمد بن قلاوون

(1) لا وجود لكلمة طوافة - وجمعها طوافات - في القاموس . واني بمنحي هذه الكلمة المعنى المشار اليه في ترجمتي اعتقد بعدم مجانبيتي للحقيقة كثيرا . ويخيل الي ان الاستعمال الجاري لفعل طاف يؤيد ذلك . ويقول المقري او بالاحرى ابن سعيد (راجع فريتاك - طرائف عربية نحوية تاريخية - ص 144) ان الطواف بالليل هم رمادة الشباب الحراس الذين يجوسون خلال المدينة - اثناء الليل لاقاء القبض على اللصوص . ويسمى ابن خلدون (راجع دى ساسي - طرائف عربية - ج 1 - ص 132 من النص) الجولات الليلية لهرون الرشيد بالطواف بالليل - والقضية نفسها مبحوثة آنفا (المرجع السابق - ص 131) بهذه الكلمات : تطوفه بسكك بغداد » . وهناك نصوص اخرى تشير بالتحديد الى الاستعمال الذي يصلح له السراج المسمى طوافه . اما هذا النوع المضحك من المصايح المسمى بالفانوس فراجع بشأن وصفه وصورته كتاب (المصريون المحدثون - ج 1 - ص 225 - 226) لمؤلفه لين .

وتشير كلمة زعر الى البوهيميين المدعويين كذلك بالرمادية . وعن المشاعلية راجع (كاترمير - تاريخ السلاطين المماليك - ج 1 - ق 2 ص 6) اما عن الزنجية فراجع (كوسان دى بير سفال - النحو العربي العامي - ص 161) الخ - حثالة الشعب . فنحن نقرا لدى ابن اياس (تاريخ مصر - مخ 367 - ص 44) « التف عليه جماعة من الزعر العياق » . وفي موضع آخر (ص 58) : « ومعه السواد الاعظم من الزعر والعشير » . وبعد ذلك (ص 138) : « ثم ان الزعر تزايد امرهم حتى انهم كسروا باب حبس الرجبة » .

وفي موضع آخر (ص 176) : « ومعه السواد الاعظم من الزعر وغيرهم » . وبعد ذلك (ص 414) : « نثر على الزعر الذهب والفضة بيده فاجتمع تحته الجم الحقير من الزعر والعياق (اي : القعد) . واخيرا (ص 477) : « ثار جماعة من العوام على المحتسب - امره (والى الشرطة) بان يقبض على جماعة من الزعر والمبيد ويقطع ايديهم . راجع كلمة عياق تعليقة وردت حول كلمة طرطور . وتعابير (اهل الذعرة - الذعارة - ذوو الذعارة) تشير الى نفس الصنف من الرجال . وان اميرا متحلا من الاخلاق - وهو محمد السادس الفرناطي - سماه ابن الخطيب في (الاحاطة - مخ دى كايانكوس ص 163) : « مالفا للذعرة » . ونقرا للمقريزي (لدى دى ساسي - طرائف عربية ج 2 - ص 26 من النص) : « وكان قد ثار بدمشق جماعة من اهل الذعارة والفساد وحاربوا عمال السلطان واشتد مراهم . وكان كبيرهم يعرف بابن الفاوود (وفي رحلة ابن بطوطة - مخ دى كايانكوس - ص 60) : « اتفق في بعض السنين ان اوتي امير الحاج بصبي من ذوي الذعارة بمكة قد سرق بمض الحجاج » . وتشير كلمة دعار كذلك الى البوهيميين . فنحن نجد لدى المقريزي (ايراد دى ساسي - طرائف عربية - ج 2 ص 29 من النص) « وصار في عدة وافرة من الذعار » .

اذن فكلمتا زعيرات الشماعين تعنيان بصورة خاصة : البوهيميين او المصريات - بائعات الشمع . والواقع اننا نعلم ان الراقصات العموميات (بائعات الهوى) هن في مصر من طبقة البوهيميات . ونرى فوق ذلك من نص المقريزي كلمة زعارة تستعمل بمعنى Scortatio

كتابه . على ان طرحة نساء حلب لم تكن طويلة طول طرحة السيدات المصريات . وقد رأينا معتمدين على نصين للمقريزي المذكورين آنفا وجوب اضافة كلمة جمع طرحة طرح الى القاموس . وانني اجهل كيف ينطق العرب هذا الجمع - ولكن طبقا لقواعد النحو بوسمنا " طرح وطرح . (راجع دى ساسي - قواعد النحو العربي - ج 1 - ص 359 - 360) . وقد لاحظت كاترمير (كتابه السالف القيم) ان فعل تطرح قد تولد من كلمة طرحة : اي لبس الطرحة .

الطرطور او الطرطور

لقد سبق لكاترمير (تاريخ السلاطين الماليك ج 1 ، ق 1 ، ص 77) ان تحدث عن الطرطور . ولكن هذا العالم الجليل لم يتحتم عليه ان يؤلف كتابا خاصا عن الملابس عند العرب : اذن فنحن مرغمون على الدخول في التفاصيل والتوسع في منعطقاتها ، تلك التفاصيل التي كان بمقدور كاترمير ان يتحفتنا بها هنا دون ريب لو انه شاء ، ولكنها لم تستطع ان تحتل محلها في نطاق شرح على احد المؤلفين .

لا بد ان كلمة طرطور تشير الى : طاقة عالية . وهذا ما ينم عليه اشتقاق الكلمة . حقيقة ان فعل طرطر لا وجود له في القاموس الا بالمعنى المجازي : معنى التمجيد *Gloriatu fuit* ولكن هذا الفعل يعني بصورة عامة الرفع او الرفع الى الاعلى *In altum sustulit elevavit* فنحن نقرا في كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناتن ج 1 - ص 8) « طرطر ذيله وضرط :

In altum sustulit caudam suam et caca vit

وستحدث اول ما نتحدث عن طرطور النساء وبعد ذلك نتناول طرطور الرجال .

نحن نقرا في كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناتن ج 1 ، ص 161) ان نصابة استطاعت ان تحصل من عشاقها على ملابس نسائية فالبست عشيقها الثالث الوزير (غلالة زرقاء وطرطورا احمر) . ونجد في هذا الكتاب : (يوميات رحلات السيد مونتوني ج 1 ، ص 381 *(Le journal des voyages de Monsieur Monconys*

مفتحة الى نصف الليل . وكان يجلس به في الليل بغايا يقال لهن زعيرات الشمايين لهن سيماء يعرفن بها وزى يتميز به وهو لبس الملاوات الطرح . وفي ارجلهن سراويل حمر . وكن يعانين الزعارة ويقفن مع الرجال السالقين في وقت لمبهم . ومنهن من تحمل الجديد معها . وكان يباع في هذا السوق في كل ليلة من الشمع بمال جزيل . وقد خرب ولم يبق به الا الخمس حوانيت بعدما ادركتها تزيد على عشرين حانوتا وذلك لقله ترف الناس وتركهم استعمال الشموع » .

ويخيل الي ان طرح النساء كانت تعمل من الكتان او من القطن - فاني اقرا لدى المقريزي (ج 2 - ص 372 - ص 354 - 355) : « وفي اوله كثير من البزازين الذين يبيعون ثياب الكتان من الخام والازرق وانواع الطرح واصناف الثياب القطن » .

وفي ايامنا هذه ايضا تعمل الطرحة من الكتان او القطن . اذ يقول لين (المصريون المحدثون - ج 1 ص 60) في معرض حديثه عن طرز لباس سيدات الطبقة العليا ونساء الطبقة الميسورة : « انهن يضعن على رؤوسهن اما قطعا من الشاش الموصلى الابيض المطرزة الحواشي بالحريز الملون والمرصعة بالذهب واما قطعا من الكريشة الملونة المزركشة بأسلاك الذهب - الخ - او بأسلاك معادن اخرى » . وان الزراكش والتزيينات التي ذكرها لين توضح لنا - مهما بلغت ضالة هذا التوضيح - السمر الفاحش الذي تباع به الطرح طبقا لرواية ابن المحاسن (وطرحة نساء الشعب ذات لون غامق وهي من الشاش الموصلى او من الكتان . (لين - ج 1 - ص 64) . وتعمل الطرحة في مصر العليا من قماش صوفي اسمر . (لين - ج 1 ص 69) . راجع هيئة هذا الخمار في كتاب (لين - ج 1 - ص 57 - 64 - 68) .

واعتقد اننا واجدون الطرحة في حلب . فعلى الاقل نراها لدى برين في كتابه (الرحلات - ص 362) اذ يصفها بانها قطعة كتان بيضاء مشدودة الى عمرونة الراس ومسبلة الى الورا . انظر الشكل 189 في

والواقع ان الطرطور تلبسه النساء المارونيات والدرزيات ، ولكنه لديهن مشغول من احد المعادن . وهذا ما يقوله باجيس Pagès بالحرف الواحد في كتابه « رحلة حول العالم ، ط بيرن 1783 ، ص 141 » Voyage autour du monde « الطرطور Tantoura هو عمارة رأس على هيئة مخروط من الفضة تلبسه النساء الدرزيات (2) . وذكر نابيه Napier كذلك الطرطور Tontura في كتابه « ذكريات عن سورية ، ج 1 ، ص 135 » (Reminiscences of Syria) ويسميه قرن نساء بيروت ، وبعد ذلك (1 ، ص 223) يقول : « الطرطور او قرن نساء لبنان » Tontura or horn . وهناك وصف مفصل عن الطرطور الذي تلبسه النساء اللبنانيات في كتاب المؤلف ذاته (ص 262 ، 264) . وان كاترمير حين اورد نص باجيس Pagès حسب من المحتم عليه احلال كلمة Tartoura محل كلمة Tantoura ولكن بالنظر الى ان الكلمة توجد كذلك مكتوبة بحرف النون (n) في كتاب نابيه Napier ، وان حرف الراء (r) وحرف النون (n) هما حرفان ينتميان الى نفس الفصيلة ويمكن ان يتورهما الابدال بسهولة في معظم الاحيان ، فلذلك لا يبدو لي من الاستحالة بمكان امكان النطق هذا اليوم بالكلمة بلفظ طنطورة لدى الدروز . وعلى كل حال فان هذه الكلمة ليست سوى تحريف لكلمة طرطور .

وقد تحدث عدة رحالين آخرين عن عمارة النساء المارونيات والدرزيات هذه ، ولكن دون ذكر لاسمها . فنحن نقرأ في رحلة لايت Light (اسفار في مصر والنوبيا والأرض المقدسة وجبل لبنان وقبرص ، ص 220) :
(Travels in Egypt, Nubia, Holy Land, Mount Libanon and Cyprus)
« ان النساء المارونيات والدرزيات يضعن على رؤوسهن انبوبة من القصدير او من الفضة على هيئة مخروط له

ان نساء الشرفاء يضمن « شريطا اخضر في طرطورهن » وعلى هذا فلا اتردد في التفكير بأن بلون Belon يتحدث عن الطرطور وهو الرحالة الذي زار مصر في الآونة التي كتب خلالها كتاب الف ليلة وليلة ، وذلك حين يصف الطاقية العالية التي تلبسها النساء المصريات اذ يتناول الموضوع في كتابه ملاحظات ص 134 (observations) على هذا المتوال : « ان ملاحظة طراز لباس الرأس الذي تتخذه النساء المصريات جديرة للغاية بالتسجيل ، ذلك لانه يمثل القدم والمعاتة ، كما نرى اشباهه مضروبة في الأوسمة وطع النقود . وقد سماه المؤلفون التاج المبرج او زينة الرأس على هيئة البرج (الاشرطة المبرجة)
Vittam turritam او Turritam coranum او Turritum capitis or namentum
كما لو قال القائل « عمارة رأس منصوبة على شكل برج » (1) .

وبالنظر لاهمية غرابة هذا الغطاء الراسي فان شعراءنا اللاتين القدماء لم يغفلوا ذكره فقد تناولوه بالوصف « راجع الصور المخطوطة في كتاب بلون Belon التي هي ولا مشاحة غير مستوفاة الشروط من الناحية الفنية .

واعتقد اني واقع على الطرطور في ساحل سورية في بيروت . فعلى الاقل يقول تيرنر في كتابه : (يوميات جولته في المشرق ص 81 ج 2) (Journal of a tour in the Levant - Turner) عن ابنة مضيفه في هذه المدينة انها كانت تلبس طاقية حمراء في غاية الارتفاع مبثوثة فيها انواع قطع النقود التركية امثال ما يدعى Rubiehs sequins وغير ذلك ، تلك القطع التي قد يرتفع عددها الى مائة وخمسين قطعة على اقل تقدير ، وهذه القطع النقدية مجمعة على اشربة حريرية معلقة بسلاسل فضية » .

- (1) يقول حافظ ابراهيم في وصف عمامة احد المميين :
يمشي وقد نصبت عليه عمامة كالبرج لكن فوق تل نفاق
(المترجم)
(2) ورد ذكر هذا النص من قبل كاترمير (في كتابه الرائع) ولكن في طبعة اخرى .

القرن على الجبين هن مارونيات ، وان اولئك اللواتي يحملنه على الاذن هن كذلك فى الاغلب الاعم مارونيات ولكنهن فى بعض الاحيان درزيات ، ونحن نقرا اخيرا فى موضع آخر (ج 2 ، ص 73) : « لقد اقمعت المرأة المارونية بخلع قرنها (وكان يرتفع فى خط مستقيم) وان تريني اياه ، وكان هذا القرن مصنوعا من الفضة ، دون زينة اخرى ، اللهم الا عدة نقوب صغيرة مستحدثة فيه على مسافات متساوية » . راجع كذلك (ريشر رحلة الى الشرق ، ص 90 - 91)

Richter, Wallfahrten in Morgenland

وستناول الآن بالحديث طرطور الرجال . وقد كانت الطاقة الاعتيادية لبدو مصر . فنحن نقرا فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناتن ، 1 ، ص 365) ان سيدة فى مقتبل عمرها قالت للامير (شركان) بعد ان صرعه فى مبارزة ، وهي تضحك : « كانك طرطور بدوي تقع من بطشة » . والبطشة هي الضربة . وهذا المشمل موجود كذلك فى كتاب بركهات حول الامثال المصرية العربية المحدثه رقم 398 . ولكن قد اشير اليه بنجمة وهذا يعنى انه لم يعد شائع الاستعمال فى مطلع هذا القرن . ونحن نقرا فيه طرطوري يقع من لطشة . وعلى رغم بركهات وليو بل برغم فيشر (Arab. proverb) (M. Fleischer - de glossis Mabichtianis, p. 80) اذ يخيّل الي انه يذهب نفس المذهب ، فانسي لا يسعني التسليم بان (طرطوري) هو شكل آخر من طرطور اذ انني على النقيض من ذلك اترجم طرطوري بكلمتي mon tartour (طرطوري) اي الطرطور العائد لي . اذن فمعنى المشمل الذي اورده بركهات فى مذهبي « طرطوري يقع من ضربة واحدة (1) ومعنى ذلك انني رجل لين العريكة مطاوع بحيث ان اهون شيء يحملني على تبديل رأبي . وفى نص آخر من نصوص الف ليلة وليلة (ط مكناتن ، ج 1 ، ص 419) يقسم بدوي بطرطوره فيقول : وحبك طرطوري . وبطبيعة الامر يفضي بنا هذا الى البحث عن ماهية الطاقة العالية التي يلبسها بدو مصر فى القرن السادس عشر ، بل فى العصور الاقدم . وعلى ذلك فان مؤلف حكاية (فون خيستلا فى رحلاته ا ص 30 Van Ghistele (T, Votage van Mher Joos va Ghistele) يقول بالحرف الواحد : « انهم يحملون على رؤوسهم

من الطول حوالي اثنتى عشرة عقدة . ولعل هذا الجسم كان اضخم مرتين من بوق الحودي » (انظر الصورة) . ويقول الرحالة نفسه بعد ذلك (ص 232) فى معرض حديثه عن عروس امير جبل لبنان « كانت تبدو احيانا مرتدية حلة الفطر ، وقد زانت رأسها بقرن من الذهب مرصع بالأحجار الكريمة بدلا من القرن العادي الذي تحمله عادة نساء الجبل الاخريات A golden horn ونقرا فى رحلة تيرنر (ج 2 ، ص 57) : « لقد رايت بضع نساء مارونيات خارجات من الكنيسة (بيروت) وكن يلفتن النظر بقرن ضيق يبلغ طوله ثمانى عشرة عقدة . وهو مغطى بخمار ويرتفع على الجبهة فى نفس الاتجاه وعلى نفس الهيئة اللذين تصور بهما قرن الكركدن او الحيوان الخرافي كحصان بقرن فى جهته » . وان طبقة النساء تشير اليها ضخامة القرن والمادة المصنوع منها الجسم ذلك لان بعض هذه الطرايطر مصنوع من الفضة ، بل هناك طائفة من الطرايطر المصنوعة من الذهب » .

وفى موضع آخر (ج 2 ، ص 67 ، قبل لبنان) : « لقد سالت الاباء Padre كيف تعمل النساء لتثبيت القرن على هذه الصورة المرتفعة للغاية بحيث يغطي الجبين ، فأعلمني بان هذا القرن يثبت على قفا الراس بواسطة عصابة ، وان شريطا معلقا بهذه العصابة يحيط الجبين وان شريطا آخر يحيط بالمنق ، وان ثقل وضغط هذا الاكليل كانا فاحشين للغاية ، بحيث لم تستطع اية امرأة حمله ما لم تكن قد اعتادت عليه منذ الطفولة . اما نساء الطبقة العليا فيلبسن الطرايطر الذهبية . واما عوام النساء فيضمن الطرايطر الفضية او تنحصر اكاليلهن فى قرن اعتيادي او فى قرن مائل اذا كن ميسورات الحال فاستظمن توفير هذا القرن الدائل » . وبعد ذلك (ج 2 ، ص 68 و 69) : « فى هذه الجبال تلبس النساء نوع قرن لكنه اقصر وهو يمر فوق الاذن اليمنى ويرتفع بزوايا قائمة بدلا من الارتفاع بخط مستقيم . وقد صادفت احدى هاتيه النسوة فحملتها على خلع قرنها ، وذلك باعطائها بعض البارات . وقد وجدت ان هذا النوع من القرن مشدود بكل بساطة بغضل طرحة ، ويكون احيانا مثقوبا لاستطاعة تثبيته بسهولة بالغة » . وبعد ذلك (ج 1 ، ص 71) نقرا ان الرحالة على علم بان النساء اللواتي يحملن

(1) تعنى كلمة لطشة فى اللهجة المصرية ضربة لا هي بالمتينة ولا الخفيفة - تعليق بركهات . راجع ملاحظة فيشر القيمة فى كتابه : A. de glossis Habichtianis ص 80 . واعتقد وجوب احلال كلمة لطشة محل كلمة بطشة فى نص الف ليلة وليلة المذكور اعلاه .

من الثنيات ، لونها اسود ، وترتفع اطرافها من الاعلى مستديرة اكثر قليلا من اصبع .

ولم اجد الطرطور او الطاقية العالية للبدو المصريين المذكورين من قبل الرحالين الذين زاروا مصر بعد منتكازا . (زار منتكازا الشرق عام 1600) . ويخيل الي ان الطرطور لديهم قد اقيم مقامه الكلوته المسماة بالطربوش الذي كما سبق ان قلنا آتفا ، في معرض حديثنا عن هذا الاكليل ، كان يلبس سابقا من قبل الفرسان البدو ، ايام كان هذا الرحالة الايطالي موجودا في مصر .

ونحن نعلم ان البداة المصريين ، وهم رجال غلاظ الاكباد قساة القلوب محرومون من الحضارة ، كانوا يعانون ما يعانون من فظائع الازدراء والاستعلاء من جانب سكان مصر المتمدنين المزعومين . اذن فلن يبدو على شيء من الغرابة نظر سكان المدن الى هذا الطرطور الهائل الذي يضعه البدو على رؤوسهم نظرة مضحكة مستخفة ، لواقع انهم كانوا يضعون دائما على راس المحرم ، او على راس العدو المقهور ، طرطورا ويطوفون به على هذه الشاكلة الوحشية في الشوارع والدروب . والحقيقة اننا تقرا في تاريخ مصر للنويري (مخ 2 ، ص 99) : « ابو ركوة على جمل . وعلى راسه طرطور . وطيف به على هذه الصفة وخلفه قرد يصفعه . ثم صلب وضربت عنقه . وجهزت راسه الى البلاد . وفي موضع آخر (مخ 2 ، ص 108) : فحلقوا ذننه . والبسوه طرطورا . وسمروه . وطافوا به المدينة السلطانية (1) .

برابط حمراء واسعة . مصنوعة من اللباد المعرط في الكثافة ، الكثاف ، وهي على هيئة شبه بيضوية مسطحة . اذن فهذا الاكليل يماثل تاج الاسقف ، البرطل ، الطاية Mitre ولكنه ليس مديبا من الاعلى . وحول هذه الطاقية يلفون ثلاث او اربع لغات قطعة من الشاش والعمامة) . وتقرا في كتاب سالييناك (رحلة الى اورشليم ، ج 8 ، ف 2) :

Itinerarium Hierosol. VIII, cap. 2
« انهم يكتسون بجلود الحيوانات وبطاقية عالية ، مثل الاتراك » . ويجزم دلشور فون سيدلتز ، في كتابه : (وصف حقيقي دقيق لزيارة الاماكن المقدسة ، ص 361) « Gründliche Beschreybung der Wallfahrt » : « ان اطفال البدو يعدون بين الماشية وهم لابسون طاقية مديبة سنجابية اللون » .

ونجد في قصة هيلفريتش ، وصف رحلة مختصرة ، ص 379

« Hellfrich (Kurtzer unnd wahrhaftiger Bericht von der Reysz) :

« ان البدو يلبسون في رؤوسهم قبعة حمراء مديبة زياء (مزببة ، محوطة بقطعة من القماش الابيض » . (مسورة بالعمامة ؟) وفي قصة الامير رادزيغيل ، ص 38 ، الحج الى اورشليم

(Jerosolymitana peregrinatio)

ان الطيارة للبدويين Tiara (تاج البايا ، تاج قدماء الفرس) المذكورة ايضا . ونحن تقرا في رحلة مسكارا ص 112 ، قصة رحلة الى اورشليم :

(Relatione del Viaggio di Gierusalemme)
« انهم يضعون على رؤوسهم نوع قبعة عالية محرومة

(1) ابو ركوة امير من البيت الاموي في الاندلس . وقد حاول ان يخلع خليفة مصر الحاكم بأمر الله عن العرش ولكن خانته اتباعه وسلموه . راجع حول الموضوع فيما تراجعه هامر بركستال في كتابه (قاعة الرسم لاعظم سلاطين الاسلام ، ج 3 ، ص 345 - 346) :

« Hammer-Purgstall, Gemäldeaal groszer Mos-limischer Herrscher » :

وان فعل سمر ، في الصيغة الثانية ، يعني تثبيت مجرم بالمسامير على صليب وصلبه . ولما كان هذا الفعل كثير الذبوع لدى المؤرخين ومفسرا اسواء تفسير في القاموس ، فمن المحتم على ان ادخل بصدد هذا الموضوع في بعض التفصيلات . فان كلمة مسمار تعني القطعة المعروفة من احد المعادن . فكلمة مسمار تشير الى هذا الجسم المعدني . فنحن تقرا في رحلة ابن بطوطة (مخ دي كايانكوس ص 194) : « ثم صرفه واعطاه اموالا طائلة وفي جملة ما اعطاه جملة من صفائح الخيل ومساميرها . كل ذلك من الذهب الخالص . وقال له : اذا نزلت من البحر فانعل فرسك بها . وفي تاريخ مصر للنويري (مخ 7 ، ص 154) : عشرة مسامير من الذهب . وفي كتاب ابن بطوطة : مسمار فضة . وفي موضع آخر : مسامير الفضة . ومن هذه كلمة مسمار تعني القطعة المعروفة من احد المعادن . للنويري (مخ 2 ، ص 479) : اخرج فسمر على خشبة . وبعد ذلك (ص 482) يقول المؤرخ عن الشخص نفسه انزل شنشول عن خشبته . ونجد في تاريخ مصر للمؤلف نفسه (مخ 19 ، ص 138) : بات في ليلة الاثنين على خشبة التسمير . (وسأتحدث تاليا عن كلمة خشبة وجمعها خشبوعن مختلف مدلولاتها . راجع في كلمة طاقية التعليق (3) . ولكن ليس من الضروري اضافة كلمتي على خشبة او —

وسأشتر بهذه المناسبة نصا لابن اياس ممتعا للغاية من عدة وجوه . فنحن نقرا فى تاريخ مصر (مخ 637 ، ص 16 وما جاء بعدها ، حوادث عام 787) لهذا المؤرخ من الحوادث ان السلطان رسم بابطال ما كان يعمل يوم النوروز . وهو اول يوم من السنة القبطية . ومما كان يعمل بالديار المصرية ذلك اليوم انه كان يجتمع فى ذلك اليوم السواد الاعظم من العوام وغيرهم من الاسافل . ويركبون منهم شخصا خليعا على حمار وهو عريان وعلى راسه طرطور خوص فيسومونه امير النوروز ، ويكون ذلك قوى الطبع فيتوجه الى بيوت الاكابر واعيان الناس ويقف على الابواب ومعه السواد الاعظم من الاسافل فيكتب على صاحب تلك الدار الوصولات بالجمل الثقال وكل من امتنع من العطا بهدلوه وسبوه ولو انه اكبر من فى القاهرة . ولا يزالوا مرسمين على بابه حتى ياخذوا منه ما قرروه عليه وياخذوا منه ذلك القدر غصبا وكان منهم طائفة يقفون فى الطرقات ويتراشقون بالماء المنجس او بالخمير ويتراجمون فى وجوههم بالبيض ويتصافعون بالاخفاف على رقابهم ويتراجمون بعمائمهم حتى قيل فى المعنى :

(الطويل)

بداري رجال للجنون ترجلت

عمائمهم عن هامهم والطيالنس

فللراح ما زرت عليه جيوبها (جيوبها)

وللماء ما دارت عليه القلانس

مساحب من حر الزقاق على القفا

وصفع بانطاع حبي ريبالس (كذا) .

وكانوا يقطعون الطريق على الناس ويمنعونهم من الخروج فى ذلك اليوم الى الاسواق . وتعلق فى ذلك اليوم الدكاكين وتمتعل الناس عن البيع والشرى . وكل من ظفروا به فى الطريق بهدلوه ولو كان من اعيان الناس او من الامراء فيرشونه بالماء المنجس ويرجمونه بالبيض حتى يفدى نفسه منهم بشيء حتى يخلص من ايديهم فيحصل للناس فى ذلك غاية الضرر وتمتعل عن اسبابهم . وكانوا يتجاهرون ذلك اليوم بشرب الخمر وكثرة الفسوق فى اماكن المفترجات حتى يخرجوا فى اليوم عن الحد . وربما كان يقتل فى ذلك اليوم جماعة مما يعربدوا على بعضهم فى السكر والعيافة . وكان هذا الامر ماشي بمصر على القاعدة القديمة من الدولة الماضية ولا تنكر ذلك من ذلك (فى الدول الماضية ولا ينكر ذلك) وكان فى ذلك اليوم يحمل الى اكابر مصر من الاقباط والمباشرين اصناف الفواكه وغيره من جميع الاصناف . وكان يوم النوروز من اجل المواسم بمصر . فلما تسلطن الظاهر برقوق امر بابطال ما كان يعمل فى ذلك اليوم وارسل الحجاب مع والى القاهرة ومعه الممالك السلطانية . فطافوا باماكن المفترجات وقبضوا على من وجدوه من العياق من يفعل ذلك وضربوه بالمقارع . وربما قطعوا ايدي جماعة منهم واشهروهم . واشهروا النساء بالتهديد على من يفعل ذلك بالشنق والتوسيط . فرجعوا الناس عن ذلك من يومئذ وانكفوا عما كانوا يفعلونه فى ذلك اليوم فى اماكن المفترجات ونحو ذلك

على خشب للتعبير عن تسمير احد على صليب . فان فعل سمر يكفي للاعراب عن الفكرة ، فكرة هذا النوع من التعذيبسمى تسميرا . فنحن نجد فى تاريخ مصر للتوبري (مخ 2 ، ص 170) : فطولع السلطان فى امرهم وامر بتسمير الخمسة تسمروا تحت القلعة . وشفع بعض الامراء فى اطلاق المرأة . واطلقت وفكت المسامير فماتت بعد ايام . وفى موضع آخر (ص 186) امر بتسمير جماعة كانوا معتقلين بخزانة البنود . وفى مجلد آخر من نفس الكتاب (مخ 2 ، ص 108) : سمروه وطافوا به المدينة .

لا مناص لي من نشر النص بأكمله . وسأحملك مرة أخرى على ملاحظة ان احتفالا مثل هذا يقام في بعض انظار الشرق ، في مطلع شهر رمضان . راجع وصف احد هذه الاحتفالات في كتاب تيفنو ، ص 287 ، 279 ، حكاية رحلة الى المشرق :

« Relation d'un voyage fait au Levant » : واعتقد ان المعنى هو الطرطور في النص التالي لتيفنو في كتابه المذكور ، ص 69 ، الذي وصف الزينة في حلب (2) بالعبارات التالية : « ان اجمل ما في هذه الزينات هو رؤية مسيرة اصحاب الحرف . فقد بدأت هذه المسيرة بمرور الاساكفة الذين كانوا يمشون بنظام . وقد انطلقت المسيرة باديء ذي بدء بتقديمها

وهذه الواقعة ذكرها المقرئ من حوادث سنة سبع وثمانين وسبعمائة (1) .

وليس هناك ادنى ريب في ان ابن اياس يلعب هنا الى كتاب السلوك للمقرئ ، وهو السفر الذي خلت منه مكتبة ليدن والسفاه !

ولعل اناسا سيتناولوني باللوم على نشري وترجمتي للنص بتمامه : ولكن يخيل لي ان من الغرابة كل الغرابة العثور في الشرق على عيد يشابه، مهما كانت المشابهة ضئيلة ، عيد مجانين العصر الوسيط والكرنفال ، بحيث استطع ان اقرر نشر بضع فقرات فقط من هذا النص ... لذلك كان

تعليق (1) .

- (* راجع حول كلمة خليع فليشر في كتابه السالف ص 95 .
- (* راجع كذلك لين الف ليلة وليلة ، ج 2 ، ص 377
- (* ان فعل بهدل يعني اهان . راجع الف ليلة وليلة، 7 هابتخت ، ج 6 ، ص 143 ، وقويميس الكلمات المضاف الى المجلد السابع من هذا الكتاب . ونحن نقرا في موضع آخر من كتاب ابن اياس (ص 386) ثم قال السلطان) ايش اعظم ما تبهدوا به الناس عندكم . قال نريميهم بشياهم في الماء . وارى ضرورة احلال كلمة تبهدلوا محل كلمة تبهدوا ، وتوجد كلمة بهدلة في نص آخر من كتاب المؤلف المذكور . فنحن نقرا فيه (ص 452) . وقد حصل للقاصد من العوام غاية البهذلة من السب والرجم وغير ذلك .
- (* يجب اضافة التصريف السادس من فعل رش الى القاموس . وكذلك التصريف السادس من فعل صفع .
- (* لقد حذف البيت الثالث لانني اعترف صراحة اني لا افهم شيئا منه مطلقا ، والمخطوطة كثيرة الاخطاء في هذا الموضوع .
- (* لا وجود لكلمة مفترجات في القاموس . وفي نص آخر من مخطوطة ابن اياس (ص 296) توجد هذه الكلمة مكتوبة مشكلة على هذه الصورة مفترجات . ونقرا فيه : وكان يجب التنزه والمفترجات (الماهرات) . ونجد في موضع آخر (ص 74) « ان احدا لا يخرج الى المفترجات قاطبة (منع ذلك السلطان) . وبعد ذلك (ص 297) : وقد تقدم ما كان يقع له في المفترجات . واخيرا (ص 415) : « وهو كلام ملحن مطول . وصاروا يغنون به في اماكن المفترجات » . ويجب علي ان احملك على ملاحظة انني لم اجد هذه الكلمة لدى اى مؤلف آخر ، وان المؤلفين الاوربيين ، الذين يذكرون في معظم الاحيان الاسم الذي كانت تحمله المومسات في زمانهم في الشرق لا يسمونهن ابدا مفترجات .
- (* لا وجود لفعل شهر بهذا المعنى في القاموس ، الا في التصريف الثاني . ولكن التصريف الرابع يعبر احيانا عن نفس الفكرة . فنحن نقرا في موضع آخر من كتاب ابن اياس (مخ ، ص 66) : سمرهم واشهرهم في القاهرة . وبعد ذلك (ص 180) : اشهرهم في القاهرة على جمال . وفي موضع آخر (ص 416) : ضربه المقارع واشهره في القاهرة . وفي مجموعة القطع المختارة الخاصة بالدروز (لدى دي ساسي ، طرائف عربية ، ج 2 ، ص 90 من النص) : اشهارك بالقاهرة المقدسة وبشوارع مصر وارقتها .
- (* راجع حول العذاب الفظيع المسمى بالتوسيط سيلقيستر دي ساسي ، طرائف عربية ، ج 1 ، ص 468 وكذلك كاترمير ، تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ، ق 1 ، ص 72 . وعلاوة على ذلك بمقدوركم مراجعة اتيين دي كنبير وغيره .
- (2) راجع حول كلمة « زينة » كاترمير (تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ق 1 ، ص 29) .

والطرطور يلبسه كذلك الفرسان الاتراك الذين يطلق عليهم كلمة دلي Delis (راجع بركهشارت ، الامثال العربية ، الرقم 149 ، حول مثل : جندي ما قبل شيع طرطوره) .

اما عن طرطور اترك مدينة الجزائر فبوسعكم مراجعة الوصف الدقيق الذي ديجته براعة ديكيو دي هيدو في كتابه (خطط مدينة الجزائر : ص 20 ، مج 3 و 4) .

وهذا المؤلف يكتب الكلمة على هذا الشكل :
تورتورا : Tortora .

الطلس

يذهب القاموس اط كلكتا ، ص 772) الى ان الطلس هو (الطيسان الاسود) (2) .

الطيلسان - الطيلسان

ان التفاصيل التي اوردها حول كلمة طرحة تجيز لي الايجاز في معرض التحدث عن الطيلسان .

يقول لين (الف ليلة وليلة - ج 2 - ص 512) عن الطيلسان ما يلي : « لم تتح لي الفرصة ابدا لفحص الطيلسان وعلى ذلك فليس بمقدوري ان اصفه وصفا دقيقا . ولكنني اعتقد انه نوع بسيط من الخمار الذي يطرح على الراس والكتفين . او يلقي احيانا على الكتفين فقط . وهو خاص بالفقراء او بأساتذة الفقه والشريعة (3) . وهذه التفاصيل صحيحة ودقيقة - وبوسعكم الاقتناع بالرجوع الى مقالتي عن الطرحة .

وقديما كان الطيلسان لا يابس الا من قبل علماء الشريعة - ومن هنا جاء التمييز الوارد في كتاب ابن حبيب (مج 425 - ص 383) : اهل السيف والطيلسان - ولكننا راينا انفا ان الطرحة قد ارتداها ايضا كبراء مصر - ابتداء من عام 676 فانقطعت عن كونها لا تلبس الا من قبل القضاة واولئك الذين لم يكونوا يمارسون الا سلطة روحية وقضائية .

رهط من الصبيان الذين كانت رؤوسهم مغطاة بطراطير ورقية مديبة على هيئة قوالب السكر (1) Pains de sucre . وما يزال الدراويش يلبسون الطراطير . اذ يقول لين بصراحة في كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 369 ، ج 2 ، ص 190) ان بعض الدراويش يلبسون الطراطير او الطاقيات العالية المميزة قممها بقنازع . من قطع الجوخ المختلفة الالوان ، والتي عادة لها شكل قوالب السكر . وانني اقرا في رحلة ستوكوف الى المشرق ، ص 433 ، وهو يتحدث عن دراويش القاهرة :

« كان واضعا على راسه طاوية معمولة على هيئة قالب سكر مغطاة كلها بالآلاف الريشات الصغيرة من مختلف الالوان » . وفي حكاية كوبان Coppin ا درع اوروبا ، ص 131 (Le Bouclier de l'Europe) « يلبس الدراويش طاوية مشغولة على هيئة قالب سكر » . وفي يوميات اسفار دي مونكونسي ، ج 1 ، ص 167 : « انهم يضعون على رؤوسهم طاوية فخمة من اللباد الوردي المعمول على هيئة قالب السكر ، وكانت احدهما تشابه كل المشابهة تاج الاسقف او البرطل او الطابية ، وتحف بها نقوش على صورة ازهار خضراء زاهية اخاذة ، وقد وجدت احدي الطاقيات الملقوفة عليها لفافة بيضاء كتلك التي تكور بها العمامة » . انظر للمقارنة الصورة المرقمة 19 ، الملتصقة في الصفحة 346 من الجزء الاول ، وتمعن كذلك في الشكل الموجود في كتاب بوكوك ، رحلة الى الشرق ، ج 1 اللوحة 58 .

ولعل من المحتمل الراجع ان دراويش سوريا يلبسون كذلك الطاقيات العالية المسماة بالطراطير ، وهذا مؤيد بشهادة روجيه فكتابه (الارض المقدسة ، ص 245 245 La Terre Sainte , p.) يقول : « انهم يعناضون عن العمامة بالطاوية البيضاء المشغولة من اللباد الذي يصل سمكه احيانا الى عقدة وارتفاعه الى قدم » . ويقول دارفيو D'Arvieux كذلك في كتابه (مذكرات ، ج 6 ، ص 465) وهو يتحدث عن دراويش حلب : « ان ما يميزهم عن سواهم هو طاوية من الصوف الابيض ، مفرطة في الطول ومديبة كل المدينة » .

(1) قالب السكر ما نسميه نحن (كلة السكر !) .

(2) لعل المؤلف اراد ان يكتب (الطيلسان) فخط (الطيسان) . (المترجم) .

(3) ويضيف قائلا : « انني ميال للظن بان الطيلسان شبيه بأوشحتنا وقلانسنا الاكاديمية - ليس من ناحية المظهر فحسب - وانما من جهة الاصل .

الطاق

يذهب القاموس (ط كلكتا ، ص 1307) الى ان الطاق هو الطيلسان او بالاحرى الطيلسان الاخضر (ضرب من الثياب والطيلسان او الاخضر) .

الطاقية وجمعها الطواقي

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وتعني في اللغة العربية كلوتة صغيرة تلبس تحت العمامة . ولعلها من اصل فارسي - ولكنني يجب ان احملكم على ملاحظة ان الكلمة لا تشير في فارس الى كلوتة صغيرة - ولكنها توميء على ما يبدو الى نوع عصاية توضع على الرأس .

يقول مير خوند Mirkhond (ص 66 - تاريخ السلاجقة) في معرض حديثه عن السلطان السلجوقي الب أرسلان « وطاقية » نيزين سرامي نهاد كويندكه از سر طاقيه تانهايت لحيه ، او دو كز در نظر بيننده آمدي » . اما خوندمير Khondemir (حبيب السير ، ج 2 ، مخ فارسية 296 ، ص 204) فيقرر نفس الواقعة بهذا الكلمات : « وطاقيه طولاني (اقرأ نيز) بر سر ميكداشت - خانججه بيننده از بدايت طاقيه تانهايت لحيه دو كرمي بينداشت » (1) . وهذا النص الاخير يجب ان يترجم على هذه الصورة « كان يلبس في رأسه طاقية طويلة - بحيث ان من يرى هذا الانسان يلمح ذراعين من الطاقية - انطلاقا من موضع عقد هذه حتى اللحية » . والجدير بالملاحظة ان مير خوند وخوندمير يعدان الطاقية من بين الصفات الحسنة - بل من بين الصفات الاخلاقية العالية للسلطان . ومع ذلك فاني اعتقد ان ابن بطوطة (الرحلة مخ دي كايانكوس - ص 82) حين يقول - في مقاله عن اصفهان « وطلبت منه ان يلبسني طاقية من رأسه » كان الموضوع في هذا النص موضوع عرقية او كلوتة - ذلك ان هذا على الدوام هو معنى هذه الكلمة لدى الكتاب العرب . فنحن نقرأ في وصف مصر للمقرئبي (ج 2 ، مخ 372 ، ص 358) النص التالي - العظيم الاهمية « سوق البخاتيين هذا السوق فيما بين سوق الجمولون الكبير وبين قيسارية الشرب الاتي ذكرها

وكذلك شأن الطيلسان . فنحن نقرأ مثلا في تاريخ مصر لابن اياس (مخ 367 - ص 41 - 42) « فلما وقعت عينه على الملك الظاهر جرى وقبل يده وقال للظاهر برقوق : « انت استاذنا كلنا ونحن مماليكك قاطبة » . ثم ان برقوق قام ولبس عمامته ولف عليها طيلسانا كبيرا » .

ونقرأ في نص للسيوطي (حسن المحاضرة ، مخ 113 ، ص 308) « ان الطيلسان المقصور كان يعطى كلباس تشریف (خلعة) لامير الجيوش » .

وفي رحلة محمود بن جبير (مخ 320 - ص 46) نجد ان الخطيب في مكة كان يرتدي الطيلسان من الكتان الرقيق (وعليه طيلسان شرب رقيق) . ويذهب ابن بطوطة (الرحلة - مخ دي كايانكوس ، ص 64) الى ان الطيلسان كان اسود اللون (عليه طيلسان اسود) .

وفي الاندلس كان الطيلسان معروفا على وجه الاجمال .. كان معروفا وشائع الاستعمال بصورة عامة بين الكبراء ولدى عامة الشعب - ولكنه كان يرتدى فوق الكتفين - ولم يكن يضعه على الرأس الا شيوخ المشايخ (المقرئ - او بالاحرى ابن سعيد - لدي فريثاك - طرائف عربية ونحوية وتاريخية - ص 148) . ولا ريب ان هذا الخمار هو الطيلسان الذي نرى الشيخ العجوز يرتديه وسط اللوحة 65 من كتاب Cavanah Murphy الرائع : « الآثار العربية في اسبانيا :

« The Arabian Antiquities of Spain »

وتقع في كتاب ريحان الالباب (مخ دي كايانكوس) على النص الذي يبعث على التأمل والملاحظة : « ثم مات هشام - ويقال بل قتله المعتضد - ومشي في جنازته دون طيلسان راجلا مشي الحجاب » .

ويتحدث حاجي خليفة (ط فلوكل - ج 1 - ص 162) عن كتاب معنون : « الاحاديث الحسان في فضل الطيلسان » . وهناك نسختان من هذا الكراس في مكتبة الاسكوريال .

(1) يجب اضافة فعل بينداشتن الى المعجم الفارسية .

الطواقي المستديرة العالية . وهذه الطواقي ضيقة من الاسفل وعريضة من الاعلى - والجزء الواطيء منها مصنوع من المخمل ومن نسيج آخر - اما الجزء الاعلى فمشغول من الصوف الاخضر الرديء . فاذا لم اكن متوهما - فان بيير مارتير السفير الفرنسي لدى قنصوة الغوري عام 1501 يتحدث في كتابه (سفارة بابلية - ص 401) عن الطاقية ايضا . واليك كلماته : « ان المالك الذين هم في خدمة السلطان يلبسون طواقي من الصوف - وهي ثقيلة الوزن وقاسية اللمس - وتتألف من لونين مختلطين - اللون الاول الاخضر في الاسفل - واللون الثاني الاسود في الاعلى » .

وبالرغم من انطباق هذه الاوصاف بعض الانطباق على اوصاف المقريري - فاني ارى من المحتم علي ان اعترف بان التفاصيل ليست هي نفسها بالضبط (ولكن ما لنا لا نفترض ان طاقية المالك كانت عرضة لتحويرات اقتضتها الطرز المستحدثة ؟ الم يخبرنا المقريري نفسه ان طاقية المالك قبل حكم الملوك الناصر فرج كانت تختلف اختلافا جوهريا عن الطاقية التي يلبسها هؤلاء المالك في عهده) .

وفي ايماننا هذه تشير كلمة طاقية في مصر الى نفس ما تشير اليه العرقية - اي الى كلوتة صغيرة من القطن تلي الراس تماما - كما يقول لين (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 41) . ويرتديها افراد الجنسين تحت الطربوش (المرجع السالف - ص 58) الذي حوله تلف قطعة من القماش - وعلى هذه الصورة تشكل العمامة . ويكتب ج فيسيكه (رحلة الى الشرق ، ص 182) الكلمة هكذا Takie - وهي في نظر الرحالة « عرقية صغيرة من القطن المنقوش الذي يكون عادة مزركشا ومطرزا بنقوش غاية في الابداع والنفاسة » . بل يذهب بركهارت في كتابه عن الامثال المصرية الحديثة (الامثال العربية - رقم 101) الى القول بان هذه الكلمة تشير الى عرقية او كلوتة بيضاء مصنوعة من القطن الناعم المطرز الحواشي عادة - وهي تلي الراس مباشرة وتلبس تحت الطربوش الاحمر » . ويتحدث بوكوك كذلك في كتابه (وصف الشرق ، ج 1 ، ص 328) عن الكلوتة الصغيرة البيضاء المعمولة من الكتان التي تستعمل لتغطية الدماغ او تلبس تحت الطربوش . وبهذا المعنى كانت هذه الكلمة شائعة الاستعمال في زمان كتابة الف ليلة وليلة . فنحن نقرا في هذا الكتاب (ط مكناتن ، ج 1 ، ص 172) : « فنظروا

ان شاء الله تعالى عند ذكر القياسر . وباب هذا السوق شارع من القصبة ويعرف بسوق الخشبية تصفير خشبة فانه عمل في بابه المذكور خشبة تمنع الراكب من التوصل اليه . ويسلك في هذا السوق الى قيسارية الشرب وغيرها . وهي معمورة الجانبين بالحوانيت المدة لبيع الكواقي والطواقي التي يلبسها الصبيان والبنات . ويظاهر هذا السوق ايضا في القصبة عدة حوانيت لبيع الطواقي وعملها . وقد كثر لبس رجال الدولة من الامراء والممالك والاجناد ومن يتشبه بهم للطواقي في الدولة الجركسية وصاروا يلبسون الطاقية على رؤوسهم بغير عمامة ويمرون كذلك في الشوارع والاسواق والجوامع والمواكب لا يرون بذلك بأسا بعد ما كان نزع العمامة عن الراس عارا وفضيحة . وتوعوا هذه الطواقي ما بين اخضر واحمر وازرق وغيره من الالوان . وكانت اولاً ترتفع نحو سدس ذراع ويعمل اعلاها (مدور مسطح) . فحدث في ايام الملك الناصر فرج منها شيء عرف بالطواقي الجركسية يكون ارتفاع عصابة الطاقية منها نحو الثلث ذراع واعلاها مدور مقبب بالفواقي يتطين الطاقية بالورق والكثير فيما بين البطانة المباشرة للرأس والوجه الظاهر للناس . وجعلوا من اسفل العصابة المذكورة زيقا من فرو القرض الاسود يقال له القندس في عرض نحو ثمن ذراع يصير دائما بجهة الرجل واعلا عنقه . وهم على استعمال هذا الزي الى اليوم . وهو من اسمج ما عانوه . وتشبه بالرجال في لبس ذلك النساء لمعنيين احدهما انه فشا في اهل الدولة محبة الذكران فقصد نسائهم التشبه بالذكران لتستملن قلوب رجالهن . فاقتنى بفعالهن في ذلك عامة نساء البلد . وثانيهما ما حدث بالناس من الفقر ونزل بهم من الفقر والفاقة . فاضطر حال نساء اهل مصر الى ترك ما ادركنه فيهن النساء من لبس انذهب والجواهر بل ولبس الحرير حتى لبسن هذه الطواقي وبالغن في عملهن من الذهب والحرير وغيره وتواصين على لبسها . ومن تأمل احوال الوجود عرف كيف تنشأ امور الناس في عاداتهم واخلاقهم ومذاهبهم » .

ولعل مؤلف رحلة فان خيستلا (ص 48) يتحدث عن الطاقية - وكان زار مصر عام 1481 - اي بعد وفاة المقريري باربين سنة - فعبّر عن خواطره في معرض الكلام عن الممالك بالكلمات التالية : « ثمة ناس يضمون على رؤوسهم البيربهات - اي

من قبل دي ساسي في صحيفة العلماء - عام 5 - 16
جرمينال - رقم 7) : « من تراهم لابسى الطواقي
البيضاء هم اترك - اما مرتدو الطواقي الصفراء فهم
يهود يتاجرون مع وجهاء الاتراك » .

ويقول برتراندون دي لا بروكبير في كتابه ارحلة
عبر البحار - ص 504) وقد زار الشرق في
1432 - 1433 انه اشترى من دمشق توكا كاملا
« Une toque accomplie » . وهذه الطاقية فسرها
دوسي الكبير تفسيراً في غاية الصحة بأنها
« العمامة المثلى » .

— * —

تعليقات على نص المقريزي

* شارع القصة - ما يزال هذا الشارع حتى
اليوم هو الشارع الرئيسي في القاهرة . ويمتد من
باب زويلة حتى باب النصر .

* تشير كلمة خشب بصورة عامة الى المادة
المعروفة . فنحن نقرا في كتاب القرطاس (مخ 17 -
ص 81) : واذا بطاق في الدار عليه شبك خشب .
ولكن كلمة خشبة وجمعها خشب او خشبات تستعمل
في معان عديدة . فهي تشير :

1 - الى جذع شجره . فنحن نقرا في شرح
السادلي على رسالة الفقه المالكي لابن ابي زيد
(مخ 1193 - ص 526) : خشبة ينشرها فيجدها
معمونة . وفي رحلة ابن بطوطة (مخ . ص 268) : اتوا
الينا في قوارب صفار كل فارب من خشبة واحدة
منحوتة .

2 - الى وتد . اذ يقول ابن بطوطة (الرحالة -
ص 91) في معرض الحديث عن جسر الزوارق في
مدينة الحلة : « ولها جسر عظيم معقود على مراكب
متصلة منتظمة فيما بين الشطين تحف بها سلاسل
حديد مربوطة في كلا الشطين الى خشبة عظيمة مثبتة
بالساحل » . وفي موضع آخر (ص 132) : « واخبرنا
الناس ان المعديا اسفل من ذلك الموضع . فتوجهنا
اليها وهي اربع خشابات مربوطة بالجمال يجعلون عليها
سروج الدواب والمتاع ويجذبها الرجل من المدوة
الاخرى ويركب عليها الناس وتجار الدواب سباحة
وكذلك فعلنا » . اراجع حول كلمة معدية ا كاترمير -

شبابا مليحا بقميص وطاقية كشف من غير لباس .
(اي لم يكن راسه مغطى بالطاقية الحمراء - ولا بقطعة
القماش المسماة عمامة) ولم يكن يلبس سروالا » .

وترسم طبعة هايخت (ج 2 - ص 63) هنا
كلمة قبع - وهي لفظة تشير باحكام ودقة الى نفس
الشيء - كما سنرى مصداق ذلك حين نتحدث عن
هذه الكلمة .

وفي الفترة التي زار خلالها دانديني سورية -
اي عام 1599 - كانت كلمة طاقية تشير في هذا
القطر الى المادة التي يسمونها اليوم فيه بالطربوش .
فنحن نقرا في (الرحلة من جبل لبنان - ص 44)
ان سكان طرابلس يضعون على رؤوسهم عرقية
يسمونها طاقية - وهي معمولة من الجوخ او من
الحرير المشوب بالقطن » . وبعد ذلك مباشرة يتحدث
الرحالة عن الشاش . ويوغل حتى يبلغ (ص 48)
فيقول عن النساء : « انهن يضعن على رؤوسهن
طاقية من الجوخ او من الحرير الذي يكون عادة احمر
او ازرق - وهن يملأن طاقياتهن بتطاريز ذهبية
وفضية . ومنهن من يلبسن الطواقي المصنوعة من
الذهب والنفضة خالصين » .

وما تزال كلمة طاقية حتى يومنا هذا تشير لدى
البدو الى نفس العمامة التي تشير اليها كلمة طربوش
- ذلك لاننا نقرا في كتاب بركهارت (ملاحظات على
البدو والوهابيين - ص 27) ان بعض الشيوخ
الانرياء من بين البدو « يلبسون احيانا عرقيات حمراء
او طاقيات تسمى في سورية طرايش » . وما يعادل
في سورية الطاقية المصرية هو العرقية - وتدعى لدى
البدو معرقة .

وقد رأينا آنفا - من نص المقريزي الذي
نشرته - ان جمع هذه الكلمة هو طواقي (طواق) .
وهذا الجمع موجود كذلك في نص آخر للمقريزي
(اراجع كلمة حياصة) - وفي نص من تاريخ مصر
للنويري (مخ 2 ، ص 52) حيث تقع على كلمتي
« طواقي الاولياء » . « Les tâkiyahs des Saints »

وتشبه كلمة طاقية كل الشبه الكلمة الفرنسية
توك Toque والكلمة الاسبانية توكا Toca .
ولكن يتحتم علي ان احملكم مع ذلك على ملاحظة ان
القدامي من المؤلفين الاسبان والفرنسيين يسمون
توكا وتوك العمامة بقضها وقضيضها - وانهم لا
ينطقون هذا الاسم على الكلوتة . فنحن نقرا ذلك مثلا
في كتاب اسباني - مكتوب بالحروف العربية (منشور

تاريخ السلاطين الماليك - ج 2 - ق 1 - ص 156) .
وبعد ذلك (ص 274) : « لها مرسى عجيب عليه
خشب كبار دائرة عليه » . (راجع أيضا ابن بطوطة -
ص 270 حول كلمة الاخشاب) .

3 - الى عارضة . اذ يترجم بيدرو دي الكالا
ا مفردات اسبانية عربية (خشبة) وجمعها اخشاب)
بكلمات فيكابارا ايديفيسيو Viga para edificio .
فنحن نقرا في تاريخ مصر للنوري (مخ 2 ص 477) :
انتهب الزاهرة حتى قلمت الابواب والاشخاب .

4 - الى شجرة العصر . راجع الكالا حول كلمات:
فيكادي لاكار : « Viga de lagar » .

5 - الى خشبة الصلب - الى الصليب . فنحن
نقرا في تاريخ مصر للمقري . مخ دي غوتا - ص 528 :
« وينبغ من سرقة انه سرقت وهو مصلوب لان ابن عباد
امر بصلبه على ممر اهل البادية لينظروا اليه . فبينما
هو على خشبته على تلك الحال اذ جاءت اليه زوجته » .

وفي الف ليلة ليلة اظمكناتن - ج 1 - ص
202 : « نصب للنصراني خشبة واوقفه تحتها .
وجاء المشاعلي رمى في ربة النصراني الحبل واراد
ان يعلقه » .

6 - الى لوحة . فنحن نقرا في الحماسة
اظ فريتاك - ص 365) « والمخرش اسم لما يخرش
به خشبة كان او غيرها » . ونقرا لدى ابن هيجان
(راجع الذخيرة لابن بسام - مخ غوتا - ص 4) :
« خشبة من الفنطرة » . ويقول ابن جبير (الرحالة -
مخ 320 - ص 194) في معرض الحديث عن ميناء
مسينا في صقلية : « ومرساها اعجب مراسي البلاد
البحرية لان المراكب الكبار تدنو فيه من البر حتى
تكاد تمسكه وتنصب منها الى البر خشبة يتصرف
عليها والحمال يصعد بحمله وذلك لافراط عمق البحر
فيها » .

ويقول ابن بطوطة (مخ - ص 238) واصفا حادثة
غرق سفينة - عن امرأة : « كانت قد التزمت خشبة
في مؤخر الكنك » . ومن هنا فان كلمة خشب في صيغة
الجمع تعني الواحا تؤخذ بمعنى :

7 - الروافع - كما نرى في هذا النص لابن
بطوطة (مخ - ص 10) : « ولها قنطرة خشب ترسو
المراكب عندها . فاذا كان العصر رفعت تلك الخشب

وجازت المراكب صاعدة ومنحدرة » . (والتحديث عن
مدينة اشمون الرومان) .

8 - تشير كلمة خشبة الى باب . فنحن نقرا لدى
ابن بطوطة (ص 262) : « ومجلسها مفروش بالحريز
وعليه ستور وخشبة من الصندل وعليه صفائح
الذهب » . ونقرا لدى ابن هيجان (السالف - ص 4)
وهو يتحدث عن قصور فخمة شيدت في فالنسيا :
« واتسع الحدس في عظيم ذلك الانفاق . فمعهم من
قدرت نفقته على منزلة مائة الف دينار واقل منها ونوقها
حسب تناهيهم في سروها من نضار الخشب » .

9 - واخيرا فان كلمة خشبة تشير كذلك الى
غرفة خشبية صغيرة . فنحن نقرا في رحلة ابن بطوطة
(مخ - ص 244) : « ولا سجن عندهم بتلك الجزائر .
انما يحتبس ارباب الجرائم في بيوت خشب هي معدة
لامتعة التجار . ويجعل احدهم في خشبة كما يفعل
عندنا بأسارى الروم » .

* يشير الزبيق بصورة عامة الى كل حافة وحاشية
في الثياب - وليس الى ما يذهب اليه القاموس في
هذا الشأن فقط .

* لا يذكر القاموس الا كلمتي ابن مقرض . ولكن
الكلمة مكتوبة في تاريخ مصر للنوري (مخ 2 - ص
22) على هذا المنوال : (قرظ) . اذ نقرا فيه : « وكان
يبعث اليه بعض اصحابه في الشتاء بفروة قرظ
يلبسها » .

* راجع حول كلمة قندس بمعنى حاشية تعليق
كاترمير في كتابه (تعليقات ومقتبسات - ج 13 - ص
217) اذ لم يغفل العالم الجليل ان يورد نص
المقريزي هذا .

* يقص علينا المؤرخون العرب والفرس - ان
الامين بن هرون الرشيد - حين انغمس في اعمال
الفسوق والفجور التي يتهم بها معاصريه من
المصريين (وهو اتهم ايده تأييدا تاما الرحالون
الاوربيون المعاصرون) البست ام هذا الامير المسماة
زيدة اجمل الجوارى لباس القلمان لتحول بين ابنا
وبين سلوكه الشاذ . ومنذ ذلك الحين اطلق
اسم الفلامية في مقاصير حريم الخلفاء على امثال
هؤلاء الجوارى .

المبروق

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ويكتب كراير دي همسو هذه الكلمة (مرآة جغرافية
واحصائية لامبراطورية مراکش ، ص 81) على هذه
الصورة (عبروق) .

واليكم ما يقوله : « ان نساء مراکش يحطن
رؤوسهن بمصابة او عصاباتين من الذهب والفضة
المخططين وتسمى هذه الزينة بالمبروق ، وتعقد في
المبروق عقدة بارتفاع الرقبة ، اما اطراف هذه
المصائب المتداخلة في صفائر الشعر فتتدلى حتى
الحزام » .

ولكننا نقرا في كتاب هوست (اخبار من مراکش
وفاس ، ص 119) : « لا يجوز للنساء المتزوجات
اظهار شعورهن ، لذلك فهن يحطنها بخمار من الحرير ،
اسمه عبروق Abruk تنساب اطرافه على الظهر ،
ويسوى من الامام كما يسوى الشد (العمامة) » .

